



الجمهورية التونسية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

نيابة الدراسات العليا والبحث العلمي

قسم الدراسات الإسلامية

تخصص التفسير وعلوم القرآن

# ضوابط الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

## دراسة نقدية

STANDARDS OF THE SCIENTIFIC MIRACLE IN HOLY  
QURA'N

CRITICAL STUDY

إعداد الطالب

حسين عوض محمد نميش

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الماجستير

إشراف الدكتور

قائد أحمد الشريف

1445هـ - 2023م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## استهلال

﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾

[ص: 88]

## إهداء

إلى والدي العزيزين رحمهما الله تعالى الذين رباني فأحسنا

تربيتي

إلى إخوتي وعوني وسندي

إلى زوجتي الغالية وأولادي المباركين

إلى مشايخي ومعلمي ومن علمني وأرشدني

وكل من وقف معي

أهدي هذا العمل المتواضع راجيا من الله القبول

## عرفان

جزيل الشكر وعظيم الامتتان لجامعتنا - جامعة القرآن والعلوم الإسلامية - على جهودها المباركة وعلى أخذها بأيدينا نحو البحث العلمي؛ لنشق هذا الطريق على أسس ثابتة وقواعد راسخة، ولها العرفان على ما تبذله من خدمة في نشر علوم القرآن وتتوير الأجيال.

## مستخلص

إن دراسة ضوابط الإعجاز العلمي في القرآن من أهم الموضوعات التي تقيّد المتخصصين في هذا العلم وقد هدفت من خلال دراستي هذه إلى تطبيق ضوابط الإعجاز العلمي في القرآن الكريم على بعض البحوث التي أعدها الباحثون في هذا المجال، و دراسة مدى تقيدهم بهذه الضوابط ومحاولة دمج الهوة بين الراضين للإعجاز العلمي في القرآن الكريم وبين المؤيدين، وإيجاد قواسم وضوابط مشتركة، و تهذيب هذا الفن "الإعجاز العلمي في القرآن الكريم" مما علق به من التفسيرات الباطلة، والتخرصات الواهنة، والخروج بدراسة علمية تجمع بين التأصيل و التمثيل للإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

وذكرت في بحثي هذا أهم الضوابط التي يجب على الباحث في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم الالتزام بها، والقواسم المشتركة بين المؤيدين للإعجاز العلمي و بين المانعين منه، والفرق بين التفسير العلمي و الإعجاز العلمي، متبعاً في دراستي - بتوفيق الله - المنهج الاستقرائي الاستنباطي.

وقمت بتطبيق الضوابط على بعض الآيات القرآنية التي ذكر القائلون بالإعجاز العلمي أنّ فيها إعجازاً علمياً، مقارنة أقوال المعاصرين من علماء الإعجاز بأقوال المفسرين من السلف الصالح، مع التعرّيج - بإجمال - حول الحقائق العلمية التي ذكر الباحثون في مجال الإعجاز العلمي وجود إشارة لها في كتاب الله، و النظر في كونها حقائق علمية، أم أنها لا تزال نظريات. وقد كان الاعتماد الرئيس في البحث على أمهات كتب التفسير كالطبري و ابن كثير. و كذلك الحال مع المراجع التي تناولت الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

ولأن كثيراً من أبحاث الإعجاز العلمي في القرآن الكريم لا تزال حبيسة المواقع الإلكترونية، لذلك قمت بالعزو إلى الموقع الإلكتروني، مع ذكر الرابط الإلكتروني في الحاشية.

أحلت الآثار إلى مراجعها إن وجدت، وإن لم توجد فإنني أذكر المصدر الذي ذكرت فيه.

أوردت الآيات القرآنية مكتوبة بالرسم العثماني، وأذكر بجانبها اسم السورة و رقم الآية.

عزوت الحديث بذكر الكتاب، ثم الجزء و الصفحة.

قمت بشرح ما تقتضي الحاجة إلى شرحه من الألفاظ الغريبة.

وذيلت البحث بأهم الفهارس.

## EXTRACT

The study of the standards of the scientific miracle in Holy Qur'an is one of the most important topics that benefit specialists in this science. Through my study, I aimed to apply the standards of the scientific miracle in Holy Qur'an to some of the researches has been prepared in this field, and to study the extent of their adherence to these standards and to try to bridge the gap between those who reject the scientific miracle in the Holy Qur'an and the supporters, and to find common denominators and standards, and to bowdlerize this art "scientific miracle in Holy Qur'an" from what is attached to it from false interpretations, and feeble abstractions. And come up with a scientific study that combines rooting and representation of the scientific miracles in Holy Quran..

In my research, I mentioned the most important standards that the researcher in the scientific miracle in Holy Qur'an must abide by, the common denominators between those who support the scientific miracle and those who oppose it, and the difference between scientific interpretation and scientific miracle, I follow in my study - with the help of Allah - the inductive-deductive approach.

And I applied the standards to some of the Qur'anic verses which the supporters mentioned that these verses contain scientific miracles, comparing the quotes of contemporary miracles scholars with the sayings of the exegetes from the righteous predecessors.

I talked in brief about the scientific facts the researchers have mentioned in the field, whether there is a reference in Holy Qura'n or not and, and considering whether they are scientific facts, or are they still theories.

The main reliance in the search was on the mother books of interpretation, such as al-Tabari and Ibn Katheer. The same is in the references that dealt with the scientific miracles in the Holy Qur'an.

because many of the researches on scientific miracles in the Holy Qur'an are still locked up on websites, so I attributed to the website, mentioning the website link in the footnote.

I refer the antiquities to their references, if any, and if not, I mentioned the source in which they were mentioned.

I mentioned the Qur'anic verses written in the Ottoman script, and I mention next to them the name of the surah and the number of the verse.

I attributed Hadeeth by mentioning the book, then the part and the page.

I explained what needs to be explained of the strange words.

The search was appended to the most important indexes.

## المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً، والصلاة والسلام على رسوله محمد النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن دعا بدعوته، واتبع طريقه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن من عظيم رحمة الله - سبحانه وتعالى - على عباده أن أنزل القرآن الكريم هادياً لهم إلى دروب الخير وطرق الفلاح، ومنقذاً لهم من ظلمات الكفر ودياجير الضلال، ولا استقامة لحياة البشرية على جادة الصواب إلا بالاعتصام بالقرآن المجيد وأحكامه وحكمه، ولن تخرج الإنسانية من مآهات الضلال، وظلمات الشقاء إلا بالسير وفق المنهج الرباني المرسوم في هذا الكتاب الكريم.

لقد أنزل الله القرآن الكريم معجزة باقية إلى يوم القيامة، شاهداً للرسول ﷺ بالرسالة، و للأمة ما استقامت عليه بالهداية، و قد تكفل الله بحفظ كتابه من الضياع حتى و صل إلينا سالماً مُبَرَّأً من الزيادة و النقصان و التحريف و التبديل، بخلاف ما حدث للكتب السابقة المنزلة على الأمم الأخرى، و امتنَّ الله علينا بهذه النعمة فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ٩﴾ [الحجر: 9]

ولقد بعث الله النبي ﷺ بشيراً و نذيراً، و أنزل معه هذا القرآن تبيانا لكل شيء، و دستوراً باقياً إلى يوم القيامة، من تمسك بحبله نجا، و من تكب صراطه ضل و غوى، قال تعالى:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ١٦﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ١٦﴾ [المائدة: 16/15]

فالقرآن عروة الله الوثقى، و كلمته العليا، و معجزته الخالدة.

ولا شك أن فهم القرآن المجيد، والتعرف على دقائق آياته البينات بغية العمل بها في واقع الحياة، يحتاج إلى المعاشة الدائمة مع القرآن على مستوى الأفراد، والجماعات، والشعوب في كل زمان ومكان؛ لأجل أن يتمكن كل جيل من الأجيال البشرية من الاهتداء بهدي كتاب الله فيما

يستجد لهم من حوادث وأحكام، حسب تطور أنماط الحياة وما يصاحب ذلك من قضايا ومسائل تحتاج إلى حل وعلاج.

وانطلاقاً من هذه الحقيقة، نجد أن المسلمين في كل عصر ومصر، منذ عهد الرسالة إلى يومنا هذا، يحاولون سبر أغوار القرآن الكريم، ويجتهدون في دراسة آياته المعجزة من شتى الجوانب والزوايا، لأجل الوصول إلى الهداية، والعلم، والحكمة. و ما باب الإعجاز العلمي في القرآن الكريم إلا ثمرة لتلك الجهود المباركات عبر العصور.

### مشكلة البحث:

تتمثل المشكلة أن للإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط كثيرة متناثرة في كتب العلماء و الهيئات العلمية التي تُعنى بإبراز الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، كما أن هذه الضوابط ذُكرت -فيما أعلم- بشكل عام و مجمل، و لم تفصل بشكل دقيق.

لذا كانت الحاجة ماسة إلى جمع هذه الضوابط، و تفصيلها، و ربطها بالقواعد التفسيرية التي يجب على كل باحث في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم التقيد بها.

### حدود البحث:

- 1- سيكون جمع الضوابط و دراستها من خلال كتب الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، خصوصاً الكتب التي ذُكرت هذه الضوابط في مقدماتها. و كذلك من خلال الكتب التي تشدد أصحابها في قضية الإعجاز العلمي و لكنهم لم ينكروه البتة.
- 2- سيكون التمثيل لهذه الضوابط من خلال كتب التفسير، و الكتب التي اهتمت بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم، و كذلك من خلال الأدبيات المرئية و المسموعة.
- 3- ستكون دراسة القواعد التفسيرية من خلال كتب قواعد التفسير المشهورة، كقواعد التفسير لحسين الحربي، و قواعد التفسير لخالد السبت، و قواعد التفسير للسعدي، و غيرها.

### مصطلحات البحث:

- 1- الإعجاز العلمي: إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتتها العلم التجريبي، و ثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن النبي ﷺ<sup>(1)</sup>.
  - 2- العلم التجريبي: هو العلم القائم على المشاهدة و التجريب. أو هو دراسة الظواهر الطبيعية من خلال عمليات عقلية خالصة نستدل بها على نتيجته أو نتائج معينة اعتماداً على معطيات محسوسة أو تجارب<sup>(2)</sup>.
  - 3- الحقيقة العلمية: المفهوم الذي تجاوز المراحل الفرضية و الدراسات النظرية، حتى أصبح ثابتاً مجمعاً عليه من قبل كافة العلماء المختصين، كتمدد المعادن بالحرارة و انكماشها بالبرودة<sup>(3)</sup>.
  - 4- القاعدة: أمر كلي ينطبق على جزئيات كثيرة، تفهم أحكامها منه<sup>(4)</sup>.
  - 5- الضابط: ما جمع فروعاً من باب واحد، أو ما قصد به نظم صور متشابهة في باب واحد<sup>(5)</sup>.
- و يعرفه علماء الإعجاز العلمي بقولهم: هي القواعد التي تحدد مسار بحوث الإعجاز العلمي وفق الأصول الشرعية المقررة مع الالتزام بالجوانب الفنية و العلمية المطلوبة<sup>(6)</sup>.

### أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- 1- يعتبر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم و السنة النبوية من الوسائل الهامة و الفعالة في مجال الدعوة في هذا العصر، وكل بحث ينمي هذه الوسيلة و يطورها هو دعوة إلى الله تعالى.
- 2- و جود الاختلاف الكبير حول الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، و تباين آراء العلماء فيه بين القبول و الرفض.

(1) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم تاريخه و ضوابطه، عبدالله المصلح، ص22.

(2) انظر : مناهج البحث في علم المعلومات والمكتبات، أحمد بدر. نقلاً عن : وكيبيديا

<http://ar.wikipedia.org/wiki>

(3) مقدمة التاريخ الفكري العلمي في الإسلام، سلسلة عالم المعرفة، 131 ط الكويت، نقلاً عن : الإعجاز العلمي

في القرآن الكريم تاريخه و ضوابطه، عبدالله المصلح، ص28.

(4) شرح الكوكب المنير، ابن النجار الحنبلي، 30/1.

(5) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(6) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم تاريخه و ضوابطه، عبدالله المصلح، ص29.

- 3- ظهور كثير من الدراسات العلمية حول الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، و التي اكتفى أصحابها - غالباً - بالتأصيل دون التمثيل أو العكس.
- 4- جرأة بعض الباحثين - مع حسن مقصدهم - على الخوض في كتاب الله خوفاً علمياً تجريبياً لا صلة له بمنهج السلف الصالح في تفسير القرآن الكريم.
- 5- وجود الخلط بين ما يسمى التفسير العلمي للقرآن، و بين الإعجاز العلمي في القرآن.

### الدراسات السابقة:

المراجع و البحوث التي تطرقت لمسائل و ضوابط الإعجاز العلمي في القرآن العلمية لا تكاد تحصر، و هي مراجع عصرية حديثة، و قد استفدت في بحثي هذا من كثير منها، و على رأسها: "اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر" للدكتور فهد الرومي، و "الإعجاز العلمي إلى أين" و "تصحيح طريقة معالجة تفسير السلف في بحوث الإعجاز العلمي" للدكتور مساعد الطيار، و "التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق" للدكتورة هند شلبي، و "مدخل إعجاز القرآن" للمحمود محمد شاكر، و "جهود العلماء في بيان إعجاز القرآن الكريم" للدكتور محمد موسى الشريف، و "الإعجاز العلمي و علاقته بالمنهج التجريبي المعاصر" للدكتور قتيبة فوزي، و "الإعجاز العلمي في القرآن و السنة تاريخه و ضوابطه" للدكتور عبدالله المصلح، و "عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم" لحسن عبد الفتاح أحمد، و "مناهل العرفان للشيخ الزرقاني، و"تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن و السنة" للأستاذ الدكتور عبدالمجيد الزنداني، و غيرها الكثير.

وقد تطرقت هذه الدراسات الآنفة الذكر لضوابط الإعجاز العلمي في القرآن الكريم بصورة إجمالية و لم تقم - غالباً - بالتفصيل فيها بشكل يناسب الباحثين المتخصصين في هذا المجال، ولذلك ستكون دراستي - إن شاء الله تعالى - تفصيلية تعيدية، و موجهة في المقام الأول للباحث في مجال الإعجاز العلمي.

هذا من ناحية المراجع التي تطرقت لتأصيل هذا الفن، و ذكر ضوابطه، أما المراجع التي تطرقت للتمثيل المباشر للإعجاز العلمي في القرآن الكريم فهي - و إن لم أكن قرأتها جميعاً - لا تكاد تحصى، لكن يأتي على رأسها ما كتبه الدكتور عبدالمجيد الزنداني في هذا المجال، و كذلك ما ألفه الدكتور زغلول النجار، و الدكتور محمد راتب النابلسي، و الدكتور محمد علي البار.

والمكتبة الإسلامية عامرة بمئات المراجع المكتوبة والمرئية والمسموعة في هذا الشأن والله الحمد والممنة.

ومن خلال اطلاعي على بعض المراجع خصوصاً كتاب "اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر للدكتور فهد الرومي وجدتُ أنّ هناك دراسات كثيرة تناولت هذا الفن منها: "كشف الأسرار النورانية القرآنية"، لمحمد بن أحمد الإسكندراني، و"الكون والإعجاز العلمي للقرآن لمنصور حسب النبي، و"الإعجاز العددي للقرآن الكريم" عبد الرزاق نوفل، و"مع الطب في القرآن الكريم" لعبد الحميد دياب والدكتور أحمد قرقوز، و"الإسلام في عصر العلم" لمحمد أحمد الغمراوي، و"القرآن والعلوم العصرية" لطنطاوي جوهري، و"القرآن ينبوع العلوم والعرفان" لعلي فكري، "القرآن والعلوم الحديثة" لمحمود أبو الفيض المنوفي، و"الإسلام والطب الحديث" لعبد العزيز إسماعيل، و"ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان" لمحمود شكري الألوسي، و"التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن" لحنفي أحمد، و"شواهد العلم في هدى القرآن" معجزات القرآن يشهد بها العلم الحديث" لمحمد سعدى المقدم، و"الإعجاز العلمي في القرآن" لأحمد عبد السلام الكرداني، و"العلوم الطبيعية في القرآن" ليوسف مروة، و"القرآن ونهاية العالم" للأسيوطي الفلكي، "رحلة عبر الغيب بين آيات القرآن وصفحات الأكوان" لعبد الكريم عثمان، و"معجزات القرآن الكريم في العلم والسياسة والاجتماع" باللغتين العربية والإنجليزية" لمحمود مهدي الإستانبولي، و"معجزة القرآن" لنعمت صدقي، و"القرآن وإعجازه العلمي" لمحمد إسماعيل إبراهيم، و"البرهان من القرآن" لمحمود أحمد مهدي، و"القرآن والعلم الحديث" لعبد الرزاق نوفل، و"الرياضيات في القرآن الكريم" لخليفة عبد السميع خليفة، و"معجزة القرن العشرين في كشف سباعية وثلاثية وأمر القرآن الكريم" لابن خليفة عليوي، و"معجزة القرآن العديدة" للصدقي البيك، و"لغات علمية من القرآن" ليعقوب يوسف، و"الإعجاز العلمي في القرآن" لحمزة سالم الصيرفي، و"القرآن الكريم والغلاف الجوي" لمحمد عفيفي الشيخ، و"تفسير الآيات الكونية" لعبد الله شحاتة، و"القرآن والطب" لأحمد محمود سليمان، و"آيات الله تعالى" محمد وفا الأميري، و"القرآن والطب" للحاج محمد وصفي، و"الإعجاز الطبي في القرآن" للسيد الجميلي، و"التفسير العلمي للقرآن الكريم" لمنير العلي، و"ظاهرة التفسير العلمي" لخليل أبو شهاب، و"التفسير العلمي للقرآن" لأحمد عمر أبو حجر، و"التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم" لعادل الشدي، و"التفسير العلمي للقرآن في الميزان" لأحمد عمر أبو حجر، و"التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم: ضوابط وتطبيقات" للمرهب السقا، و"الاتجاه العلمي في التفسير: ادواره واصوله: دراسته

تاريخيه ومنهجييه في ضوء علوم القرآن "العبدالرزاق هرماس، و"قضايا إعجاز القرآن الكريم في نصوص القرن الأول الهجري" للحسن زروق، و"المدخل الوجيز إلى دراسة الإعجاز في الكتاب العزيز" للمحمود أحمد غازي، و"وهم الإعجاز العلمي" لخالد منتصر، و"نشأة الكون وخلق الإنسان بين العلم والقرآن" لسارة بنت عبدالمحسن، و"التفسير معالم حياته، منهجه اليوم" للأمين الخولي.

### أهداف البحث:

- 1- إيجاد مرجع علمي جامع لضوابط الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ليكون هذا المرجع دليلاً ومرشداً لكل باحث في هذا المجال.
- 2- تطبيق ضوابط الإعجاز العلمي في القرآن الكريم على بعض البحوث التي أعدها الباحثون في هذا المجال، ودراسة مدى تقيدهم بهذه الضوابط.
- 3- محاولة ردم الهوة بين الرافضين للإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وبين المبيحين، وإيجاد قواسم وضوابط مشتركة يرضاها الجميع.
- 4- إظهار الفرق بين التفسير العلمي للقرآن وبين الإعجاز العلمي في القرآن.
- 5- تهذيب هذا الفن "الإعجاز العلمي في القرآن الكريم" مما علق به من التفسيرات الباطلة، والتخرصات الواهنة.
- 6- البحث حول المعجزة القرآنية من حيث الماهية والتعريف.
- 7- دراسة الدلالة اللغوية في آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.
- 8- إبراز الفرق بين الحقيقة العلمية والنظرية العلمية.
- 9- الخروج بدراسة علمية تجمع بين التأصيل والتمثيل للإعجاز العلمي في القرآن الكريم، تكون مرجعاً لكل سالك لهذا الطريق.

### أسئلة البحث:

سيجيب البحث عن أسئلة كثيرة، من أهمها:

- 1- ما هي الضوابط التي يجب على الباحث في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم الالتزام بها؟
- 2- هل التزم الباحثون في مجال الإعجاز العلمي بالضوابط التي اشترطوها على أنفسهم؟
- 3- هل توجد قواسم مشتركة بين المؤيدين للإعجاز العلمي وبين المانعين منه؟

- 4- ما هو الفرق بين الحقيقة العلمية والنظرية ؟  
5- ما هو الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي ؟

### منهج البحث:

سأتبع في دراستي - بمشيئة الله - المنهج الاستقرائي الاستنباطي.

### إجراءات البحث:

- 1- تطبيق الضوابط على أشهر الآيات القرآنية التي ذكر القائلون بالإعجاز العلمي أنّ فيها إعجازاً علمياً.
- 2- مقارنة أقوال المعاصرين من علماء الإعجاز بأقوال المفسرين من السلف الصالح، خصوصاً أصحاب القرون الثلاثة الأولى.
- 3- التعرّيج - بإجمال - حول الحقائق العلمية التي ذكر الباحثون في مجال الإعجاز العلمي وجود إشارة لها في كتاب الله، والنظر في كونها حقائق علمية، أم أنها لا تزال نظريات.
- 4- التركيز والاعتماد الرئيس في البحث على أمهات كتب التفسير كالطبري وابن كثير والقرطبي وغيرها من التفاسير المعتمدة. وكذلك الحال مع المراجع التي تناولت الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.
- 5- أكتفي بدراسة بعض الآيات في كل موضوع، مع إغفال المكرر - إلا أن دعت الحاجة للتكرار - كالأيات الكثيرة التي ذكرت أطوار خلق الإنسان، أذكر أشهرها وأشير إلى بقيتها.
- 6- كثير من أبحاث الإعجاز العلمي في القرآن الكريم لا تزال حبيسة المواقع الإلكترونية، ولذلك سيكون العزو - إن تعذر وجود الكتاب - إلى الموقع الإلكتروني، مع ذكر الرابط الإلكتروني في الحاشية.
- 7- أحيل الآثار إلى مراجعها إن وجدت، وإن لم توجد فإنني أذكر المصدر الذي ذكرت فيه.
- 8- أضع الكلام المنقول بنصه بين علامتي تنصيص، وإذا تصرفت في النص أقول بتصرف، وإن نقلته بمعناه فأقول في الهامش: انظر.
- 9- أورد الآيات القرآنية مكتوبة بالرسم العثماني، وأذكر بجانبها اسم السورة ورقم الآية.
- 10- إذا كان الحديث في الصحيحين، أو في أحدهما اكتفيت بذلك، وقد أضيف مصدراً ثالثاً للفائدة، وإذا كان في غيرهما فأخرجه من مظانه - دون استقصاء.

- 11- أعزو الحديث بذكر الكتاب، ثم الجزء والصفحة.
- 12- أقوم بشرح ما تقتضي الحاجة إلى شرحه من الألفاظ الغريبة.
- 13- أترجم للأعلام الوارد ذكرهم في صلب الموضوع.
- 14- إذا ذكرت الأدلة في مواطن الخلاف فإني أقتصر على الشاهد منها، دون التوسع والاستطراد، إلا أن تدعو الحاجة العلمية إلى ذلك.
- 15- أذيل البحث بأهم الفهارس، وهي كالتالي:
- أولاً: فهرس الآيات.
- ثانياً: فهرس الأحاديث.
- ثالثاً: فهرس الأعلام.
- رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.
- خامساً: فهرس الموضوعات.

### خطة البحث:

#### التمهيد:

أولاً: تعريف الإعجاز لغة واصطلاحاً.

ثانياً: ظهور مصطلح الإعجاز في القرآن الكريم.

ثالثاً: أنواع الإعجاز في القرآن الكريم.

رابعاً: القرآن والعلم.

#### القسم الأول: الدراسة النظرية للإعجاز العلمي في القرآن الكريم:

##### الفصل الأول: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وتاريخه :

المبحث الأول: تعريف الإعجاز العلمي من خلال القرآن الكريم.

المبحث الثاني: تاريخ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: المؤلفات في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

##### الفصل الثاني: الإعجاز العلمي بين القبول والرفض:

المبحث الأول: الفرق بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي.

المبحث الثاني: المؤيدون للإعجاز العلمي.

المبحث الثالث: الرافضون للإعجاز العلمي.

المبحث الرابع: أدلة الفريقين والترجيح وأوجه الاتفاق والاختلاف.

**الفصل الثالث: الإعجاز العلمي وعلاقته بالعلم التجريبي:**

المبحث الأول: نشأة العلم التجريبي.

المبحث الثاني: الفرق بين الحقيقة العلمية والنظرية.

**الفصل الرابع: القواعد التفسيرية في ضوابط الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:**

المبحث الأول: مكانة تفسير السلف.

المبحث الثاني: قواعد التفسير.

**القسم الثاني: دراسة تطبيقية لضوابط الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وطرق تأصيلها .**

**الفصل الأول: ضوابط الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**

المبحث الأول: ضوابط الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

(الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة)

المبحث الثاني: ضوابط الإعجاز العلمي في القرآن الكريم للدكتور مصطفى مسلم

**الفصل الثاني: نماذج من الآيات التي توفرت فيها الضوابط**

وفيه خمسة مباحث (ويشمل خمسة نماذج)

**الفصل الثالث: نماذج من الآيات التي لم تتوفر فيها الضوابط**

وفيه خمسة مباحث (ويشمل خمسة نماذج)

أسأل الله التوفيق والسداد والهداية إلى سبيل الرشاد

## تمهيد

### أولاً: تعريف الإعجاز لغة واصطلاحاً:

(أعجزه) الشيء فاتمه. و(عجزه تعجيزاً) ثبطه أو نسبه إلى العجز. و(المعجزة) واحد معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.<sup>(1)</sup>

وَأَعْجَزَهُ الشَّيْءُ: فَاتَهُ،

وَفَلَانًا: وَجَدَهُ عَاجِزًا، وَصَيَّرَهُ عَاجِزًا.

وَالنَّعْجِيزُ: التَّنْبِيْطُ، وَالنَّسْبَةُ إِلَى الْعَجْزِ.

وَمُعْجِزَةُ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَعْجَزَ بِهِ الْخَصْمَ عِنْدَ التَّحْدِي، وَالْهَاءُ لِلْمُبَالَغَةِ.<sup>(2)</sup>

### اصطلاحاً:

إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، وهو أن يأتوا بمثله أو بشيء من مثله، فهو من إضافة المصدر إلى فاعله، والمفعول محذوف للدلالة على عموم من تحداهم القرآن، وهم الإنس والجن، وكذلك ما تعلق به الفعل محذوف للعلم به، وهو القرآن أو بعضه كما ثبت في كثير من آيات التحدي.<sup>(3)</sup>

وإعجاز القرآن يُقصد به تحدي القرآن الناس أن يأتوا بمثله، ووصف الإعجاز هنا بأنه علمي نسبة إلى العلم، الذي هو حقيقة، مقطوع بها، تُطابق الواقع، عليها دليل، فإذا لم يكن مقطوعاً بها كانت وهماً، أو شكاً، أو ظناً، وإذا لم تطابق الواقع كانت جهلاً، وإذا افتقرت إلى الدليل كانت تقليداً.

والإعجاز هو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتتها العلم التجريبي، وثبتت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية، في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، مما يُظهر، ويؤكد صدقه

(1) مختار الصحاح ص 200

(2) القاموس المحيط ص 516

(3) عناية المسلمين بإبراز وجوه العناية بالقرآن الكريم - محمد السيد جبريل ص 7

فيما أخبر به عن ربّه سبحانه وتعالى، والمعجزة القرآنية - بما تتضمنه من حقائق علمية - دليلٌ على عالمية الرّسالة الإسلامية.<sup>(1)</sup>

وعرّف الرازي في محصله المعجز بأنه "أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي، مع عدم المعارضة. وعقّب بمحترزات التعريف فقال:

وإنما قلنا - والكلام للفخر الرازي - أمر: لأن المعجز قد يكون إتياناً بغير المعتاد، وقد يكون منعا من المعتاد، وإنما قلنا: إنه خارق للعادة: لِيتميز به المدعى عن غيره، وإنما قلنا إنه مقرون بالتحدي لئلا يتخذ الكاذب مُعْجِزَ مَنْ مَضَى حجة لنفسه، وليتميز عن الإرهاص والكرامات. وإنما قلنا: إنه مع عدم المعارضة، لِيتميز عن السحر والشعبذة<sup>(2)</sup>.

المُعْجِزَةُ أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ مَقْرُونٌ بِالْتَحْدِي سَالِمٌ عَنِ الْمُعَارِضَةِ وَهِيَ إِمَّا حِسِّيَّةٌ وَإِمَّا عَقْلِيَّةٌ<sup>(3)</sup>.

وبهذا تبين معنى المعجزة في اللغة والاصطلاح.

---

(1) موسوعة الإعجاز العلمي ص 10 النابلسي.

(2) عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم - حسن عبدالفتاح أحمد نقلا عن كتاب المحصل " وهو محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين " لأبي عبد الله محمد بن عمر بن حسين فخر الدين الرازي (544هـ - 606هـ).

(3) الاتقان للسيوطي ص 3 المجلد الرابع.

## ثانياً: ظهور مصطلح الإعجاز في القرآن الكريم:

" كان للعلماء -رحمهم الله تعالى- عناية كبيرة واهتمام عظيم بإعجاز القرآن الكريم. ومصطلح "المعجزة" أو "إعجاز القرآن" لم يرد في الكتاب ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة -رضي الله عنهم- وإنما ورد التعبير عن هذا المعنى بالآية والبرهان والسلطان.. وغير ذلك. وهي العبارات التي كان يتداولها العلماء في القرنين الأول والثاني الهجريين عند حديثهم عن إعجاز القرآن، وليس هناك تحديد دقيق لتأريخ ظهور مصطلح إعجاز القرآن. وقد استعمل هذا المصطلح في نهاية القرن الثاني وأوائل القرن الثالث ويؤيد هذا أن الإمام أحمد بن حنبل<sup>(1)</sup> رحمه الله تعالى "ت241هـ" استعمل كلمة "معجزة" للأمر الخارق المؤيد للأنبياء ولما استعمل له من بعده مصطلح "الكرامة".

كما ظهر استعمال هذا المصطلح عند النظام<sup>(2)</sup> "ت231هـ" أحد أئمة المعتزلة حين زعم أن إعجاز القرآن كان بالصرفة -كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى- فتصدى له علماء السنة والجماعة وردوا عليه وأبطلوا زعمه فشاع مصطلح المعجزة وقل استعمال مصطلح الآية والبرهان والسلطان وغيرها..

---

(1) هو: الإمام حقا، وشيخ الإسلام صدقا، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الذهلي، الشيباني، المروزي، ثم البغدادي، أحد الأئمة الأعلام. قال أبو داود: سمعت يعقوب الدوري، سمعت أحمد يقول: ولدت في شهر ربيع الأول، سنة أربع وستين ومائة. طلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة. وعن أبي زرعة، قال: حذرت كتب أحمد يوم مات، فبلغت اثني عشر حملا وعدلا، ما كان على ظهر كتاب منها: حديث فلان، ولا في بطنه: حدثنا فلان، كل ذلك كان يحفظه. وقال النسائي: جمع أحمد بن حنبل المعرفة بالحديث والفقه والورع والزهد والصبر. (سير أعلام النبلاء للذهبي) بتصرف

(2) النَّظَام (000 - 231 هـ = 845 - 000 م)

إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري، أبو إسحاق النّظام: من أئمة المعتزلة، قال الجاحظ: (الأوائل يقولون في كل ألف سنة رجل لا نظير له فان صح ذلك فأبو إسحاق من أولئك) . تبحر في علوم الفلسفة واطلع على أكثر ما كتبه رجالها من طبيعيين وإلهيين، وانفرد بأراء خاصة تابعته فيها فرقة من المعتزلة سميت (النظامية) نسبة إليه.

أما أول كتاب يحمل هذا المصطلح في عنوانه فهو كتاب "إعجاز القرآن" الذي ألفه محمد بن زيد الواسطي<sup>(1)</sup> المتوفى سنة 306هـ وهو كتاب مفقود. إلا أن أقدم كتاب خاص بإعجاز القرآن وصل إلينا هو "النكت في إعجاز القرآن" لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني<sup>(2)</sup> "ت384هـ" وهو من أئمة المعتزلة.

ثم تتابعت المؤلفات بعد ذلك وكثرت كثرة لا تكاد تحصى قديماً وحديثاً<sup>(3)</sup>.

ومن خلال ما ذكر يتبين أن مصطلح الإعجاز جاء متأخراً لكنه صار هو الأكثر في الاستعمال.

---

(1) الواسطي (000 - 307 هـ = 000 - 919 م)

محمد بن زيد بن علي بن الحسين الواسطي، أبو عبد الله: من كبار علماء الكلام. معتزلي. أصله من واسط. سكن بغداد وتوفي بها. من كتبه (إعجاز القرآن) و (الإمامة) و (الزمام) في علوم القرآن، و (الرد على قسطا بن لوقا). وكان على غزارة علمه، خفيف الروح، ينظم الشعر ويودعه النكتة المستملحة. وهو القائل في نفطويه: (أحرقه الله نصف اسمه وصير الباقي صراخا عليه!) قال ابن النديم: أخذ عن أبي علي الجبائي، وإليه كان ينتمي. الأعلام للزركلي

(2) أبو الحسن الرماني

(296 - 384 هـ = 908 - 994 م)

علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني: باحث معتزلي مفسر. من كبار النحاة. أصله من سامراء، ومولده ووفاته ببغداد. له نحو مئة مصنف، منها الأكوان " و " المعلوم والمجول " و " الأسماء والصفات " و " صنفة الاستدلال " في الاعتزال، سبعة مجلدات... الأعلام للزركلي

(3) دراسات في علوم القرآن فهد الرومي ص266/267

## ثالثاً: أنواع الإعجاز في القرآن الكريم.

تعددت أقوال العلماء في بيان أنواع الإعجاز في القرآن الكريم من حيث العدد والوجوه نستعرض أهمها:

" يقرر الباقلاني<sup>(1)</sup> في الفصل الثالث من كتابه (إعجاز القرآن) أن هذا الإعجاز إنما يُردُّ إلى ثلاثة أوجه:

- 1- تضمنه الإخبار عن الغيوب.
- 2- وما فيه من القصص الديني وسير الأنبياء مما روته الكتب السماوية مع أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب.
- 3- ثم بلاغته.

فأما الوجه الأول: فقد استدل عليه بما وعد الله تعالى نبيه عليه السلام أنه سيظهر دينه على الأديان بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف:9].

ففعل ذلك.. وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا أغزى جيوشه عرفهم ما وعدهم الله من إظهار دينه ليتقوا بالنصر، ويستيقنوا بالنجح، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفعل كذلك في أيامه حتى وقف أصحاب جيوشه عليه ...

وأما الوجه الثاني: فإنه معلوم من حال النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان أمياً لا يكتب ولا يحسن أن يقرأ، وكذلك كان معروفاً من حاله أنه لم يكن يعرف شيئاً من كتب المتقدمين وأقاصيصهم وأنبأهم وسيرهم، ثم أتى بجملة ما وقع وحدث من عظيماً الأمور، ومهمات السير، من حين خلق الله آدم عليه السلام إلى حين مبعثه.

(1) القاضي الباقلاني (338 - 403 هـ = 950 - 1013 م)

محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر: قاض، من كبار علماء الكلام. انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة. ولد في البصرة، وسكن بغداد فتوفي فيها. كان جيد الاستنباط، سريع الجواب. وجهه عضد الدولة سفيراً عنه إلى ملك الروم، فجرت له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدي ملكها. من كتبه (إعجاز القرآن - ط) ... الأعلام للزركلي

وأما الوجه الثالث.. فإنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه..

ولما كان الباقلاني من علماء اللغة والأدب والبلاغة، فقد ركز شرحه على هذا الوجه الأخير، فتحدث عن جمال نظم القرآن حديثاً مسهباً.. يتضح منه مفهومه ونظريته في إعجاز القرآن.<sup>(1)</sup>

### وجوه الإعجاز في القرآن الكريم:

نستطيع مما سبق عرضه من كتابات العلماء قديماً وحديثاً في إعجاز القرآن ان نستخلص ما عدوه وجوهاً لهذا الإعجاز، ذكروها صراحةً واستقلالاً وبينوها، أو أشاروا إليها ضمناً وأوجزوها، وهذه الوجوه نذكرها فيما يلي:

### أولاً: إعجازه في بلاغته وفصاحته:

لعل إعجاز القرآن الكريم بلفظه من أهم وجوه إعجازه إذا لم يكن أهمها على الإطلاق، لأنه يتعلق بالقرآن ذاته في بنيته اللغوية لا ينفك عنها، ولا يرتبط -كما سيأتي بيانه في وجوه أخرى- بحال المنزل عليه، أو حال المخاطبين، أو الفترات الزمانية، ومن ثم كان هذا الوجه أول ما تناوله العلماء بالبحث، وكان قدراً مشتركاً بينهم في الحديث عن الإعجاز، كما أفردوه بالتصنيف مثل الباقلاني في (إعجاز القرآن) والجرجاني<sup>(2)</sup> في دلائل الإعجاز، والرافعي<sup>(3)</sup> في (إعجاز القرآن)

(1) أبو بكر الباقلاني ومفهومه للإعجاز القرآني بقلم الدكتور أحمد جمال العمري الأستاذ المساعد بكلية الدعوة وأصول الدين ص 17

(2) عبد القاهر الجرجاني (000 - 471 هـ = 000 - 1078 م)

عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر: واضع أصول البلاغة. كان من أئمة اللغمة. من أهل جرجان (بين طبرسات وخراسان) له شعر رقيق. من كتبه "أسرار البلاغة - ط" و "دلائل الإعجاز - ط" و "إعجاز القرآن - ط... الأعلام للزركلي

(3) مُصْطَفَى صَادِق الرَّافِعِي (1298 - 1356 هـ = 1881 - 1937 م)

مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي: عالم بالأدب، شاعر، من كبار الكتاب. أصله من طرابلس الشام، ومولده في بهتيم (بمنزل والد أمه) ووفاته في طنطا (بمصر) أصيب بصمم فكان يكتب له ما يراد مخاطبته به. شعره نقى الديباجة، على جفاف في أكثره. ونثره من الطراز الأول. له (ديوان شعر - ط) ثلاثة أجزاء، و (تاريخ آداب العرب - ط) جزآن، ثالثهما (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - ط) الأعلام للزركلي

والشيخ محمد عبد الله دراز<sup>(1)</sup> في (النبأ العظيم) وجعلوه أكثر الأوجه بياناً إذا تكلموا فيه مع غيره، ولهذا أيضاً كان حقيقاً بالبدء به وجعله في صدارة وجوه الإعجاز.

إنه لم يبلغ نمط من أنماط كلام العرب فيما قالوه شعراً أو نثراً، أياً كانت قوته بلاغة وفصاحة أن يكون قريباً من بلاغة القرآن وفصاحته، فقد بلغ القرآن في مضمار البلاغة والفصاحة الطرف الأعلى، وهو ما يمكن أن نسميه حدَّ الإعجاز، لأن هذا كان الميدان الذي تحدَّى القرآن فيه العرب، وهم فرسانه، ولقد اطردها هذا التفوق اللغوي في القرآن سورة سورة، وآية آية، ومن ثم كان التحدي فيه أن يأتوا بسورة من مثله مما ينطبق على طويل السور وقصيرها. وأصدق دليل على هذا الإعجاز موقف من تحداهم القرآن من فصحاء العرب من هذا التحدي عجزاً واستسلاماً مع حرصهم على تكذيب القرآن.

وللقاضي عياض<sup>(2)</sup> في ذلك عبارات جامعة تذكر جانباً من هذا الموقف في العجز، والاعتراف بالهوية المصدر القرآني - رغم الجحود والكفر - وأمثلة يسيرة تشهد لذلك نذكرها بنصها لتمام الفائدة.

قال رحمه الله تعالى: (فلم يزل صلى الله عليه وسلم يقرعهم أشد القرع، ويوبخهم غاية التوبيخ، ويسفه أحلامهم، ويحط أعلامهم، ويشتت نظامهم، ويذم آلهتهم وإياهم، ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم، وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته، محجمون عن مماثلته، يخادعون أنفسهم بالتشغيب بالتكذيب، والإغراء بالافتراء، وقولهم: إن هذا إلا سحر يؤثر، وسحر مستمر، وإفك افتراه، وأساطير الأولين، والمباهة والرضى بالدنيئة كقولهم: قلوبنا غلف، وفي أكنة مما

(1) دراز (000 - 1377 هـ = 000 - 1958 م)

محمد بن عبد الله دراز: فقيه متأدب مصري أزهري. كان من هيئة كبار العلماء بالأزهر، له كتب، منها (الدين - ط) دراسة تمهيدية لتاريخ الإسلام (2).

(2) القاضي عياض (476 - 544 هـ = 1083 - 1149 م)

عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي، أبو الفضل: عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته. كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم. ولي قضاء سبتة، ومولده فيها، ثم قضاء غرناطة. وتوفي بمراكش مسموماً، قيل: سمه يهودي. من تصانيفه " الشفا بتعريف حقوق المصطفى - ط ...الأعلام للزركلي

تدعوننا إليه، وفي آذاننا وقر، ومن بيننا وبينك حجاب، ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون، والادعاء مع العجز بقولهم: لو نشاء لقلنا مثل هذا، وقد قال لهم الله "ولن تفعلوا" فما فعلوا ولا قدروا، ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم، وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم، وإلا فلم يخف على أهل الميز منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم، ولا جنس بلاغتهم، بل ولوا عنه مدبرين، وأتوا مدعين من بين مهتد وبين مفتون، ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ...﴾ [النحل:90] الآية قال: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، ما يقول هذا بشر، وذكر أبو عبيد أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ: ﴿فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ ...﴾ [الحجر:94]، فسجد وقال: سجدت لفصاحته، وسمع رجلاً آخر يقرأ ﴿فَلَمَّا اسْتَيْسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ...﴾ [يوسف:80]

فقال: أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام).

وإذا كان العرب -وهم بهذه المنزلة بلاغة وفصاحة- قد عجزوا هذا العجز التام المطبق، فغيرهم أشد عجزاً، وأبعد هزيمة.

لقد عنى العلماء بإبراز بلاغة القرآن في هذا المضمار تطبيقاً، ولو تتبعنا ذلك من خلال أبواب البلاغة المتعارف عليها لاستغرق ذلك تفسير القرآن كله، ولكن حسبنا أمثلة في أبرز مجالاتها، وهي الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، نذكرها موجزة غير مطولة:

فمن أشهر ما ضربوه مثلاً في باب الإيجاز قول الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ [البقرة:179]. فإنهم قارنوه بما استحسنوه من كلام العرب: (القتل أنفى للقتل) فظهر البون شاسعاً، والتفاوت بعيداً في البلاغة والإيجاز كليهما، وذلك من وجوه أربعة: أولها: أن عبارة القرآن أكثر فائدة مما قاله العرب لاشتغالها على ما قالوه مع زيادة معان حسنة، منها إبانة العدل لذكره القصاص، وإبانة الغرض المرغوب فيه لذكره الحياة، ومنها الاستدعاء بالرغبة والرغبة لحكم الله به، الثانى: أنها أوجز، فإن عبارة القرآن (القصاص حياة) عشرة أحرف، وأما (القتل أنفى للقتل) فأربعة عشر حرفاً، الثالث: بعد عبارة القرآن عن الكلفة بالتكرير الشاق على النفس، والرابع: حسنها بتأليف الحروف المتلائمة، وهو مدرك بالحس، وموجود في اللفظ، فإن الخروج من الفاء إلى اللام أعدل

من الخروج من اللام إلى الهمزة، لبعدهم الهمزة من اللام، وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء أعدل من الخروج من الألف إلى اللام،

فباجتماع هذه الأمور كان القرآن أبلغ وأحسن، وإن كانت عبارة العرب بليغة. وأما التشبيه: فمن أشهر ما ذكره فيه قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُمُ كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: 39].

ففيه إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه، وقد اجتمعا في بطلان المتوهم مع شدة الحاجة إليه، ولو قيل في معناه: يحسبه الرائي ماءً ثم يظهر أنه على خلاف ما قدر لكان بليغاً، وأبلغ منه لفظ القرآن، لأن الظمان أشد حرصاً على تحقيق حسبانته، وتعلق قلبه به، ثم بعد هذه الخيبة حصل على الحساب الذي يصيره إلى عذاب الأبد في النار، وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من حسن التشبيه، فكيف إذا ضمن مع ذلك حسن النظم، وعذوبة اللفظ، وكثرة الفائدة، وصحة الدلالة؟

وأما الاستعارة: فقد أوردوا فيها قول الله تعالى ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: 4]

فأصل الاشتعال للنار، لكنه في هذا الموضع أبلغ، وحقيقته كثرة الشيب في الرأس، إلا أن الكثرة لما كانت تتزايد تزايداً سريعاً صارت في الانتشار والإسراع كاشتعال النار، وله موضع في البلاغة عجيب، وذلك أن انتشار الشيب في الرأس لا يتلافى كاشتعال النار<sup>(1)</sup>.

ويعد الباقلاني كذلك من أبرز من سلكوا هذا الباب في الموازنة بين ما ورد في القرآن من ضروب البلاغة وبين أبلغ ما حفظ عن العرب من ذلك مما عُدَّ في أقصى درجاتها، وذلك في الفصلين السابع والثامن من كتابه (إعجاز القرآن).

(1) للمزيد من ذلك يراجع (النكت في إعجاز القرآن) للرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ص 76 وما بعدها.

لقد ظل القرآن أسلم وأبعد ما يكون في فصاحته وبلاغته عن أي طعن من فصحاء العرب رغم تشوف كفارهم إلى ذلك، ورغم أن انتقاد الكلام، كان دأبهم شعراً ونثراً، واستدراك بعضهم على بعض كان ديدينهم رغم قلة الدواعي.

ومما ورد في ذلك ما ذكره الرافعي من استدراك الخنساء على حسان ابن ثابت في شعر أنشده بعكاظ، قال فيه:

لنا الجففات الغر يلمعن بالضحى      وأسيفنا يقطنن من نجدة دما  
ولدنا بنى العنقاء وابن محرق      فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابنما<sup>(1)</sup>

فقال الخنساء: ضعف افتخارك، وأبرزته في ثمانية مواضع، قال: وكيف؟ قالت: قلت "لنا الجففات" والجففات ما دون العشر، فقلت العدد، ولو قلت "الجفان" لكان أكثر، وقلت: "الغر" والغرة البياض في الجبهة، ولو قلت: "البيض" لكان أكثر اتساعاً، وقلت: "يلمعن" واللمع شيء يأتي بعد الشيء، ولو قلت "يشرقن" لكان أكثر، لأن الإشراق أدم من اللمعان، وقلت: "بالضحى" ولو قلت: "بالعشية" لكان أبلغ في المديح، لأن الضيف بالليل أكثر طروقاً، وقلت: "أسيفنا"، والأسيف دون العشر، ولو قلت: "سيوفنا" كان أكثر، وقلت: "يقطنن" فدلت على قلة القتل، ولو قلت: "يجرين" لكان أكثر، لانصباب الدم، وقلت "دما" والدماء أكثر من الدم، وفخرت بمن ولدت، ولم تقتخر بمن ولدوك<sup>(2)</sup>.

ومثل ذلك أو أقل منه لم يحدث في كلمة من القرآن فضلاً عن آية رغم كثرة دواعي القوم للطعن والمعارضة.

(1) ديوان حسان بن ثابت المكتبة الشاملة ص205

(2) إعجاز القرآن للرافعي: هامش ص 225.

## ثانياً: إعجازه في نظمه وأسلوبه:

لقد تفرد أسلوب القرآن ونظمه، وتفوق على أساليب العرب ونظمهم رغم بلاغتهم، وبلوغهم الغاية في هذا المضمار، ومن أبرز شواهد هذا التميز ما يلي:

أولاً: جمع القرآن في أسلوبه ونظمه بين مقصدين: مقصد الموعظة، ومقصد التشريع، فنظمه يفيد بظاهرة السامع ما يحتاج إلى علمه، وهو في ذلك يشبه خطب العرب، ومع ذلك فقد ضم معناه ما يستخرج منه العلماء الأحكام الكثيرة في التشريع، وفي الآداب وغيرها.

ثانياً: تفننه، وبداعة تنقلاته من فن إلى فن بطرائق الاعتراض والتذليل<sup>(1)</sup> والتظهير<sup>(2)</sup>، والإتيان بالمرادفات عند التكرير تجنباً لثقل تكرار الكلمة، وإكثاره من أسلوب الالتفات، وهو من أعظم أساليب التفنن عند العرب.

ثالثاً: عدوله عن تكرار اللفظ والصيغة فيما لا يقتضي التكرار بقصد التهويل ونحوه، ومما

عدل فيه عن التكرار قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحریم:4]

فجاء في الآية لفظ قلوب جمعاً مع أن المخاطب امرأتان ولم يكرر الصيغة ويقل "قلبا كما" تجنباً لتعدد صيغة المثني<sup>(3)</sup>.

رابعاً: براعته في تصريف القول، وثروته في أفانين الكلام، إذ يبرز المعنى الواحد بألفاظ وطرق مختلفة بمقدرة عظيمة لا تباريها أو تقاربها مقدرة من فصحاء العرب، ولما كان المقام ليس مقام استقصاء، فإن الأمثلة تكفي في الدلالة على المراد:-

(أ) ففي مجال طلب الفعل من المخاطبين أورد في ذلك صيغا كثيرة منها:

1- الإتيان بصريح مادة الأمر: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء:58]

2- الإخبار بأن الفعل مكتوب على المكلفين: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة:183].

(1) عرفه السيوطي فقال: "أن يأتي بجملة عقب جملة، والثانية تشتمل على المعنى الأول؛ لتأكيد منطوقه، أو

مفهومه؛ ليظهر المعنى لمن لم يفهمه، ويتقرر عند من فهمه."

(2) إلحاق النظر بالنظير.

(3) يراجع في المزيد من ذلك: التحرير والتنوير: 1/115-117.

3-الإخبار بكونه على الناس ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران:97].

4-الإخبار عن الفعل بأنه خير: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ﴾ [البقرة:220].  
وغير ذلك كثير في هذا المجال.

(ب) وفي مجال النهي عن الفعل استعمل وسائل متعددة منها:

1- الإتيان في جانب الفعل بمادة النهي: ﴿ إِنَّمَا يَهْتَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الممتحنة:9].

2- نفي الحل عنه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَجِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ﴾ [النساء:19]

3- وصفه بأنه ليس براً: ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ﴾ [البقرة:189]  
وغير ذلك كثير في هذا المجال.

(ج) وفي مجال تعبيره عن إباحة الفعل استخدم طرقا كثيرة منها:

1- التصريح في جانبه بمادة الحل: ﴿ أَحَلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةً ﴾ [المائدة:1].

2- نفي الإثم عنه: ﴿ فَمَنْ أَضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة:173].

3- الأمر به مع قرينه صارفة عن الطلب: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾ [البقرة:187].

وغير ذلك كثير في هذا المجال<sup>(1)</sup>.

(1) يراجع في ذلك مناهل العرفان للزرقاني: 319/2 - 321.

خامسا: ومما تميز به أسلوب القرآن الكريم تصرفه في حكاية أقوال المحكي عنهم، بصياغتها على ما يقتضيه أسلوب إعجازه لا على الصيغة التي صدرت بها.. قال الطاهر بن عاشور<sup>(1)</sup>:  
 (فهو إذا حكى أقوالا غير عربية صاغ مدلولها في صيغة تبلغ حد الإعجاز بالعربية، وإذا حكى أقوالا عربية تصرف فيها تصرفا يناسب أسلوب المعبر، مثل ما يحكيه عن العرب، فإنه لا يلتزم بحكاية ألفاظهم، بل يحكي حاصل كلامهم، وللعرب في حكاية الأقوال اتساع مداره على الإحاطة بالمعنى دون التزام الألفاظ، فالإعجاز الثابت للأقوال المحكية في القرآن هو إعجاز للقرآن لا للأقوال المحكية)<sup>(2)</sup>.

هذا طرف من بيان إعجاز القرآن في نظمه وأسلوبه، وبالجملة فهذا الوجه والذي قبله يقوم بهما لفظ القرآن، ويتفرد عن غيره من الكلام، وما أحسن قول أبي سليمان الخطابي (وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظاما أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه، وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها، والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوته وصفاتها.. وقد توجد هذه الفضائل على التفرق في أنواع الكلام، فأما أن توجد مجموعة في نوع واحد منه، فلم توجد إلا في كلام العليم التقدير، الذي أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عددا)<sup>(3)</sup>.

وكما قلنا من قبل.. فإن الإعجاز اللغوي وجه لا يتسرب إليه الطعن بأي حالة، فبلاغة القرآن وفصاحته لا تخلو منها سورة من سور القرآن الكريم، ولا آية من آياته، وهذا قد يخالف وجوه

(1) ابن عاشور (000 - 1284 هـ = 000 - 1868 م)

محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور: نقيب أشراف تونس وكبير علمائها، في عهد الباي محمد الصادق (باشا). ولي قضاءها سنة 1267 هـ ثم الفتيا (سنة 1277) فنقابة الأشراف. وتوفي بتونس. له كتب، منها (شفاء القلب الجريح - ط) في شرح البردة، و (هدية الأريب - ط). الأعلام للزركلي

(2) التحرير والتنوير: 120/1 - 121

(3) بيان إعجاز القرآن: ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ص 27

الإعجاز الأخرى التي ساقها العلماء مثل الحديث عن الأخبار الماضية وسير الأولين، أو الآيات التي تشير إلى حقائق علمية، أو نحو ذلك:

(لذلك كان نظم القرآن أعدل الآراء في وجوه الإعجاز وبيان سببه، وهذا الرأي هو الذي مال إليه الحذاق من أهل الصنعة، وأخذ به الجمهور من العلماء)<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً: إعجازه في إخباره بالغيوب المستقبلية:

مما جاء به القرآن الكريم في مجال إعجاز البشر أنه أخبر بأمور تقع في المستقبل، فجاءت كما أخبر، لم تتخلف أو تتغير، وهذا ما لا سبيل للبشر إليه بحال، وذلك في القرآن كثير، لكننا سنضرب أمثلة منه تكون دليلاً على مساواها.

أولاً: لعل أوضح ما يذكر في هذا المجال ما جاء في آيات التحدي بالقرآن ذاتها، فقد أخبر الله تعالى أن الكفار سيعجزون عجزاً كاملاً مطبقاً عما ووجهوا به من التحدي أن يأتوا بمثل القرآن أو بسورة من مثله، وذلك في قوله سبحانه: ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: 88].

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ لَمِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 23].

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 24].

فكان الأمر كما أخبر، يشهد بذلك الواقع، فلم يستطع عربي فضلاً عن أعجمي أن يقوم بهذا التحدي ويأتي بسورة من مثله.

ثانياً: إخبار القرآن بالتمكين للمسلمين، ونصرهم وتأمينهم، وذلك في قول الله تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ

(1) مع القرآن في إعجازه وبلاغته، د. عبد القادر حسين: ص 114.

قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ [النور: 55].

وقد مكن الله لهم بالفعل، وظهر الإسلام، وقامت دولته، وملكتم مشارق الأرض ومغاربها في وقت يسير كما هو معروف في تاريخ الإسلام، ونسأل الله تعالى أن يعيد هذا التمكين وأن يعز الإسلام وأهله.

ثالثاً: إخباره بنصر المؤمنين وإحقاق الحق، وهزيمة الكفار واندحارهم، أخبر ذلك قبل أول قتال في بدر، وذلك في قول الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتٌّ لَّهُمْ وَأَسَدٌ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ كُفَّارُوا كَقَوْمِ سُوءِ الْآخِرَةِ الَّذِينَ أَقْرَبُوا إِلَى اللَّهِ وَأَلَمُوا لَمْ يُكْفَرُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يَجْعَلُ الْوَقْفَةَ لَهُمْ أَنَّ هُمِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقَدْ يَجْرُونَ﴾ [آل عمران: 12].

وقوله سبحانه: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: 45]

قد نزلت هذه الآية في مكة، وقد حدث ما أخبرت به في المدينة في بدر بدقة كانت مثار عجب عند الصحابة رضوان الله عليهم أنفسهم،

قال ابن أبي حاتم: عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: 45] قَالَ عُمَرُ: أَيُّ جَمْعٍ يُهْزَمُ؟ أَيُّ جَمْعٍ يُغْلَبُ قَالَ عُمَرُ: فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْتَبُ فِي الدَّرْعِ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: 45] فَعَرَفْتُ تَأْوِيلَهَا يَوْمَئِذٍ (1).

رابعاً: إخباره بدخول النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين المسجد الحرام آمينين، وذلك في قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّسُلَ بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنِ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: 27].

وقد تحقق ذلك ودخله النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في عمرة القضاء (2).

(1) يراجع في ذلك: تفسير ابن كثير 446/7

(2) السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم ضياء العمري: 465/2

خامسا: إخباره بانتصار الروم بعد هزيمتهم المنكرة أمام الفرس، وذلك في قول الله سبحانه: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ ۚ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۚ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۚ بِنَصْرِ اللَّهِ ۗ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: 2-5]

وقد تحقق ذلك في أقل من عشر سنين كما ورد في حديث ابن عباس<sup>(1)</sup> في قولِ اللَّهِ تَعَالَى: {الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ} [الروم: 2] قَالَ: غُلِبَتْ وَعُغِبَتْ، كَانَ الْمُشْرِكُونَ يُجِبُونَ أَنْ يَظْهَرَ أَهْلُ فَارِسَ عَلَى الرُّومِ لِأَنَّهُمْ وَإِيَّاهُمْ أَهْلُ أَوْثَانٍ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُجِبُونَ أَنْ يَظْهَرَ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، فَذَكَرُوهُ لِأَبِي بَكْرٍ فَذَكَرَهُ [ص: 344] أَبُو بَكْرٍ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُمْ سَيَغْلِبُونَ»، فَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ لَهُمْ، فَقَالُوا: اجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَجَلًا، فَإِنْ ظَهَرْنَا كَانَ لَنَا كَذَا وَكَذَا، وَإِنْ ظَهَرْتُمْ كَانَ لَكُمْ كَذَا وَكَذَا، فَجَعَلَ أَجَلًا خَمْسَ سِنِينَ، فَلَمْ يَظْهَرُوا، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَلَا جَعَلْتُهُ إِلَى دُونَ» - قَالَ: أَرَاهُ الْعَشْرَ، قَالَ سَعِيدٌ: وَالْبِضْعُ مَا دُونَ الْعَشْرِ - قَالَ: ثُمَّ ظَهَرَتِ الرُّومُ بَعْدُ. قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {الم غُلِبَتِ الرُّومُ} [الروم: 1] - إِلَى قَوْلِهِ - {يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ} [الروم: 4] قَالَ سُفْيَانُ: «سَمِعْتُ أَنَّهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ»: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ»

سادسا: إخباره بعدم تمنى اليهود الموت، وذلك في قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۚ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۚ﴾ [الجمعة: 7/6].

وذلك متحقق دوما، فلم يحدث- ولن يحدث- أن تمنى يهودي الموت- ولو ادعاء- مناقضة للقرآن.

والأمثلة أكثر من أن تحصى في هذا المقام.

ومما سبق تستنتج ما يلي:

(1) أخرجه الترمذي في تفسير سورة الروم (3193)، وأحمد (276/1)، والطبراني في المعجم الكبير (29/12)، والحاكم في المستدرک (410/2) كلهم من طريق أبي إسحاق الفزاري عن سفیان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبیر عنه، قال الترمذي: حسن صحيح غريب. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(أ) المقصود من هذا الوجه من وجوه الإعجاز هو إثبات أن القرآن وحي من عند الله تعالى باعتبار ذلك دليلاً لا يقبل الجدل، إذ ليس في مقدور أحد من البشر أن يتنبأ بشيء فيصدق كما قال تماماً، ولو حدث ذلك مرة أو مرات على سبيل الافتراض فإن ذلك لا يمكن أن يكون أمراً دائماً مطرداً.

(ب) أن هذا الوجه دليل إعجاز للقرآن في مجمله، بمعنى أنه قد يوجد في بعض السور ولا يوجد في الكثير منها، فهو من علامات الإعجاز التي يوصف بها القرآن باعتباره وحياً، وليس من خصائص ألفاظه، وبهذا التفسير لا يمكن المماراة في هذا الوجه بأن يقال: إن العرب معذرون

إذا قالوا: إننا قادرون على معارضة القرآن متمكنون من الإتيان بمثله غير أنه يشتمل على ما لا يمكن معرفته، ومن ثمَّ الإتيان بمثله.

وبالجملة، فإنه دليل إعجاز، ولكن لا يستقل بالعرض في إثبات إعجاز القرآن، فهو ليس بالأمر العام في كل سورة من سور القرآن، وعليه فإن موطن التحدي هنا إذا قلنا به مقدمة للإعجاز إنما يواجهه به من ادعى أن القرآن من عند محمد صلى الله عليه وسلم.

#### رابعاً: إعجازه في إخباره عن القرون السابقة والأمم البائدة:

لقد حفل القرآن بأخبار السابقين الأولين من الرسل مع أقوامهم، ومن غير الرسل، فجاء فيه قصص: آدم ونوح وإبراهيم وهود وصالح وشعيب ولوط وموسى ويحيى وزكريا وعيسى وغيرهم عليهم جميعاً السلام، كما جاء فيه قصص: ابني آدم، وأصحاب الكهف، وأصحاب السبوت، وأصحاب الجنة، وأصحاب الأخدود، ولقمان، وقارون وغيرهم.

ولما كانت القسمة العقلية في معرفة الأحداث والوقائع وأخبارها في القرآن بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي جاء قومه بذلك تقتضي واحداً من أربعة فروض، فإن تحقيق هذا الوجه من الإعجاز يقتضي عرض هذه الفروض على واقع الرسول صلى الله عليه وسلم ليتبين أن ما جاء به وحي من عند الله تعالى:

الفرض الأول: حضوره صلى الله عليه وسلم، ومشاهدته أحداث هذه القصص، وإخباره بذلك عن معاينة، وذلك مردود بالواقع والتاريخ بداهة، وعلى الرغم من ذلك لفت القرآن النظر إلى ذلك في أكثر من موضع، ففي قصة مريم يقول الله تعالى ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: 44] وفي قصة يوسف عليه السلام يقول: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف: 102].

وفي قصة موسى عليه السلام يقول ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: 46].

الفرض الثاني: أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد قرأ هذه القصص، وعرف أخبارها من مصادر مكتوبة، ثم نقلها إلى القرآن، وذلك مردود بأنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وتلك حقيقة عرفها العرب، كما سجلها القرآن واحتج بها عليهم ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبِطُونَ﴾ [العنكبوت: 48].

الفرض الثالث: أن يكون قد تعلمها تلقياً ومشافهة عن غيره، وذلك مردود بأنه لم يعرف عنه صلى الله عليه وسلم أنه جلس إلى معلم أو تلقى عن أحد، ولما حاول المشركون ادعاء ذلك عليه صلى الله عليه وسلم وقعوا في عثرة عمرهم، وسوءة فعلهم، فقد فضحهم القرآن إذ نسبوا تعليمه إلى حداد رومي لا يدرى شيئاً عن أخبار السابقين، ولا يعرف شيئاً عن فصاحة العربية وبلاغتها: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: 103].

لم يبق إلا الفرض الرابع والأخير، وهو الحق الذي لا معدل عنه، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أوحى إليه بها في جملة ما أوحى إليه من القرآن، فهي حق من حق كما وصفها الله تعالى في أكثر من موضع: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 62]. ﴿تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَّبإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: 3].

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرِذَّتْهُمْ هُدى﴾ [الكهف:13].

فإذا أضفنا إلى ذلك أن كثيراً من قصص القرآن قد سبق ذكره في كتب أهل الكتاب من التوراة والإنجيل، وأن أحداً من هؤلاء لم يستطع أن يطعن في حقيقة من حقائق القصص القرآني-بل القرآن هو الذي صوب لهم- عرفنا يقينا، وقامت الحجة وألزمت الجميع أن هذا القصص بما جاء فيه كله وحي من عند الله عز وجل.

وهذا الوجه دليل إعجاز لا يستقل بإثبات ذلك للقرآن سورة سورة، وآية آية، فهناك سور كثيرة تخلو من القصص وأخبار السابقين، وعليه فإن موطن التحدي هنا إنما يواجه من كان في مثل حال النبي صلى الله عليه وسلم -في الفروض التي ذكرنا آنفاً- أن يجيء بمثل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

#### خامسا: الإعجاز النفسي:

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى: (ما أظن امراً سليم الفكر والضمير يتلو القرآن أو يستمع إليه ثم لا يزعم أنه لم يتأثر به: قد نقول: فلم يتأثر به؟ والجواب أنه ما من هاجس يعرض للنفس الإنسانية من ناحية الحقائق الدينية إلا ويعرض القرآن له بالهداية وسداد التوجيه. (إن القرآن الكريم بأسلوبه الفريد يرد الصواب إلى أولئك جميعا، وكأنه يعرف ضائقة كل ذي ضيق، وزلة كل ذي زلل، ثم تكفل بإزاحتها كلها، كما يعرف الراعي أين تاهت خرافه، فهو يجمعها من هنا وهناك، لا يغيب عن بصره ولا عن عطفه واحد منها... حتى الذين يكذبون بالقرآن ويرفضون الاعتراف بأنه من عند الله.. إنهم يقفون منه مثلما يقف الماجن أمام أب تاكل! قد لا ينخلع من مجونه الغالب عليه، ولكنه يؤخذ فترة ما بصدق العاطفة الباكية، أو مثلما يقف الخلي أمام خطيب يهدر بالصدق، ويحدث العميان عن اليقين الذي يرى ولا يرون.. إنه قد يرجع مستهزئاً، ولكنه يرجع بغير النفس التي جاء بها)<sup>(1)</sup>.

هذا التأثير النفسي الذي أشار إليه الشيخ رحمه الله هو من أظهر خصائص القرآن الكريم التي تبرز عند سماعه، فيمضي سامعه في تفكير يملك عليه أقطار نفسه، فيفضي به إلى الإيمان إذا صفت نفسه واستقامت فطرته، أو يفضي به إلى مزيد من العناد يدفع به هذا التأثير الغالب خشية

(1) نظرات في القرآن: 127، 128.

الافتتاع به إذا كان السامع غليظ القلب جاحداً للحق مظلم النفس، وعندها يأتي من أبواب التدليس والكذب ما يعلل به هذا العناد.

ولكل مما ذكر مما يقضي إليه تأثير القرآن في نفوس سامعيه أمثلة:

فمن أمثلة التأثير المفضي إلى الإيمان ما أخرجه البخاري<sup>(1)</sup>.

من حديث جبير بن مطعم أنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَلْقُونَ﴾ [الطور: 35-36] كاد قلبي أن يطير.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى قوله: " كاد قلبي أن يطير " قال الخطابي: كأنه انزعج عند سماع هذه الآية لفهمه معناها، ومعرفته بما تضمنته، ففهم الحجة فاستدركها بلطيف طبعه، ثم قال (فلهذا انزعج جبير حتى كاد قلبه يطير، ومال إلى الإسلام)<sup>(2)</sup>.

ومن هذا القبيل كذلك ما ورد في قصة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند سماعه القرآن في بيت أخته فاطمة وكانت قد سبقته إلى الإسلام، والقصة وإن لم ترد من طريق صحيحة إلا أن دلالتها غير منكورة.

قال الدكتور أكرم ضياء العمري في عرضه لقصة إسلام عمر رضي الله عنه: (أما قصة استماعه القرآن يتلوه الرسول صلى الله عليه وسلم في صلاته قرب الكعبة، وعمر مستخف بأستارها، وكذلك قصته مع أخته فاطمة حين لطمها لإسلامها، وضرب زوجها سعيد بن زيد، ثم اطلاعه على صحيفة فيها آيات وإسلامه، فلم يثبت شيء من هذه القصص من طريق صحيحة.

(1) في صحيحه: كتاب التفسير، باب من سورة الطور.

(2) فتح الباري: 603/8

ولكن الحافظ ابن حجر<sup>(1)</sup> ذكر بأن الباعث له على دخوله الإسلام ما سمع في بيت أخته فاطمة من القرآن<sup>(2)</sup>.

(ولا شك أن القرآن ببيانه الساحر، وروعة تصويره لمشاهد القيامة، وصفة الجنة والنار كان له تأثير في اجتذاب عمر إلى صف المسلمين، لأن عمر كان يتذوق الكلام البليغ ويعجب به، وعدم ثبوت الروايات حديثاً لا يعنى حتمية عدم وقوعها تاريخياً)<sup>(3)</sup>.

أما التأثير الذي قوبل بالعناد لدفعه وعدم الاستسلام له، فمن أمثلته ما ذكره السيوطي وغيره من مجيء عتبة بن ربيعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكلامه إياه فيما جاء به قومه مما يخالف ما هم عليه، وأن النبي صلى الله عليه وسلم تلا عليه سورة فصلت إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ﴾ [فصلت: 13]

وعند ذلك أمسك عتبة بيده على فم رسول الله صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف، وأنه قام لا يدري بما يراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم: ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قومه حتى أتوه فاعتذر لهم وقال: والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت أذناي بمثله قط، فما دريت ما أقول له<sup>(4)</sup>.

وعاند عتبة وظل على كفره، وكان من قتلى المشركين في بدر.

ومن هذا القبيل كذلك ما أخرجه الحاكم<sup>(5)</sup>.

(1) ابن حجر العسقلاني (773 - 852 هـ = 1372 - 1449 م)

أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر: من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة. ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماح الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره،

(2) يشير إلى ما ذكره ابن حجر في الفتح: 176/7

(3) السيرة النبوية الصحيحة: 1/180، 181

(4) يراجع في ذلك: الدر المنثور للسيوطي: 310/7، 311.

(5) المستدرک: کتاب التفسیر، تفسیر سورة المدثر: 506/2، 507.

وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا، قال: لم؟ قال: يعطونك، فإنك أتيت محمداً لتعرض لما قبله، قال: قد علمت قریش أنى من أكثرها مالا، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له وأنتك كاره له، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجز ولا بقصيدة مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقوله شيئاً من هذا، والله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره، فنزلت ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۖ وَبَنِينَ شُهُودًا ۖ وَمَهَدْتُ لَهُ تَمَهِيدًا ۖ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۖ كَلَّا ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ۖ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ۖ إِنَّهُ فَكَرَ وَقَدَّرَ ۖ فَكَيْفَ قَدَّرَ ۖ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ ثُمَّ نَبَرَهُ ۖ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۖ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۖ فَكَانَ إِذَا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ۖ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۖ﴾ [المدثر: 11-25].

إن الأثر الذي يحدثه القرآن أعظم من أن تقوم له من الأرض جبالها الرواسي ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: 21].

وفي طبيعة هذا الأثر لدى المؤمنين جاء قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْكِتَابِ مَنَشُورًا مَّثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ [الزمر: 23].

وفي طبيعة هذا الأثر لدى المعاندين جاء قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [الإسراء: 41].

وفي كليهما على طريق المقابلة جاء قول الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: 82].

هذا هو أثر القرآن تنطق به آياته المباركة، وينطق به كذلك واقع الناس في كل وقت، ومازلنا نشاهد هذا الأثر في نفوس سامعيه: خشوعاً وخضوعاً للحق إذا صفت الفطرة واستقامت النفوس، وخوفاً من سطوة هذا الأثر إذا أظلمت القلوب وأصرت على الكفر، فنتخذ حينئذ من أجل ذلك وسائل تحول بينها وبين هذا التأثير، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالنُّغْوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: 26].

ذلك هو ما اصطلح على تسميته من بين وجوه إعجاز القرآن بالإعجاز النفسي، وهو موضع عناية علماء المسلمين من قديم، قال القاضي عياض مشيراً إلى تأثير القرآن في النفوس وهو يعد وجوه الإعجاز (ومنها: الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه، والهيئة التي تعريهم عند تلاوته لقوة حاله، وإنافة خطره، وهي على المكذابين به أعظم حتى كانوا يستنقلون سماعه، ويزيدهم نفورا كما قال تعالى، ويودون انقطاعه لكرهتهم له... وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيئته إياه مع تلاوته توليه انجذابا، وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه، وتصديقه به)<sup>(1)</sup>.

#### سادسا: إعجاز القرآن في هديه وتشريعه

جاء القرآن الكريم بشرائع الهدى لإصلاح الخلق، وإقامتهم على طريق الحق والفلاح، فلم تسمُ شريعة من الشرائع أن تبلغ ما في شريعة القرآن من: إحكام، ويسر، ودقة، ذلك أنها شريعة الله تعالى التي تنطلق في تكاليفها من رحمته سبحانه بعباده، ومراعاة مصالحهم وقدراتهم البشرية، قال الله تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ...﴾ [البقرة: 285]

وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ...﴾ [البقرة: 185]

وقال عز وجل: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: 6]

لقد ألزم تشريع القرآن بالواجبات إلزاما، ثم هو بعد ذلك جعل للضرورات أحكامها:

﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَحْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: 3]

(1) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: 230/1، 231.

﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ عَلَيْهِ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: 145]

وجعل للرخص مجالاتها: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: 106].

لقد تميز تشريع القرآن وهدية بسوقه ما يسوق من تكاليف الدين موصولة بمصدرها، وبكونها مما أمر الله به سبحانه، فهي بذلك ليست في إتيانها كمالاتها يمكن الوقوف دونه، أو ترفا يمكن التنازل والاستغناء عنه، وإنما هي من صميم إيمان المؤمن، وكذلك يمتاز بسوقه لهذه التكاليف في إيجاز لفظي يسهل استيعابه، ويمكن معرفة ذلك من قول الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَنزَلْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقَ نَحْنُ نَرزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَلَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [النحل: 151] وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَلَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 152] وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكَُمْ وَصَلَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 151 - 153]

وكذلك من قول الله سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [النحل: 17] وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [النحل: 17] رَبُّكُمْ أَعَلَّمَكُمْ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوْبَانِ غَفُورًا﴾ [النحل: 18] وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [النحل: 17] إِنْ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [النحل: 18] وَإِمَّا تَعْرِضْ عَنْهُمْ أَلْتَبِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَّهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ [النحل: 18] وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُوبَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [النحل: 19] إِنْ رَبُّكَ يَبْسُطُ

الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطَاً كَبِيرًا ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَيْهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ۖ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۖ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ [الإسراء: 23 - 35].

وكما جاء ذلك في سورة الفرقان في الآيات: 63-76 وفي سورة لقمان في الآيات: من 13-

19.

كما تميز تشريع القرآن وهديه بتوازن دقيق - لا تستقيم حياة البشر إلا به - بين تطلعهم إلى الدنيا وحاجتهم فيها، وسعيهم إلى الآخرة وتشوقهم إلى ثوابها، فجاء من آيات القرآن ما يرسى جوانب هذا المنهج في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثَرَهُمُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۖ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ۖ وَمِنَ الْأَنْعَامِ ۖ فَرِشًا ۖ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤١﴾ [الأنعام: 141-142]

وقوله سبحانه: ﴿يٰٓبَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَشَرِبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ۖ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ۖ وَالطَّيِّبَاتُ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ [الأعراف: 31 - 32]

وكذلك في قول الله عز وجل: ﴿وَأُتْبِعَ فِيهَا ءَاتِنَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ [القصص: 77].

كما تميز تشريع القرآن وهديه بتلطفه إلى النفوس البشرية عند تكليفها بما يريد ليقودها قوداً جميلاً إلى الامتثال، ويبسر عليها المشقة بما يرتبه على صالح العمل من عظيم الأجر.

فهو إذا تعرض لتشريع الزكاة- والأنفس شحيحة بالمال- جعلها طهرة للمال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة:103].

وإذا تعرض لتشريع الحج- وهو عبادة مبنية على المشقة غالباً- قرنه بمنافع مشهودة للحجيج، فقال ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج:27].

﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفَعٌ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَةٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعمُوا الْفَقِيرَ﴾ [الحج:28].

وإذا تعرض للأمر بالصلاة بين أنها طريق للطهارة من الآثام، والبعد عن الفواحش: ﴿آتَلْ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت:45].

وإذا تعرض لأصول الإيمان والعبادات مجتمعة وصفها بالبر، ورتب عليها التقوى، فقال: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:177].

وهو يخاطب في النفس البشرية رغبتها في النعيم، ورهبتها من الجحيم: ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون] [المؤمنون:102].

وهو بعد ذلك كله يعين على الأعمال الصالحة بضمان ثوابها لكل عامل دون تفرقة في جنس العاملين ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْشِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:97].

ومن أشهر من لفت النظر إلى هذا الباب في القرآن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى في تفسيره الموسوم (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) فإنه عند تفسير قول الله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:9].

قال ما نصه: (وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَجْمَلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِيهَا جَمِيعَ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْهُدَى إِلَى خَيْرِ الطَّرِيقِ وَأَعْدِلِهَا وَأَصْوَبِهَا، فَلَوْ تَبَعْنَا تَفْصِيلَهَا عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ لَأَتَيْنَا عَلَى جَمِيعِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ لَشُمُولِهَا لِجَمِيعِ مَا فِيهِ مِنَ الْهُدَى إِلَى خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَلَكِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى سَنَذْكُرُ جُمَلًا وَافِرَةً فِي جِهَاتٍ مُخْتَلَفَةٍ كَثِيرَةٍ مِنْ هُدَى الْقُرْآنِ لِلطَّرِيقِ الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ بَيَانًا لِبَعْضِ مَا أَشَارَتْ إِلَيْهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ، تَنْبِيْهَا بِبَعْضِهِ عَلَى كُلِّهِ مِنَ الْمَسَائِلِ الْعِظَامِ، وَالْمَسَائِلِ الَّتِي أَنْكَرَهَا الْمُلْحِدُونَ مِنَ الْكُفَّارِ، وَطَعَنُوا بِسَبَبِهَا فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، لِقُصُورِ إِدْرَاكِهِمْ عَنْ مَعْرِفَةِ حِكْمِهَا الْبَالِغَةِ)<sup>(1)</sup>.

وبالفعل ساق الشيخ من ذلك مسائل متعددة ذكر فيها هدى القرآن التي هي أقوم وأعدل في مجالات كثيرة لا يتسع المقام لذكرها، فليرجع إليها من شاء في هذا التفسير في المجلد الثالث منه. وممن اهتم بهذا الجانب كذلك الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله تعالى في كتابه (المعجزة الكبرى) وكذلك الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني رحمه الله تعالى في كتابه (مناهل العرفان في علوم القرآن).

وبالجملة: فإن هدى القرآن وتشريعه في إصلاح حياة البشر، وفي مراعاته لكل طوائفهم، وصلاحه لكل أزمئتهم وعصورهم تشريع معجز، لا يرقى إليه ولا يستطيعه تشريع بشري.

#### سابعا: الإعجاز العلمي:

في القرآن الكريم ما يزيد على ألف آية تتحدث عن معالم هذا الكون، وتذكر مفرداته من: السموات والأرض، والشمس والقمر، والكواكب والنجوم، والجبال والبحار والأنهار، والمطر والرعد والبرق.. إلى آخره وإذا كانت هذه الآيات قد ذكرت تلك المفردات في سياق لفت الأنظار إلى مظاهر قدرة الله عز وجل في الخلق، استدلالاً على تفرد سبحانه بالربوبية والألوهية، وقياساً عليها

(1) تفسير أضواء البيان للشنقيطي المكتبة الشاملة تفسير سورة الإسراء ص 17.

أحقية البعث الذي أنكره الكفار، فإنها مع ذلك قد جاءت في أسلوب وعبارة تفتح أمام العقل البشري آفاقاً واسعة للتفكير في دلالاتها عبر عصوره المتعاقبة من بعد نزول القرآن، فيقوم لديه من هذه الدلالات في كل عصر ما يشهد بالحق الذي جاءت به.

وفي عصرنا الذي نعيشه، وفي غضون عشرات قليلة من السنين، وبالقياس إلى تاريخ البشرية الممتد وصلت المكتشفات العلمية المتعلقة بالكون في آفاقه، وفي أنفس مخلوقاته ما لم تصل إليه من قبل.

وانطلاقاً من اهتمام المسلمين بكتاب ربه تبارك وتعالى، فإن علماءهم في هذا المجال بدؤوا بمعنون النظر والفكر في هذه الآيات، ويتلمسون فيها من جوانب القدرة -فيما أشارت إليه- ما يعد جانباً من جوانب الإعجاز القرآني، يصلح لدعوة الناس إلى دين الله سبحانه، في زمن فُتِنَ الناس فيه بالعلم، وبما تحقق من منجزاته فتنة عظيمة، وهذا ما يطلق عليه - من جوانب الإعجاز القرآني - الإعجاز العلمي.

وفي إيضاح يراه مهماً، يفرق أحد أبرز علماء الجيولوجيا -وهو الأستاذ الدكتور زغلول راغب النجار الذي عمل أستاذاً للجيولوجيا في بعض جامعات العالم، ومنها جامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران بالمملكة العربية السعودية، وضم إلى ذلك اهتماماً كبيراً بدراسة القرآن الكريم وعلومه- بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي، فيقول: (إن التفسير العلمي للقرآن الكريم يقصد به أن يوظف أهل كل جيل كل المعارف المتاحة لهم في حسن فهم دلالة القرآن الكريم) ويزيد كلامه وضوحاً فيقول (في مجال التفسير العلمي لا يتردد الإنسان أن يوظف كل المعارف المتاحة، الثابت منها وغير الثابت، لأن التفسير يبقى جهداً إنسانياً يصيب الإنسان فيه ويخطئ، وخطأ الإنسان في التفسير لا ينسحب على جلال القرآن الكريم، بل ينسحب على المفسر، لذلك لا بد لنا من توظيف كل المعارف المتاحة لحسن فهم دلالة الآيات القرآنية - طبعاً بعد التأهل للقيام بهذه المسؤولية الخطيرة - وهي التعرض لكلام الله، وهذا التأهل يقتضي فهماً للغة العربية وقواعدها وأسرارها، وفهما لأسباب النزول، وفهما للناسخ والمنسوخ، وفهما للمأثور من تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك لا بد أن ينفر من كل جيل نفر من الناس يتأهلون لهذه العدة، ويعرضون فهماً جديداً للآيات القرآنية، خاصة في مجال القضايا العلمية، والقضايا الكونية، بحيث لا يعتمد على التفسيرات القديمة فقط، ولذلك أقول: إن التفسير العلمي للقرآن الكريم لا نخاف أن نوظف فيه كل المعارف

المتاحة من نظريات -فروض- حقائق علمية قطعية- القوانين، فكل هذا يوظف. (أما بالنسبة للإعجاز العلمي، فلا يجوز لنا أن نوظف فيه إلا الحقائق العلمية القاطعة، لأن الإعجاز نريد به أن نثبت للناس مسلمين وغير مسلمين أن هذا القرآن العظيم الذي نزل على نبي أمي في أمة أمية قبل 1400 سنة يحتوي من حقائق هذا الكون على ما لم يستطع الإنسان أن يتوصل إلى معرفته إلا بعد جهود مضنية وقبل عشرات السنين فقط)<sup>(1)</sup>.

وإذا كنا سنوافق هذا العالم الجليل على قوله، فلا بد من تحوُّط نسوقه بين يدي هذه الموافقة، وهو: أن المفسر للقرآن على هذا النحو، بل وكل مفسر ينبغي أن يصوغ عبارته بطريقة تفهم بأن ما قاله إنما هو فهمه من الآيات، الذي استطاع أن يتوصل إليه بعد أخذه بأدوات التفسير التي تؤهله لذلك، فلا يقطع بأن ما فهمه من الآية هو مراد الله تعالى منها. وهذا الأمر ينسحب على الإعجاز العلمي من جهة أن ما جاء في الآيات من مظاهره إنما هو توسيع لمدلول هذه الآيات في جوانب أخرى، إضافة إلى ما كان من جوانب سابقة، وسيأتي مزيد إيضاح لذلك. على أننا نود أن ننبه هنا إلى أمرين على جانب كبير من الأهمية:-

أولهما: أنه لن يكون هناك تعارض أو تناقض بأي حال، ولا من أي نوع بين أي نص قرآني صريح في دلالاته، وبين أي حقيقة علمية بلغت يقين المعاينة، والمشاهدة، ضرورة أن خالق الكون سبحانه هو منزل القرآن الكريم، ولن يكون تناقض أبداً بين قول الله تعالى وبين خلقه ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [المُلك:14].

ثانيهما: أن القرآن الكريم في الأساس كتاب هداية، أنزله الله تعالى لإخراج الناس من الظلمات إلى النور: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:9].

﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم:1].

تلك هي مهمة القرآن الأصلية، وقد وضحت سبل الهداية فيه: في عقائده وتشريعاته، وكانت مظاهر القدرة في الآيات الكونية فيه- كما بيننا -وسيلة من وسائل الاحتجاج للحق الذي جاء به. فالقرآن- والأمر كذلك- ليس كتاباً في العلوم التطبيقية مثل الطب أو الفيزياء أو الفلك أو الهندسة أو الزراعة أو التعدين ونحوها، وإنما هو دستور للهدى والحق، لكنه مع ذلك يتضمن في سياق آياته وفي رسم طريق الهداية للبشر من المعارف فيما سبق من العلوم بطريق التبع حقائق تدهش أهل التخصص في تلك العلوم، فيستقر في عقولهم من جراء ذلك ما يرسخ يقينهم، ويثبت إيمانهم إن كانوا مؤمنين أصلاً أو يقيم الدليل عندهم على حق كانوا في شك فيه- وهو صدق القرآن- إن كانوا غير مؤمنين، فيهدون إلى الإسلام، وبذلك يتحقق المقصود النهائي من القرآن وهو الهداية - كما أسلفنا -أو تقوم الحجة عليهم في هذا الباب كما قامت في غيره من أبواب أخرى إن ظلوا على كفرهم مقيمين.

ونعود إلى اهتمام علماء المسلمين بهذا الجانب من جوانب الإعجاز في القرآن الكريم، لنجد أن جهوداً كبيرة قد بذلت في هذا المجال، ولعل من أبرز ما تمخضت عنه هذه الجهود: إنشاء هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في إطار رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، تلك الهيئة التي حددت أهداف نشاطها فيما يلي:

أولاً: وضع القواعد والمناهج، وطرق البحث العلمي التي تضبط الاجتهادات في بيان الإعجاز العلمي للقرآن والسنة.

ثانياً: إعداد جيل من العلماء والباحثين لدراسة المسائل العلمية والحقائق الكونية في ضوء ما جاء في القرآن والسنة.

ثالثاً: صبغ العلوم الكونية بالصبغ الإيمانية، وإدخال مضامين الأبحاث المعتمدة في مناهج التعليم في شتى مؤسساته ومراحله.

رابعاً: الكشف عن دقائق معاني الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث الشريفة المتعلقة بالعلوم الكونية في ضوء الكشوف العلمية الحديثة، ووجوه الدلالة اللغوية، ومقاصد الشريعة الإسلامية دون تكاليف.

خامسا: إمداد الدعاة والإعلاميين في العالم: أفراداً ومؤسسات بالأبحاث المعتمدة للانتفاع بها، كلٌ في مجاله.

سادسا: نشر هذه الأبحاث بين الناس بصورة متناسبة مع مستوياتهم العلمية والثقافية، وترجمة ذلك إلى لغات المسلمين المشهورة، واللغات الحية في العالم.

وكان من إصدارتها من الكتب في هذا المجال:

- علم الأجنة في ضوء الكتاب والسنة،
- المصّب والحواجر بين البحار في القرآن الكريم،
- تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة،
- أوجه الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في: أ-عالم النحل ب- اللين د- الحبة السوداء،
- علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة "باللغة الإنجليزية"،
- المفهوم الجيولوجي للجبال في القرآن والسنة "باللغة الإنجليزية"،
- إعجاز القرآن الكريم في وصف أنواع: الرياح والسحب والمطر،
- تأملات في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة حول:
- الإنسان في الارتفاعات العالية- الإحساس بالألم،
- الإعجاز العلمي في آيات السمع والبصر في القرآن الكريم،
- من أوجه الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في عالم البحار،
- إلى غير ذلك من الكتب، والأشرطة المرئية<sup>(1)</sup>.

ويطول بنا المقام إذا نحن حاولنا التوسع في ذكر الأمثلة والشواهد على الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ومع ذلك لا ينبغي أن يخلو البحث من مثل هذه الشواهد، وبخاصة ما التزم فيها

---

(1) يراجع ذلك في نهاية كتاب: (من أوجه الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في عالم النبات) ص: 46، 47 وهو من إصدارات الهيئة، تأليف: د. قطب عامر فرغلي، د. السيد محمد زيدان الطبعة الأولى سنة 1417هـ.

جانب الرشد وفق ما قدمناه من الضوابط، فلم يقطع فيه الباحث بأن ما ذكر فيه هو مراد الله تعالى، وإنما استشهد بالدلالة اللغوية لعبارة القرآن على ما كشف عنه العلم في الجانب العلمي.

وفي هذا الإطار نسوق قول الله تعالى في سورة النبأ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ۖ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۖ﴾ [النبأ:7].

ففي إبراز وجه الإعجاز العلمي فيها يقول الأستاذ الدكتور زغلول راغب النجار: (من أروع الحقائق الكونية التي وردت في هذا السياق أن الله تعالى قد جعل الجبال أوتاداً ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ۖ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۖ﴾ [النبأ:7].

ووصف الجبال بأنها أوتاد هو من أبلغ صور الإعجاز العلمي في كتاب الله، وهذه شهادة صدق بأن القرآن الكريم كلام الله، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو خاتم أنبيائه ورسوله، وأنه صلى الله عليه وسلم كان موصولاً بالوحي، معلماً من قبل خالق السموات والأرض ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:4].

(في الوقت الذي يصف فيه القرآن الكريم الجبال بأنها أوتاد قبل أربعة عشر قرناً، نجد كل المجامع اللغوية والعلمية إلى يومنا هذا تعرف الجبل بأنه: نتوء أرضي يرتفع بارزاً فوق ما يحيط به من الأرض بصورة تفوق ارتفاع التل، ويختلف الدارسون في تحديد ارتفاع كل من الجبل والتل، فبينما يضع بعضهم الحد الفاصل بين هذين الشكلين من أشكال سطح الأرض عند ارتفاع 305 أمتار فوق مستوى سطح البحر، نجد آخرين يرفعونه إلى ضعف هذا الرقم، ومن ثم فإنهم يقصرون الجبال على المرتفعات الأرضية التي تفوق 610 أمتار فوق سطح البحر، ويعتبرون كل ما دون ذلك من التلال أو الرى، والريوة عندهم هي التل المرتفع.

(وانطلاقاً من ذلك فإن "معجم مصطلحات علوم الأرض" يعرف الجبل بأنه: تل مرتفع، أو بصياغة أدق ربة مرتفعة، أو مرتفع أرضي يفوق في ارتفاعه الأراضي المجاورة له بشكل ملحوظ.

(... وفي معجم البيئة الطبيعية "الفطرية" يعرف الجبل بأنه: "نتوء أرضي مرتفع بشكل ملحوظ تحيط به منحدرات شديدة تصل ارتفاعاته إلى مستوى الجروف البارزة، أو القمم الفردية السامقة، وليس للجبل ارتفاع محدد، وإن وصل ذلك في بريطانيا عادة إلى ما فوق 600 متر أو 2000 قدم -إلا إذا ارتفع الجبل فجأة من أرض منخفضة محيطة به"

(وفي دائرة المعارف البريطانية الجديدة يعرف الجبل بأنه: "منطقة من الأرض تعلو الأراضي المحيطة بها نسبياً بشكل واضح، وتضيف: وعليه فإن ما يدعى بالتلال في مناطق السلاسل الجبلية العظيمة كجبال الهملايا تعد جبالياً لو وجدت في إطار منطقة أخرى أقل تضاريساً" (وبالمثل تعرف دائرة المعارف الأمريكية الجبل بأنه: جزء من سطح الأرض يرتفع فوق مستوى المنطقة المحيطة به" وتضيف: وبصفة عامة يتناقص ارتفاع السلاسل الجبلية على مراحل حتى يصل إلى مستوى السهول مروراً بمرحلة التلال، إلا أنه في بعض الأحوال تكون عملية الانتقال من الجبال إلى السهول فجائية على هيئة منحدرات شديدة:

ويتضح مما تقدم أن جميع التعريفات البشرية للجبال، اللغوية منها والعلمية تقتصر على تضاريس الأرض الناتئة بشموخ فوق باقي المناطق الأرضية المحيطة بها، سواء كانت تتميز بقمم سامقة أم لا، أو بسفوح متدرجة في الانخفاض، أو فجائية في الانحدار، التي عادة ما توجد في مجموعات متوازنة أو شبه متوازنة من الأطواق الطولية، أو المجموعات أو النظم أو السلاسل الجبلية، أو في محاور جبلية عملاقة للقارات، توجد بينها اتجاهات سائدة لمحاورها الطولية، وإن كان من الممكن للجبل أن يوجد على هيئة مرتفع منفرد معزول.

(إن الدراسات الميدانية قد أثبتت منذ منتصف القرن الثامن عشر الميلادي أن القشرة الأرضية تزداد في السمك تحت كل التضاريس المرتفعة فوق سطح البحر مثل- الجبال، الربى، التلال، الهضاب، القارات- ويبلغ سمك القشرة الأرضية مداه في المناطق الجبلية، حيث تندفع مادة الجبل لتخترق الغلاف الصخري للأرض- الذي يبلغ سمكه في المتوسط مائة كيلومتر- لتطفو في مادة لزجة شبه منصهرة، عالية الكثافة، توجد تحت الغلاف الصخري للأرض مباشرة، وتعرف باسم-النطاق الضعيف- وتحكم مادة الجبل الطافية في نطاق الضعف هذا قوانين الطفو التي تؤمن لكثلة الجبل دعماً طافياً يعين الجبل على الانتصاب فوق سطح الأرض، وسبحان القائل:

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۖ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۖ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ

نُصِبَتْ ۖ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۖ﴾ [الغاشية:20]

وكلما أخذت عوامل التعرية من قمم الجبال ارتفعت تلك الجبال بفعل مادة وشاح الأرض، ويظل الأمر كذلك حتى تتساوى تلك الامتدادات العميقة للجبال مع سمك الغلاف الصخري للأرض، وحينئذ يتوقف الجبل عن الارتفاع وتصل الامتدادات العميقة للجبال إلى أضعاف

مضاعفة لارتفاعها فوق سطح الأرض، وتتراوح بين عشرة أضعاف وخمسة عشر ضعفا بناء على التباين في كثافة الصخور المكونة للكتلة الجبلية.

(... وعلى ذلك: فإن امتدادات الجبال تحت سطح الأرض تفوق ارتفاعاتها فوق سطحها بأضعاف مضاعفة، تصل إلى أكثر من خمسة عشر ضعفا، فقمة: إفرست" التي يبلغ ارتفاعها فوق سطح البحر حوالي التسعة كيلومترات تقريبا (8848 متر) لها امتدادات في الغلاف الصخري للأرض يصل إلى حوالي 135 كيلو مترا.

(وهنا تتضح صورة من أروع صور الإعجاز العلمي في القرآن الكريم الذي نزل قبل أربعة عشر قرنا ليصف الجبال بأنها "أوتاد" ففي كلمة واحدة -أوتاد- شمل التعبير القرآني وصف كل من الشكل الخارجي للجبال فوق سطح الأرض، وامتداداتها العميقة تحت ذلك السطح، كما وصف وظيفة الجبال، وهي تثبيت الغلاف الصخري للأرض في مادة الوشاح اللدنة، الموجودة تحت ذلك الغلاف الصخري مباشرة، تماما كالوتد الذي يندس معظمه تحت سطح الأرض، بينما يرتفع الجزء الأصغر منه فوق ذلك السطح.

(فسبحان الذي أنزل هذا الوصف الدقيق للجبال قبل أربعة عشر قرنا على خاتم أنبيائه ورسله، وسبحان الذي حفظ لنا هذا الوصف الدقيق شاهداً على أن القرآن الكريم كلام الله الذي أبدع هذا الكون بعلمه وحكمته وقدرته)<sup>(1)</sup>.

بقى بعد ذلك أن ننبه إلى وجوب وضع هذا الوجه من الإعجاز في موضعه الصحيح، فإننا وإن قلنا به، ورجبنا فيه، وعددناه وسيلة لدعوة فريق من الناس إلى الحق، إلا أن ذلك ليس معناه أن كون القرآن حقا وصدقا يتوقف على القول بالإعجاز العلمي، حتى يتكلف البعض ذلك تكلفاً يوقع في أخطاء تعود في النهاية على الباحث في هذا المجال بعكس مقصوده، فالقرآن الكريم قد ثبت صدقه وكونه حياً من عند الله تعالى بما سبق من وجوه الإعجاز الأخرى وبغيرها من الأدلة. ومن ثم فنحن مع الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى عندما نعى على المتكلمين في هذا الأمر، وبين كيفية التعامل مع هذا الوجه من الإعجاز في اعتدال لا شطط فيه ولا غلو، قال رحمه الله:

(1) مجلة (الفاصلة) : العدد 7، المجلد: 43 رجب سنة 1415هـ -ديسمبر سنة 1994، مقال بعنوان: " من آيات الإعجاز العلمي في القرآن " أد/زغلول النجار من ص 1 إلى ص 4.

(وكل محاولة لتعليق الإشارات القرآنية العامة بما يصل إليه العلم من نظريات متجددة متغيرة- أو حتى بحقائق علمية ليست مطلقة كما أسلفنا -تحتوى أولاً على خطأ منهجي، كما أنها تنطوي على معان ثلاثة كلها لا يليق بجلال القرآن الكريم:

الأولي: هي الهزيمة الداخلية التي تخيل لبعض الناس أن العلم هو المهيمن والقرآن تابع، ومن هنا يحاولون تثبيت القرآن بالعلم، أو الاستدلال له من العلم، على حين أن القرآن كتاب كامل في موضوعه، ونهائي في حقائقه، والعلم ما يزال في موضوعه ينقض اليوم ما أثبتته بالأمس... والثانية: سوء فهم طبيعة القرآن ووظيفته، وهى أنه حقيقة نهائية مطلقة تعالج بناء الإنسان بناءً يتفق- بقدر ما تسمح به طبيعة الإنسان النسبية- مع طبيعة هذا الوجود وناموسه الإلهي، حتى لا يصطدم بالكون من حوله، بل يصادقه ويعرف بعض أسرارته..

والثالثة: هي التأويل المستمر - مع التمحل والتكلف- لنصوص القرآن كي نحملها ونلهث بها وراء الفروض والنظريات التي لا تثبت ولا تستقر، وكل يوم يجد فيها جديد.

(وكل أولئك لا يتفق وجلال القرآن، كما أنه يحتوي على خطأ منهجي كما أسلفنا، ولكن هذا لا يعني ألا ننتفع بما يكشفه العلم من نظريات- ومن حقائق - عن الكون والحياة والإنسان في فهم القرآن..كلا! إن هذا ليس هو الذي عنيناه بالبيان، ولقد قال الله سبحانه:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فُصِّلَتْ: 53].

ومن هذه الإشارة أن نظل نتدبر كل ما يكشفه العلم في الآفاق وفي الأنفس من آيات الله وأن نوسع بما يكشفه مدى المدلولات القرآنية في تصورنا<sup>(1)</sup>.

فالقول بالإعجاز العلمي للقرآن، والبحث فيه أمر لا بأس به، بل هو مرغوب ومطلوب فيما أشرنا إليه من زيادة يقين المؤمن لإيناسه وتثبيته على الحق بما يرى من دلائله آنأ بعد آن، وكذلك من إقامة الحجة على الكافر في مجال فتن البشر بمنجزاته في مرحلة من الزمن تقدمت فيها العلوم المادية تقدما غير مسبوق.

(1) في ظلال القرآن: 1/182، 183.

هذا وهناك وجوه الإعجاز ذكرها العلماء ولم نتطرق إليها لضيق المقام، وهي:

1- كون القرآن محفوظاً من الزيادة والنقصان على مر الدهور والأزمان.

2- تيسير حفظه.

3- شموله على جميع البراهين والأدلة على توحيد الألوهية والربوبية.

4- إعجاز القرآن في أسمائه وأوصافه.

5- إعجاز القرآن في حروف المعجم.

### رابعاً: القرآن والعلم:

لقد أعلى القرآن من شأن العلم وأهله فنجد في كتاب الله كثيرا من الآيات التي تحدثت عن فضل العلم وعلو منزلة أهل العلم، فمن ذلك تفضيل طالوت على قومه واستحقاقه الملك:

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 247]

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آدَمُ وَمُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمُ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 248]

وقد قرن الله شهادة أولي العلم بشهادته وشهادة الملائكة: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 18]

بل رفع الله من شأن الذين أوتوا العلم: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي

الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ

وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: 11].

وأمر نبيه ﷺ بطلب الزيادة منه: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَنْ

يُفْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114].

ودعا للتأمل في الكون: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ  
عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: 101].

## العلم

والعلم كما يرى بعض العلماء؛ علم بالله، وعلم بأمره، وعلم بخلقه، أو علم بالحقيقة، وعلم  
بالشريعة، وعلم بالخلقة، والعلم بالله أصل الدين، والعلم بأمره أصل العبادة، والعلم بخلقه أصل في  
صلاح الدنيا.

لقد دعا الإسلام إلى العلم بالله، من خلال التفكر في خلق السماوات والأرض، حيث تتابع  
الأمر به في سور القرآن، وعدّ الأساس الأول لبناء دعائم العقيدة والإيمان..

قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۚ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ۚ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ  
وَالرَّأْيِ ۚ﴾ [الطارق: 5-7].

وقال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۚ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۚ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۚ  
فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۚ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۚ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۚ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۚ وَفَكْهَةً وَأَبًّا ۚ  
﴾ [عبس: 24-31]

وقال أيضاً: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۚ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۚ وَإِلَى  
الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۚ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۚ﴾ [الغاشية: 17-20]

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ  
﴾ [يونس: 101].

والتفكر في خلق السماوات والأرض نوع من العبادات، بل هو من أرقى العبادات،

ففي صحيح ابن حبان عن عطاء، قال: دَخَلْتُ أَنَا وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ، عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ لِعُبَيْدِ بْنِ  
عُمَيْرٍ: قَدْ أَنْ لَكَ أَنْ تَرُورَنَا، فَقَالَ: أَقُولُ يَا أُمُّهُ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ: زُرْ غَبًّا تَزِدُّ حُبًّا، قَالَ: فَقَالَتْ:  
دَعُونَا مِنْ رَطَائِكُمْ هَذِهِ، قَالَ ابْنُ عُمَيْرٍ: أَخْبَرِينَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتِهِ مِنْ [ص: 387] رَسُولِ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَسَكَتَتْ ثُمَّ قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي، قَالَ: «يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي

أَتَعَبُدُّ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي» قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّ فُرْبَكَ، وَأُحِبُّ مَا سَرَكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ حِجْرَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ لِحَيْثُهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بِأَلِّ يُؤَدِّنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَأَهُ يَبْكِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟، قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيَلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا» ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران:190]. «الآية كُلُّهَا [5: 47]<sup>1</sup>

انظر إلى الشمس، وَسَلُّ مَنْ رَفَعَهَا نَارًا، وَمَنْ نَصَبَهَا مَنْارًا، وَمَنْ ضَرَبَهَا دِينَارًا، وَمَنْ عَلَقَهَا فِي الْجَوِّ سَاعَةً، يَدْبُ عَقْرِبَاهَا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَمَنْ الَّذِي آتَاهَا مِعْرَاجَهَا، وَهَدَاهَا أُدْرَاجَهَا، وَأَحْلَاهَا أُبْرَاجَهَا، وَنَقَلَ فِي سَمَاءِ الدُّنْيَا سِرَاجَهَا، الزَّمَانُ هِيَ سَبَبُ حَصُولِهِ، وَمُنْتَشَعُ فُرُوعِهِ وَأَصُولِهِ، وَكُتَابِهِ وَفُصُولِهِ، لَوْلَاهَا مَا انْتَسَقَتْ أَيَّامُهُ، وَلَا انْتَضَمَتْ شُهُورُهُ وَأَعْوَامُهُ، وَلَا اخْتَلَفَ نَوْرُهُ وَظِلَامُهُ، ذَهَبُ الْأَصِيلِ مِنْ مَنَاجِمِهَا، وَالشَّفَقُ يَسِيلُ مِنْ مَحَاجِمِهَا، تَحَطَّمَتِ الْقُرُونُ عَلَى قَرْنِهَا، وَلَمْ يَمَحُ التَّقَادُمُ لَمِحَةً حُسْنِهَا.

لقد صدق الله العظيم إذ يقول: ﴿سُنُّرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ﴾ [فصلت: 53].

وانظر إلى القلب، في فعله وأثره، وعرضه ووطره، وقدره وقدره، وحيطانه وجدره، ومنافذه وحجره، وأبوابه وسنوره، وكهوفه وحفره، وجدوله وغديره، وصفائه وكدره، ودأبه وسهره، وصبره وحذره، وعظيم خطره، لا يغفل ولا يغفو، ولا ينسى ولا يسهو، ولا يعثر ولا يكبو، ولا يخمد ولا يخبو، ولا يمل ولا يشكو، وهو دائب صبور، بأمر الذي أحسن خلقته، وأعد له عدته، وأوقد فيه جذوته، وقدر له أجله ومدته، يعمل من دون راحة، ولا مراجعة ولا توجيه.

لقد صدق الله العظيم إذ يقول: ﴿سُنُّرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: 53].

(1) صحيح ابن حبان ص 386 رقم الحديث 620 المكتبة الشاملة

[تعليق الألباني]

حسن - «الصحيحة» (68)، «التعليق الرغيب» (2/ 220).

[تعليق شعيب الأرنؤوط]

إسناده صحيح على شرط مسلم.

وانظر مع سيدنا علي رضي الله عنه.. (انظر إلى النملة في صغر جثتها، ولطافة هيئتها، لا تكاد تُنال بلحظ البصر، ولا بمستدرَك الفكر، كيف دبَّت على أرضها، وصبَّت على رزقها، تنقلُ الحبة إلى جحرها، وتعدُّها في مستقرِّها، تجمع في حرِّها لبرِّدها، وفي ورِّدها لصدرها، مكفولة برزقها، مرزوقة بوسقها، لا يغفلها المئان، ولا يجرمها الديان، ولو في الصفا الوابد، والحجر الجامد، ولو فكَّرت في مجاري أكلها، في علوها وسفلها، وما في الجوف من شراسيف بطنها، وما في الرأس من عينها وأذنها، لرأيت من خلقها عجباً، ولقيت من وصفها تعباً، فتعالى الذي أقامها على قوائمها، وبناهها على دعائمها، لم يشركه في فطرتها فاطرٌ، ولم يُعنه على خلقها قادرٌ).

لقد صدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: 38]

هذا عن العلم بالله، علم الحقيقة، فماذا عن العلم بأمر الله، علم الشريعة؟

إنَّ الإنسانَ إذا تفكَّر في خلقِ السماواتِ والأرضِ، فعرفَ اللهَ خالقاً ومربياً ومسيراً، وعرفَ طرفاً من أسمائه الحسنَى، وصفاته الفضلى، يشعرُ بدافعِ قوِيٍّ إلى التقربِ إليه من خلالِ امتثالِ أمره، واجتنابِ نهيه، عندها يأتي علمُ الشريعةِ لبيِّنَ أمرِ الله ونهيه، في العباداتِ والمعاملاتِ والأخلاقِ.

والشريعةُ عدلٌ كُلُّها، ورحمةٌ كُلُّها، ومصالحُ كُلُّها، وحكمةٌ كُلُّها، فكلُّ مسألةٍ خرجتُ عن العدلِ إلى الجورِ، وعن الرحمةِ إلى ضدها، وعن المصلحةِ إلى المفسدةِ، وعن الحكمةِ إلى العبثِ، فليست من الشريعةِ، وإن أُدخلتُ عليها بألفِ تأويلٍ وتأويلٍ.

قال عليه الصلاة والسلامُ فيما رواه البخاري في صحيحه: "مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي

الدِّينِ"<sup>1</sup>.

بقي علمُ الخليقةِ، لقد دعا الإسلامُ إلى العلمِ بطبائعِ الأشياءِ وخصائصِها، والقوانينِ التي تحكمُ العلاقةَ بينها، كي نستفيدَ منها، تحقيقاً لتسخيرِ اللهِ جلَّ وعلاَ الأشياءِ لنا.. قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان: 20].

(1) صحيح البخاري كتاب العلم رقم الحديث 71 طبعة المكتبة الشاملة

﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد:25].

وتعلم العلوم المادية يحقق عمارة الأرض عن طريق استخراج ثروتها، واستثمار طاقاتها، وتذليل الصعوبات، وتوفير الحاجات، تحقيقاً لقوله تعالى:

﴿وَالِى نَمُودَ أَخَاهُمْ صَاحِبًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود:61]

وتعلم العلوم المادية، والتفوق فيها قوة، يجب أن تكون في أيدي المسلمين، ليجابها أعداءهم، أعداء الحق والخير والسلام، وتحقيقاً لقوله تعالى:

﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال:60]

لأن قوة هذا العصر في العلم، بل إن الحرب الحديثة ليست حرباً بين ساعدين، بل هي حرب بين عقليين، فينبغي أن يكون المسلم قوياً، لأن الحق الذي يحمله يحتاج إلى قوة، فقد قال عليه الصلاة والسلام: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير" (1).

ووعده سبحانه أنه سيرى عباده آيات تدل على الحق: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:53].

وقال عطاء وابن زيد: في الأفاق يعني أقطار السموات والأرض من الشمس والقمر والنجوم، وآيات الليل والنهار، والأضواء، والظلال والظلمات والنبات والأشجار والأنهار، وفي أنفسهم من لطيف الصنعة، وبديع الحكمة، في كيفية تكوين الأجنة في ظلمات الأرحام، وحدوث الأعضاء العجيبة، والتركيبات الغريبة، كقوله: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:21]، يعني نريهم هذه الدلائل ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت:53] من عند الله يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم، وأنه مرسل من عند الله.

(1) موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن والسنة : محمد راتب النابلسي

فإن قيل: هذا الوجه ضعيف، لأ، قوله تعالى ﴿سُنُّرِهِمْ ءَأَيَّتِنَا ...﴾ [فُصِّلَتْ: 53] يقتضي أنه تعالى ما أطلعهم على تلك الآيات إلى الآن وسيطلعهم عليها بعد ذلك، والآيات الموجودة في العالم الأعلى والأسفل قد أطلعهم عليها قبل ذلك فيعتذر حمل اللفظ على هذا الوجه.

فالجواب: أن القوم وإن كانوا قد رأوا هذه الأشياء إلا أن العجائب (التي أودعها الله تعالى في هذه الأشياء مما لا نهاية لها فهو تعالى يطلعهم على تلك العجائب زماناً فزماناً؛ لأن كل أحد رأى بنية الإنسان وشاهدها، إلا أن العجائب) إلى أبداعها الله تعالى في تركيب هذا البدن كثيرة وأكثر الناس لا يعرفونها، والذي وقف على شيء منها كلما ازداد وقوفاً على تلك العجائب ازداد يقيناً وتعظيماً، وكذلك التركيبات (الفلكية أيضاً) .

والأولى أن يقال: إن كان المراد بقوله: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ وهو الرسول فقول مجاهد أولى وإن كان المراد به الدين والتوحيد فهذا أولى.<sup>(1)</sup>

---

(1) اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998م، ص 159.

## القسم الأول

### الدراسة النظرية للإعجاز العلمي في القرآن الكريم

وفيه أربعة فصول:

- الفصل الأول: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وتاريخه.
- الفصل الثاني: الإعجاز العلمي بين القبول والرفض.
- الفصل الثالث: الإعجاز العلمي وعلاقته بالعلم التجريبي.
- الفصل الرابع: القواعد التفسيرية في ضوابط الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

## الفصل الأول

### الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وتاريخه

وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: تعريف الإعجاز العلمي من خلال القرآن الكريم.
- المبحث الثاني: تاريخ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.
- المبحث الثالث: المؤلفات في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

## المبحث الأول

### تعريف الإعجاز العلمي من خلال القرآن الكريم

" أولا: مفهوم الاعجاز:

لم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة مصطلح الاعجاز أو لفظة معجزة إلا في وقت متأخر بعض الشيء، في أواخر القرن الثاني الهجري وبداية القرن الثالث. غير أن القرآن الكريم استعمل مجموعة من الالفاظ ليست مرادفة (للفظة معجزة أو إعجاز) وإنما تدل على جزء من معناها الذي يشمل أكثر من معنى جزئي واحد. وهذا الجزء يقابل كلمة دليل أو حجة<sup>(1)</sup>.

الآية: يقول تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنَنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:109].

البرهان: ﴿فَدْنِكَ بُرْهَانٍ مِّن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾ [القصص:32]

السلطان: قال عز وجل: ﴿قَالُوا إِنَّا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ﴾ [إبراهيم:10].

البينة: قال تبارك وتعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف:73]<sup>(2)</sup>

وهذا يدل على أن لفظ (الإعجاز) جاء متأخرا لكنه صار أكثر استعمالا

(1) نعيم الحمصي، فكرة اعجاز القرآن من البعثة النبوية الى عصرنا الحاضر، مؤسسة الرسالة بيروت، 1980، ط/2، ص7.

(2) من مقال أ. عبد القادر جعيد، من موقع مركز البحث في العلوم الاسلامية والحضارة - الأغواط. الرابط:

" التعريف اللغوي: مادة (ع-ج-ز). الشائع في الاستعمال من هذه المادة أصلاً، الأصل الأول (عجز) والعجز: مؤخّر الشيء، والعجز الضعف<sup>(1)</sup>، قال الراغب الاصفهاني<sup>(2)</sup>: أصل العجز التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر، أي مؤخّره، وصار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة<sup>(3)</sup>.

و يقال: عجز يعجز عجزاً فهو عاجز؛ أي ضعيف. ويقال: أعجزني فلان، إذا عجزت عن طلبه وإدراكه<sup>(4)</sup> وقال ابن منظور<sup>(5)</sup>: العجز نقيض الحزم<sup>(6)</sup>. وقد وردت مشتقات هذه المادة للدلالة على عدد من المعاني القريبة أو المغايرة قليلاً لذلك في ستة وعشرين موضعاً من القرآن الكريم بألفاظ (أعجز)، و (معجزين)، و (عجوز)، و (أعجاز)، وتصريفاتها مثل قوله تعالى:

﴿ قَالَ يُؤَيِّلَتِيَ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ ﴾ [المائدة: 31]

﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ [الأنعام: 134]

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾ [الأنفال: 59]

(1) الجوهري (اسماعيل بن حماد)، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، ت-أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، القاهرة، ط/1، 1956، ج/3، ص883.

(2) الرَّاْغِبِ الْأَصْفَهَانِي (000 - 502 هـ = 000 - 1108 م)

الحسين بن محمد بن الفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرب بالإمام الغزالي. من كتبه (محاضرات الأدباء - ط) مجلدان، و (الذريعة إلى مكارم الشريعة - ط) و (الأخلاق) ويسمى (أخلاق الراغب) و (جامع التفاسير) كبير،...

(3) الراغب الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، دار العلم، دمشق، 2009، ط/4، ص547.

(4) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ت عبد السلام هارون، دار الفكر، ج/4، ص231.

(5) ابن مَنْظُور (630 - 711 هـ = 1232 - 1311 م)

محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، صاحب (لسان العرب): الإمام اللغوي الحجة. من نسل رويغ بن ثابت الأنصاري. ولد بمصر (وقيل: في طرابلس الغرب) وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة. ثم ولي القضاء في طرابلس.

وعاد إلى مصر فتوفي فيها، وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، وعمي في آخر عمره.

(6) ابن مَنْظُور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ط/جديدة، ج/4، ص2816.

﴿قَالَتْ يَوَيْلَ لِيَءَأْيُدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود:72] (1) (2).

فلفظ (عجز) تدل على الضعف وعدم القدرة والقصور عن عن الطلب وإدراك الشيء.

" مادة(ج-ز-ع) الاصل الثاني،والجزع ما يحس به المرء من القلق والاضطراب وضيق

الصدر أو عدم الصبر.

وهو قطع امتداد السكون وحالة الطمأنينة والصبر حتى يظهر منه ما يخالف السكون وينقطع

حاله الممتد تقديرا، وقد جاء هذا اللفظ في القرآن الكريم مرتين، جاء بصيغة الفعل وذلك في قوله

تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَرَغْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم:21].

و جاء بصيغة الاسم قال تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ [المعارج:20]. (3)

ونلاحظ أن معنى (جزع) يلتقي مع معنى (عجز) من حيث الضعف الموجود بسبب

الاضطراب والقلق.

" تعريف المعجزة لغة: مشتقة من الفعل الرباعي المهموز أعجز، ومصدره إعجاز وهي اسم

فاعل لحقته (الهاء) للمبالغة في الخبر كما وقعت المبالغة بالهاء في قولهم علامة وفهامة ونسابة،

وقيل: الهاء للنقل من الوصفية إلى الاسمية نحو ذبيحة حقيقة، نطيحة، فلفظة حقيقة أصله وصف.

**تعريف المعجزة اصطلاحا:** يُعرّف السيوطي المعجزة بأنها: (أمر خارق للعادة مقرون

بالتحدّي سالم من المعارضة) (4)، ويقول القاضي عبد الجبار الهمذاني (ت215هـ): "معنى قولنا

في القرآن أنه معجز؛ أنه يتعذر على المتقدمين في الفصاحة فعل مثله، في القدر الذي اختص

(1) زغلول راغب النجار، مدخل إلى دراسة الاعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية، دارالمعرفة، لبنان،

2009، ط1، ص142-143.

(2) من مقال أ. عبد القادر جعيد، من موقع مركز البحث في العلوم الاسلامية والحضارة - الأغواط. الرابط:

<https://www.crsic.dz/index.php/dep1/article-5>

(3) من مقال أ. عبد القادر جعيد، من موقع مركز البحث في العلوم الاسلامية والحضارة - الأغواط. الرابط:

<https://www.crsic.dz/index.php/dep1/article-5>

(4) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ت الفضل ابراهيم، المملكة العربية السعودية، ج/4، ص3.

به<sup>(1)</sup> ويقول الشريف الجرجاني<sup>(2)</sup> "الإعجاز في الكلام هو أن يؤدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق. كما قال أيضا: حدّ الإعجاز هو أن يرتقي الكلام في بلاغته إلى أن يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضتهم<sup>(3)</sup>،<sup>(4)</sup>".

**شروط المعجزة:** يذكر القرطبي<sup>(5)</sup> في كتابه (الجامع لأحكام القرآن) خمسة شروط لا يصح من دونها لحادث أن يسمى معجزة وهي:

- 1- الحادث ينبغي أن يكون ممّا لا يستطيعه إلا الله.
- 2- يجب أن يخرق قوانين الطبيعة.
- 3- أن يستشهد بها مدعي الرسالة على الله عز وجل.
- 4- يجب أن يكون الحادث الواقع موافقا لما قيل.
- 5- ألا يكون في استطاعة أحد أن يجري مثل هذا الامر<sup>(6)</sup>.

(1) القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج/16، ص226.

(2) الجُرْجَانِي (740 - 816 هـ = 1340 - 1413 م)

علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني: فيلسوف. من كبار العلماء بالعربية.

ولد في تاكو (قرب استراياد) ودرس في شيراز. ولما دخلها تيمور سنة 789هـ فرّ الجرجاني إلى سمرقند. ثم عاد

إلى شيراز بعد موت تيمور، فأقام إلى أن توفي. له نحو خمسين مصنفا، منها "التعريفات - ط ...

(3) الشريف الجرجاني - معجم التعريفات، ت-المنشأوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، ص30 رقم 235، ص74 رقم 683.

(4) من مقال أ. عبد القادر جعيد، من موقع مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة - الأغواط. الرابط:

<https://www.crsic.dz/index.php/dep1/article-5>

(5) القُرْطُبِي (000 - 671 هـ = 000 - 1273 م)

محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرَّح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين.

صالح متعبد. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسبوط، بمصر) وتوفي فيها.

من كتبه "الجامع لأحكام القرآن - ط "

(6) ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ص 71/70 المكتبة الشاملة

وبالرجوع إلى مصطلح (الاعجاز) فهم منه أنه لفظة مشتقة من إثبات (العجز) وهو الضعف وعدم القدرة<sup>(1)</sup> أما (إعجاز القرآن) فهو مركب إضافي، وقد عرفوه بقولهم إظهار صدق النبي ﷺ في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة -وهي القرآن- وعجز الاجيال بعدهم<sup>(2)</sup>.

أما الاستاذ محمد علي الصابوني فيعرفه بقوله: "إثبات عجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الاتيان بمثله، وليس المقصود من إعجاز القرآن هو تعجيز البشر لذات التعجيز أي تعريفهم بعجزهم عن الاتيان بمثل القرآن، فإن ذلك معلوم لدى كل عاقل، وإنما الغرض هو إظهار أن هذا الكتاب حق، وأن الرسول الذي جاء به رسول صدق، وهكذا سائر الأنبياء الكرام"<sup>(3)</sup>.

أما الاستاذ الرافعي فيرى أن الاعجاز شيئان: أحدهما: ضعف القدرة الانسانية في محاولة المعجزة، مزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته. وثانيهما: استمرار هذا الضعف على تراخي الزماني وتقدمه<sup>(4)</sup>.

### أنواع المعجزات:

لقد اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى أن تكون معجزاته منسجمة مع أحوال البشر الذين ظهرت فيهم، بما يتناسب مع فروقهم الفردية والجماعية وزمانهم ومكانهم، إذ الغاية من المعجزة تأييد الرسل وقيام الدليل على صحة دعواهم، ولهذا وجدنا العلماء يقسمون المعجزة إلى قسمين:

**1) المعجزة الحسية:** وهي التي تظهر في شكلها المادي المحسوس المشاهد للعيان تعتمد أساسا على خرق ما اعتاد الناس عليه وألفوه، وهي تحيا وتقنى مع صاحبها، وحجة في حق من شهدها، كما تتناسب مع ما اشتهر ونبغ فيه أقوام المرسلين حتى يكون التحدي دامغا ومثبنا لقدرة الله سبحانه وتعالى. وهذه بعض النماذج عليها.

(1) مدخل الى دراسة الاعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية، ص 142-143.

(2) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، ص 250.

(3) محمد علي الصابوني، البيان في علوم القرآن، دار الشهاب، ص 89-90.

(4) مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية-تاريخ آداب العرب، دار الكتاب ط/2، ج/2،

• معجزة ابراهيم عليه السلام: إلقاء ابراهيم عليه السلام في النار انتقاما منه لآلهتهم وعلى مشهد منها حتى تباركه ويكون وقعه رهيبا، وقدّر الله تعالى أن يقذف الخليل عليه السلام في النار والموكب الضال يتباشر بهلاكه، لكن صار الامر الى ما لا يسرهم قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء:69].

• معجزة موسى عليه السلام: لقد اشتهر قوم موسى بالسحر ونبغوا فيه، فكانت معجزة سيدنا موسى عليه السلام من جنس ما عرف قومه (العصا، اليد البيضاء) قال جلّ من قائل: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۗ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنُّظُرِينَ﴾ [الشعراء:33]

وتحدّاه قومه وجعلوا يوم الزينة موعدا لذلك، فلما رأى السحرة ما آلت إليه العصا كانوا أقدر الناس على فهمها فخرروا سجدا قال تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۗ فَأَلْقَىٰ السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ۗ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:47].

• معجزة عيسى عليه السلام: اشتهر قوم نبي الله المسيح عيسى عليه السلام في ميدان الطب ولقد برعوا فيه فكانت المعجزة مناسبة لهذا، فأبرأ الاكمه والابرص وأحيا الموتى بإذن الله. كما يقول سبحانه على لسان عيسى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:49].

(2) المعجزة العقلية: هي المعجزة التي تخاطب العقل، وتواجهه بكل ما فيه من قوى الادراك والاستبصار. وهذا النوع من المعجزات لا يقع من الناس موقعا متقاربا، وإنما يلقاه كل انسان بما لديه من إدراك وفهم، والقدرة على التفريق بين الخير والشر. ومعجزة القرآن من هذا النوع. فقد جاءت معجزة خاتم المرسلين "معجزة عقلية فكرية بلاغية، تناسب كون هذه الرسالة جاءت للناس كافة، وإلى الازمان عامّة...مرتكزة أساسا على عقل الانسان، فهو خاصية له وصفة

ذاتية فيه، لا تزول ولا تتبدل"<sup>(1)</sup>. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ

لَحَفِظُونَا ۗ﴾ [الحجر: 9]

فهي إذا تتوافق مع المرحلة التي وصلت اليها البشرية (مرحلة البلوغ والنضج) التي تجاوزت كل محسوس وملموس. وهو حجة على الناس كافة قال المولى عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: 28].

ومن مظاهر الاستعداد النفسي والعقلي في البيئة العربية تمهيدا للرسالة الخالدة، هي تلك الحركة الادبية التي وصلت إلى ذروتها، كتباري الشعراء والخطباء في الاسواق الادبية، وتعليق نتاجهم الشعري المتميز على باب الكعبة تبركا بها والاشادة بمن نبغ منهم، فلم يكن للعرب غير الكلمة تلطف أجواءهم وتأسر ألبابهم وتهيم بخيالهم وتقطع بهم وهج ورمضاء شبه الجزيرة العربية حتى لا يجدون نداها بين أضلاعهم، فهي الحمل الخفيف والسلوة إذا عز الانيس. نعم لقد أوحى إلى النبي وقد ملك القوم أعتة القول البليغ ولهم فيه القدر المعلى. "ولا ريب في أن القرآن أدهش العرب. وذلك لما وجدوا فيه من سحر البلاغة والتأثير في النفوس سواء المنكرة له أو المؤمنة به. ولهذا حار المشركون في وصفه.. فصاروا يصدون عنه وينأون عنه، ويصفونه مرة بأنه شعر، ومرة بأنه سحر، ولم يستطع فصحاؤهم انكار روعته في النفوس وتغلغله في القلوب"<sup>(2)</sup>، وهذا الوليد بن المغيرة يشهد مخيرا غير مكره قائلًا: "ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته. نعم يعترف بهذا وهو من هو في قومه، ولكن عناده وكبره؛ وتحت ضغوط المشركين من قومه دفعه أن يجحد بلسانه ما استقر في وجدانه. وهكذا لاح مفهوم التحدي في أفق صحراء قاحلة إلا من نور محمد ﷺ ومعجزته التي أيده الله جل شأنه بها والتي قال فيها: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ

(1) يوسف الحاج أحمد، موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن والسنة، مكتبة دار ابن حجر، دمشق 2003، ط/2، ص18.

(2) نعيم الحمصي، فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية الى عصرنا الحاضر، مؤسسة الرسالة لبنان، 1980، ط/2، ص17.

عَلَيْهِ النَّبَشْرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(1)</sup>.

مفهوم التحدي: لقد أنكر كفار قريش على سيدنا محمد ﷺ الرسالة واتهموه بالكذب، ونبذوه بالسحر قال تعالى: ﴿فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾ [المدثر: 24]

ووصفوه بالجنون، وقال قائلهم بأنه شاعر، ولم يكتفوا عند هذا الحد بل تحدّوه على أنهم قادرون على أن يأتيوا بمثله لو أرادوا، وجاء الوحي يتحداهم أن يأتيوا بكتاب من عند الله قال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [القصص: 49].

فلما لم يستجيبوا تحداهم أن يأتيوا بعشر سور من مثله، ثم تدرج معهم إلى سورة قال سبحانه: ﴿وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 23].

ثم غلق الباب واثبت عجزهم في الحاضر وفي المستقبل قالى تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 24].

وهكذا دعوى التحدي ظلت قائمة طيلة نزول الوحي وبعده بل هناك من إدعى النبوة بعد انتقال الحبيب ﷺ إلى الرفيق الاعلى كمسيلمة الكذاب وقد تتبأ باليمامة ومما سُجِّل عليه (الفيل ما الفيل وما أدراك ما الفيل، له ذنب وبيل، وخرطوم طويل) - (يا ضفدع يا بنت ضفدعين نقي ما تنقنين، نصفك في الماء ونصفك في الطين، لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين)،

كلام تمجّه الاسماع وترفضه الاذواق، ومنهم أيضا طليحة الاسدي، وسجاح بنت الحارث التميمية، وعبهلة بن كعب الملقب بالأسود العنسي الذي تتبأ باليمن، والجميع لم تسعفهم قرائحهم مجارة القرآن، فسقطت أقنعة المشركين وأبانت زيف ادعائهم.

ولقد اتفق كل من كتبوا في الاعجاز على أن القرآن معجزة وأنه دليل النبوة، وقد نال هذا الشرف دون غيره من الكتب السماوية، لأنّ نظمها ليس معجزا وإن كان ما يتضمنه من الاخبار

عن الغيوب معجزاً، وليس القرآن كذلك لأنه يشاركها في هذه الدلالة ويزيد عليها في أن نظمه معجز<sup>(1)</sup>.

### منهجية الدراسة في الاعجاز:

ليس المراد من هذا المحور الوقوف على مناهج اللغة كالمناهج الوصفية، والتاريخي الفيلولوجي، والتحليلي والمقارن، والتقابلي وإتمام الغرض هو الوقوف على طريقة المؤلفين في تحديد وجوه الاعجاز لأن الاعجاز في ذاته لا خلاف فيه، والسؤال الذي يطرح نفسه؛ لماذا لم يتكلم في موضوع الاعجاز أحد من علماء السلف كابن عباس أو غيره من العلماء؟، ولعل الجواب هو تهيئهم وحرصهم من أن يتكلموا بغير المراد منه، وصونا للقرآن أن يكون غرضاً للأراء والأهواء.

1- وجوه الاعجاز عند القدماء: لقد بدأت الأشارات الأولى على يد أبي عبيدة (110-209هـ) في كتابه (مجاز القرآن) والفراء<sup>(2)</sup> (ت 207هـ) في كتابه (معاني القرآن) ولكنها كانت دراسة لغوية بيانية أكثر منها في الاعجاز غير أنه حدث شبه اجماع العلماء على أن أول من تكلم في الاعجاز هو إبراهيم بن سيار النظام المعتزلي (ت 224هـ) شيخ الجاحظ وقال بالصرف (أي بأن الله أفقدهم القدرة على المعارضة أو سلبهم العلوم التي يمكن أن تعينهم على نظم كلام مضارع للقرآن ولولا ذلك لكان في مقدورهم الاتيان بمثله) وقد قال بهذا الرأي بعض من علماء المعتزلة منهم واصل بن عطاء البصري<sup>(3)</sup> (ت 131هـ)، والجاحظ<sup>(1)</sup>

(1) ابي بكر محمد بن الطيب الباقلائي، إعجاز القرآن، ت محمد صقر، دار المعارف، ط/1 ص 14.15.

(2) الفراء (144 - 207 هـ = 761 - 822 م)

يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد (أو بني منقر) أبوزكرياء، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو. ولد بالكوفة، وانتقل إلى بغداد، وعهد إليه المأمون بتربية ابنيه، وتوفي في طريق مكة. من كتبه "المقصود والممدود - خ" و " المعاني" ويسمى "معاني القرآن - ط" ...

(3) واصل بن عطاء (80 - 131 هـ = 700 - 748 م)

واصل بن عطاء الغزالي، أبو حذيفة، من موالى بني ضبة أو بني مخزوم: رأس المعتزلة (2) ومن أئمة البلغاء والمتكلمين له تصانيف، منها " أصناف المرجئة " و " المنزلة بين المنزلتين " و " معاني القرآن " ...

والرمانى<sup>(2)</sup> وابن سنان الخفاجى<sup>(3)</sup> (ت466هـ) وبعض علماء السنة منهم الامام الماوردى<sup>(4)</sup>  
البرصرى الشافعى (ت450هـ) الجوينى<sup>(5)</sup> الشافعى (ت478هـ)...

... والغزالي الطوسى<sup>(6)</sup> الشافعى (ت505هـ) والرازى<sup>(1)</sup> الشافعى (ت606هـ) وشمس الدين  
الاصبهانى<sup>(2)</sup> الشافعى (ت749هـ) والفقير احمد الخطيب الشربينى<sup>(3)</sup> الشافعى (ت977هـ)

(1) الجاحظ (163 - 255 هـ = 780 - 869 م)

عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى بالولاء، الليثى، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ: كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة  
الجاحظية من المعتزلة. مولده ووفاته في البصرة. فلج في آخر عمره. وكان مشوه الخلق. ومات والكتاب على  
صدره. قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه. له تصانيف كثيرة، منها: " الحيوان - ط " أربعة مجلدات، و " البيان  
والتبيين - ط " و " سحر البيان - خ " و " التاج - ط " ويسمى أخلاق الملوك، و " البخلاء - ط "...

(2) أبو الحسن الرُّمَّانِي (296 - 384 هـ = 908 - 994 م)

علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرمانى: باحث معتزلى مفسر. من كبار النحاة.

أصله من سامراء، ومولده ووفاته ببغداد. له نحو مئة مصنف، منها الأكوان " و " المعلوم  
والمجول " و " الأسماء والصفات " و " صنفة الاستدلال " في الاعتزال، سبعة مجلدات، كتاب " التفسير " و  
شرح أصول ابن السراج " و " شرح سيبويه " و " معاني الحروف - خ " رسالة صغيرة، لعلها المسماة " منازل  
الحروف - ط " و " النكت في إعجاز القرآن - ط " رسالة.

(3) ابن سِنَان الخَفَّاجِي (423 - 466 هـ = 1032 - 1073 م)

عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان، أبو محمد الخفاجى الحلبي: شاعر. أخذ الأدب عن أبي العلاء المعري  
وغيره. وكانت له ولاية بقلعة " عزاز " من أعمال حلب، وعصى بها، فاحتل عليه بإطعامه " خشكناجة " مسمومة،  
فمات. وحمل إلى حلب. له " ديوان شعر - ط " و " سر الفصاحة - ط ".

(4) المَاورُودِي (364 - 450 هـ = 974 - 1058 م)

علي بن محمد حبيب، أبو الحسن الماوردى: أفضى فضاة عصره. من المعلماء الباحثين، أصحاب التصانيف  
الكثيرة النافعة. ولد في البصرة، وانتقل إلى بغداد. نسبته إلى بيع ماء الورد، ووفاته ببغداد. من كتبه " أدب الدنيا  
والدين - ط " و " الأحكام السلطانية - ط "...

(5) الجُوَيْنِي (000 - 438 هـ = 1047 - م)

عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه الجوينى، أبو محمد: من علماء التفسير واللغة والفقهاء.  
ولد في جوين (من نواحي نيسابور) وسكن نيسابور، وتوفي بها. من كتبه " التفسير " كبير، و " التبصرة والتذكرة "  
وهو والد إمام الحرمين الجوينى...

(6) الغَزَالِي (450 - 505 هـ = 1058 - 1111 م)

محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسى، أبو حامد، حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف.  
مولده ووفاته في الطابران (قصبه طوس، بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر،

وابن حزم الظاهري<sup>(4)</sup> (ت456هـ) وابراهيم الانصاري المعروف باين سرراقة المالكي  
(ت662هـ) وابن جزري الكلبي<sup>(5)</sup> (ت749هـ) وشمس الدين بن سليمان

---

وعاد إلى بلده. نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غزّالة (من قرى طوس) لمن قال  
بالتخفيف. من كتبه (إحياء علوم الدين - ط) أربع مجلدات...

(1) الفخر الرّازي (544 - 606 هـ = 1150 - 1210 م)

محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي: الإمام المفسر. أوحد زمانه  
في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال  
له (ابن خطيب الري) رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة. أقبل الناس على كتبه في حياته  
يتدارسونها. وكان يحسن الفارسية. من تصانيفه (مفاتيح الغيب - ط) ثماني مجلدات في تفسير القرآن الكريم...

(2) الأصبهاني (674 - 749 هـ = 1276 - 1349 م)

محمود بن عبد الرحمن (أبي القاسم) ابن أحمد بن محمد، أبو الثناء، شمس الدين الأصفهاني، أو الأصبهاني:  
مفسر، كان عالما بالعقليات. ولد وتعلم في أصفهان. ورحل إلى دمشق فأكرمه أهلها، وأعجب به ابن تيمية. وانتقل  
إلى القاهرة فبنى له الأمير (قوصون) الخانقاه بالقرافة، ورتبه شيخا فيها، فاستمر إلى أن مات بالطاعون في القاهرة.  
من كتبه (التفسير - خ) في صوفية (دار الكتب الشعبية 1: 43) مخطوطة كاملة نفيسة (843 ورقة) كبير...

(3) الخطيب الشربيني (000 - 977 هـ = 1570 - 000 م)

محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين: فقيه شافعي، مفسر. من أهل القاهرة. له تصانيف، منها (السراج المنير -  
ط) أربعة مجلدات، في تفسير القرآن...

(4) ابن حزم (384 - 456 هـ = 994 - 1064 م)

علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد: عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام. كان في  
الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه، يقال لهم "الحزمية". ولد بقرطبة. رحل إلى بادية ليلة (من بلاد الأندلس)  
فتوفي فيها. أشهر مصنفاة "الفصل في الملل والأهواء والنحل - ط" وله "المحلى - ط" في 11 جزءا، فقه، و  
"جمهرة الأنساب - ط"

(5) ابن جزّي الكلبي (693 - 741 هـ = 1294 - 1340 م)

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزري الكلبي، أبو القاسم: فقيه من العلماء بالأصول واللغة. من أهل  
غرناطة. من كتبه "القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية - ط" بتونس، و "تقريب الوصول إلى علم  
الأصول" و "التسهيل لعلوم التنزيل - ط" تفسير، قال المقرئ: فقد وهو يحرض الناس يوم معركة طريف.

التركي المعروف بابن كمال باشا الحنفي<sup>(1)</sup> (ت 940هـ) أمّا علماء الشيعة فمنهم الشريف المرتضى<sup>(2)</sup> الكاظمي الشيعي (ت 436هـ) ونصر الدين الطوسي<sup>(3)</sup> الشيعي (ت 672هـ) وتتخصص وجهات نظرهم في ثلاثة اتجاهات هي:

- ذهبوا إلى أن نظم القرآن ليس معجزاً وإنما الصرفة هي المعجزة. وهما فريقان:
  - الاول يرى أن الله عزّ وجلّ سلبهم القدرة على المعارضة.
  - الثاني: أن الله تعالى صرف قلوبهم وهمهم مع وجود جميع الامكانيات لديهم للمعارضة.
- وهؤلاء يعتقدون أنّ نظم القرآن هو المعجز الأعظم، ولكنه ليس الوجه الوحيد للإعجاز ومنها الصرفة.
- وقسم ذهب إلى عدد من وجوه البيان والاسلوب والمعاني، وقالوا إنّ الصرفة وجه ضعيف ولكن لا حرج من القول به على سبيل التتزلّ في الجدل.

### (1) ابن كمال باشا (940 - 000 هـ = 1534 - 000 م)

أحمد بن سليمان بن كمال باشا، شمس الدين: قاض من العلماء بالحديث ورجاله. تركي الأصل، مستعرب. قال التاجي: قلما يوجد فن من الفنون وليس لابن كمال باشا مصنف فيه. تعلم في أدرنه، وولي قضاءها ثم الإفتاء بالآستانة إلى أن مات. له تصانيف كثيرة، منها (طبقات الفقهاء - خ) و (طبقات المجتهدين - خ)

### (2) الشريف المرتضى (355 - 436 هـ = 966 - 1044 م)

علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم، أبو القاسم، من أحفاد الحسين بن علي بن أبي طالب: نقيب الطالبين، وأحد الأئمة في علم الكلام والأدب والشعر. يقول بالاعتزال. مولده ووفاته ببغداد. له تصانيف كثيرة، منها " الغرر والدرر - ط " يعرف بأمالي المرتضى...

### (3) النصير الطوسي (597 - 672 هـ = 1201 - 1274 م)

محمد بن محمد بن الحسن، أبو جعفر، نصير الدين الطوسي: فيلسوف. كان رأساً في العلوم العقلية، علامة بالأرصاد والمجسطي والرياضيات. وصنف كتباً جليّة،

وقد أثبت العلماء المخلصون بالحجة والبرهان خطأ هذا الرأي وخروجه عن الجادة<sup>(1)</sup>. نذكر منهم الخطابي<sup>(2)</sup> والباقلاني، والقاضي عبد الجبار (ت415هـ) ومنهم الجاحظ رغم أنه أحد القائلين بها، حيث ردّ على شيخه قائلاً "فكتبت لك كتاباً أجهدت فيه نفسي، وبلغت أقصى ما يمكن مثلي في الاحتجاج للقرآن، والرد على الطعان، فلم أدع فيه مسألة لرافضي، ولا لحديثي، ولا لحشوي، ولا لكافر مباد، ولا لمنافق مقموع، ولا لأصحاب النظام، ولمن نجم بعد النظام، ممن يزعم أن القرآن حق، وليس تأليف بحجة، وأنه تنزيل وليس ببرهان ولا دلالة"<sup>(3)</sup>. والشيء الإيجابي في فكرة الصّرفة أنّها استنارت العقول والوجدان ودفعت بالعلماء إلى البحث والتتقيب في وجوه الإعجاز، فاهتدوا إلى بيان أسرار البلاغة في كتاب الله العزيز، فانقلب السحر على الساحر وكان في ثنايا الباطل الحق الإبلج، وكما قيل في المثل "رُبَّ ضارة نافعة". وخير ما يرد به على هؤلاء قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: 25].

ابراهيم الخطابي(ت388هـ) ألف رسالته(بيان إعجاز القرآن) وملخص رأيه" واعلم أنّ القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الالفاظ، في أحسن نظوم التأليف، مضمناً أصح المعاني"<sup>(4)</sup> كما التفت إلى الاثر الذي يتركه سماع القرآن الكريم في النفس، وجعله أحد وجوه الاعجاز. ويلاحظ على

(1) محمد ابو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي، مصر، 1998، ص81.

(2) حَمْدُ الْخَطَّابِيِّ (319 - 388 هـ = 931 - 998 م)

حمد بن محمد بن إبراهيم ابن الخطاب البستي، أبو سليمان: فقيه محدث، من أهل بست (من بلاد كابل) من نسل زيد بن الخطاب (أخي عمر بن الخطاب) له (معالم السنن - ط) مجلدان، في شرح سنن أبي داود، و (بيان إعجاز القرآن - ط) توفي في بست (في رباط على شاطئ هيرمند).

(3) الجاحظ، رسائل الجاحظ، ت عبد السلام هارون، فصل من كتابه في خلق القرآن، مكتبة الخانجي، مصر، 1979، ط/1، ج/3، ص287.

(4) للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ت زغول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط/3، ص27.

الخطابي أنه رفض القول بالصَّرْفَة، وكذا ما يتضمنه القرآن من الأخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان.

**علي بن عيسى الرماني (ت386هـ)** ذكر في رسالته (النكت في إعجاز القرآن) سبع أوجه للإعجاز هي:

- ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة.
- التحدي للكافة.
- الصَّرْفَة وهي عنده على وجهين، "منع داخلي ذاتي كائن في تركيب كل الانسان، ومنع خارجي بفعل الله تعالى حيث صرفهم عن المعارضة وإن لم يكن في مقدورهم"<sup>(1)</sup>.

• البلاغة (أعلى - وسطى - أدنى)

• الاخبار الصادقة المستقبلية.

• نقض العادة.

- وقياسه بكل معجزة. واختار البلاغة وأسهب في شرحها وجعلها ثلاث طبقات، العليا هي بلاغة القرآن، ثم قسم البلاغة الى عشرة أقسام. والمأخذ الذي أخذه العلماء على الزماني هو جعله الصَّرْفَة أحد وجوه الاعجاز؛ لأنّ هذا يتناقض مع الوجه البلاغي الذي اعتمده.

**أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت403هـ)** متكلم أشعري، وفي كتابه (إعجاز القرآن) يذكر ثلاثة أوجه كالاتي:

- الاخبار عن الغيوب. • قصص الاولين وأخبار الماضين.
- أنّه بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة الى الحد الذي يُعلم عجز الخلق عنه<sup>(2)</sup>. ويخلص إلى أنّ البديع (كلّ المباحث والفنون البلاغية) ليست من وجوه الاعجاز، وأنه أمر مختص بالقرآن ولا يوجد في كلام البشر.

(1) ابراهيم بن منصور التركي، القول بالصرف في القرآن الكريم، مجلة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العربية السعودية، العدد الثاني، رجب 1430هـ/2009، ص167.

(2) الباقلاني، إعجاز القرآن، ت - أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ص33-35.

ولقد ظل ديدان العلماء في القرون التسعة الاولى على نفس الطرح، وإن كان منهم من يعدد وجوه الاعجاز إلى عشرة كما فعل القرطبي (ت648هـ)،

وإلى اثني عشر وجها عند الزركشي (ت794هـ) وقد لخص جلال الدين السيوطي (ت911هـ) جهود من سبقه في كتابيه (الاتقان في علوم القرآن) و(معتزك الاقرن في إعجاز القرآن) ذكر أن بعض العلماء أنهى وجوه الاعجاز إلى ثمانين<sup>(1)</sup>.

**2- وجوه الاعجاز عند المحدثين:** لقد عرف القرن الرابع عشر الهجري -العشرون ميلادي- حركة بحث في موضوع الاعجاز وإبراز وجوهه وألقوا فيه أسفاراً قيّمة وكان الدافع الرد على تلك الهجمة الشرسة التي قادها المستشرقون وما يحملونه من أفكار وضعية متجلية في مذاهب اجتماعية واقتصادية ورأسمالية واشتراكية مشككة في الدور الايجابي للدين، بل تفتيق التهم والشبهات للقرآن العظيم ولهذا تشكلت عندهم مجموعة من الاتجاهات منها:

**الاتجاه الاول: أصحاب النزعة العلمية:** لقد أهتم هؤلاء بوجوه الاعجاز من الناحية العلمية، وقد كان لهذه النزعة جذور في تاريخ الفكر الاسلامي عند أبو حامد الغزالي والقاضي عياض، وابن رشد<sup>(2)</sup> والامام فخر الدين الرازي ولكنها اشتدت في هذه الفترة وهي محاولة للتوفيق بين القرآن

(1) السيوطي، معتزك الاقران في اعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، لبنان، 1988، ط، 1/ مج/1، ص5.

(2) ابن رشد (520 - 595 هـ = 1126 - 1198 م)

محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ض الأندلسي، أبو الوليد: الفيلسوف. من أهل قرطبة. وصنف نحو خمسين كتاباً، منها " فلسفة ابن رشد - ط... وكان دمث الأخلاق، حسن الرأي. عرف المنصور (المؤمني) قدره فأجله وقدمه. واتهمه خصومه بالزندقة والإلحاد، فأوغروا عليه صدر المنصور، فنفاه إلى مراكش، وأحرق بعض كتبه، ثم رضي عنه وأذن له بالعودة إلى وطنه، فعاجلته الوفاة بمراكش، ونقلت جثته إلى قرطبة، قال ابن الأبار: كان يفرع إلى فتواه في الطب كما يفرع إلى فتواه في الفقه. ويلقب بابن رشد " الحفيد " تمييزاً له عن جدّه أبي الوليد...

والعلم، غير أن هناك من بالغ لحدّ الاسراف وتحميل النص ما لا يحمله كطنطاوي جوهرى<sup>(1)</sup> في كتابيه (تفسير الجواهر-والقرآن والعلوم العصرية) ومنهم أيضا مهدي الاستامبولي (دين الغد: معجزات القرآن الكريم في العلم والسياسة الاجتماع). وفرقة ثانية التزمت الاعتدال في الطرح ولم يستشهدوا الا بالمسلم به من المقررات العلمية المتطابقة مع النصوص القرآنية كالشيخ الامام محمد عبده -رحمه الله-والشيخ محمد رشيد رضا (تفسير المنار) وكعلي فكري<sup>(2)</sup> (القرآن ينبوع العلوم والعرفان) وكالشيخ متولي الشعراوي (معجزة القرآن) بل هناك من المستشرقين من لزموا الاعتدال (موريس بوكاي) في كتابه (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة).

**الاتجاه الثاني:** هناك من العلماء من اختار حصر وجوه الاعجاز في عناوين رئيسية تنضوي تحتها معظم تلك الوجوه، فجعلوها ثلاثة أقسام على النحو التالي:

- "الاعجاز اللغوي (البياني). وهو الذي وقع من جهته التحدي بالقرآن جملة وتفصيلا.
- الاعجاز العلمي.
- الاعجاز التشريعي التهذيبي الاجتماعي"<sup>(3)</sup>.

**الاتجاه الثالث أصحاب النزعة الادبية:** يقصر الاعجاز على الجانب البياني من القرآن لأنه الوجه الذي يبرز فيه التحدي أما ما فيه من حقائق علمية وأخبار الامم السابقة وكل الغيبيات هي

### **(1) طُنْطَاوِي جَوْهَرِي (1287 - 1358 هـ = 1870 - 1940 م)**

طنطاوي بن جوهرى المصرى: فاضل، له اشتغال بالتفسير والعلوم الحديثة. ولد في قرية عوض الله حجازي، من قرى (الشرقية) بمصر، وتعلم في الأزهر مدة، ثم في المدرسة الحكومية. صنف كتباً أشهرها (الجواهر في تفسير القرآن الكريم - ط) في 26 جزءاً، نحا فيه منحى خاصاً، ابتعد في أكثره عن معنى التفسير، وأغرق في سرد أقاصيص وفنون عصرية وأساطير. وتوفي بالقاهرة.

### **(2) علي فكري (1296 - 1372 هـ = 1879 - 1953 م)**

علي فكري ابن الدكتور محمد عبد الله، يتصل نسبه بالحسين: فاضل كثير المصنفات مولده ووفاته بالقاهرة. عمل في التدريس ثم كان أحد الكتّاب بوزارة المعارف، ونقل إلى دار الكتب المصرية سنة 1913 م، وصنف من الكتب

" القرآن ينتوع العلوم والعرفان - ط... "

(3) عبد الله الدراز، النبأ العظيم، دار القلم، الكويت، ص79.

دلائل نبوة المصطفى وأنّ هذا الكتاب هو من عند الله عزّ وجلّ، نذكر من هؤلاء مصطفى صادق الرافعي في كتابه (إعجاز القرآن) حيث يركّز على إعجاز القرآن بموسيقية آياته، والحس الروحي الذي يبعثه في نفس قارئه.

وأمين الخولي<sup>(1)</sup> في كثير من أعماله (البلاغة وعلم النفس - بحث البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها - التفسير معالم حياته ومنهجه اليوم) وهو ينتقد التفسير العلمي، وكذلك فعل الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر السابق - رحمه الله - ونعتقد أن موقفهم هذا المتشدد من أجل سدّ الباب أمام الغلاة.

ونذكر محمد عبد الله الدراز في كتابه (النبأ العظيم) حيث يقول "لعمري لئن كانت للقرآن في بلاغة تعبيره معجزات، وفي أساليب ترتيبه معجزات، وفي نبوءاته الصادقة معجزات، وفي تشريعاته الخالدة معجزات، وفي كل ما استخدمه من حقائق العلوم النفسية والكونية معجزات ومعجزات فلعلمي أنه في ترتيب آيه على هذا الوجه، لهو معجزة المعجزات"<sup>(2)</sup>.

والعالم الشهيد سيد قطب حيث يقول: "إن إعجاز القرآن أبعد مدى من إعجاز نظمه ومعانيه، وعجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله، وهو عجز كذلك عن إبداع منهج كمنهجه يحيط بما يحيط به"<sup>(3)</sup>.

وتذكر عائشة عبد الرحمن في كتابها (الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق) وهي تلخص قولها "وقصارى ما اطمأنتت إليه في هذه المحاولة لفهم إعجاز القرآن الكريم، هو أنه ما من لفظ فيه أو حرف يمكن أن يقوم مقامه غيره، بل ما من حركة أو نبرة لا تأخذ مكانها من ذلك البيان المعجز"<sup>(4)</sup>.

(1) أمين الخولي (1313 - 1385 هـ = 1895 - 1966 م)

أمين الخولي: من أعضاء المجمع اللغوي بمصر. ولد في قرية شوشاي بالمنوفية وتعلم بالأزهر تخرج بمدرسة القضاء الشرعي. ومثل مصر في عدة مؤتمرات. وتوفي بالقاهرة. له (البلاغة العربية - ط) محاضرة...

(2) نفس المرجع، ص 211.

(3) السيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، مصر، ط/32، 2003م، مج/4، ص 2250.

(4) عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف القاهرة ط/3، ص 286.

**الاتجاه الرابع:** وهذا الوجهة ترى أن الإعجاز كامن في المعان السامية للقرآن وتشريعه الحكيم والقيم الحضارية التي ينطوي عليها منهجه، فالقرآن معجزة لما في رسالته من تعليمات عليا، وغايات نبيلة، وأغراض شريفة، وأهداف سامية. ومن قال بهذا الرأي يتساءل لو كان إعجاز القرآن في فصاحته وبلاغته فحسب؛ كيف آمن به من غير العرب؟<sup>(1)</sup>.

**خاتمة:** وكخلاصة لهذا البحث نختم بها فنقول إنَّ الإعجاز هو ترجمة حقيقية لسمة القرآن الدائمة، ومن إعجازه أن الحديث عنه لا ينتهي، ورغم ما كُتب فيه قديما وحديثا، سواء كانت جهود فردية أو جماعية (مؤسسات) فإنهم لم يصلوا فيه إلى ساحل. ولهذا وجدنا الدكتور فاضل السامرائي يقول: " إنَّ أمر القرآن عجيب. يراه الاديب معجزا، ويراه اللغوي معجزا، ويراه أرباب القانون والتشريع معجزا، ويراه علماء الاقتصاد معجزا، ويراه المرَبُّون معجزا، ويراه علماء النفس والمعنيون بالدراسات النفسية معجزا، ويراه علماء الاجتماع معجزا، ويراه المصلحون معجزا، ويراه كل راسخ في علمه معجزا"<sup>(2)</sup>. بل وجدنا الدكتور أحمد رحمانى في كتابه (نظريات الإعجاز القرآني) يطلق على وجوه الإعجاز مصطلح نظرية ويدعو إلى مفهوم تضافر أوجه الإعجاز من أجل الوصول إلى تكامل في فهم النص القرآني مستثمرة بذلك كل الخبرات والمواهب والقوانين العلمية في إطار نظرية المعرفة الاسلامية. وصدق الله تعالى القائل في محكم تنزيله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبَسُوا الْحُلُمَ إِذْ دَخَلُوا فِي السَّمَاوَاتِ لِتُلْقِيَ السُّحُبَ مَاءً غَمَامًا فَدَسَقُوا مِنَ الْمَاءِ لَمْ يَكُن لَكُمْ فِيهَا صَاعٌ فَضْلًا ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 2].

(1) د غانم قدوري الحمد، محاضرات في علوم القرآن، دار عمار، عمان، ط/1، 2003، ص250.

(2) د-فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، دار عامر، عمان، ط/4، 2006 ص20.

## المبحث الثاني

### تاريخ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

فيما يلي سنسلط الضوء على تاريخ الإعجاز عبر العصور الإسلامية وجهود العلماء في التأليف في هذا الباب من أبواب العلم.

#### إعجاز القرآن على مر الزمان:

يقول الأستاذ: عبد الكريم الخطابي يعتبر الجاحظ أول من تصدى لهذا الأمر وجعله موضوعا خاصا للنظر والدراسة وقد توسع الجاحظ في مسألة سر الإعجاز والبلاغة وهل ذلك عائد إلى نظم القرآن وأسلوب صياغته أم هو عائد إلى المعنى؟ وفصل في ذلك ورجح.

وهذا الصنيع يدل كذلك على أن المسألة كانت مطروقة قبل الجاحظ وقد تكون ألفت فيها كتب وإن لم تصل إلينا، إلا أن الجزم بذلك غير ممكن.<sup>(1)</sup>

قضية الإعجاز: تأصيل تاريخي وأقوال في أوجه هذا الإعجاز.

شهد القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجريين مقولة النظام (ت سنة 224هـ) بالقول بالصرفة في إعجاز القرآن- كما سبق بيانه- وما إن شاعت تلك المقولة حتى استنفرت أمة القرآن بعقول العلماء لردها، وبيان بطلانها كما أوضحنا من قبل، وكذلك لإبراز أوجه إعجاز القرآن الكريم المتعددة.

فنهض أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت سنة 255هـ) في القرن الثالث الهجري لهذا الأمر، فصنف كتابا سماه: (نظم القرآن) وهو كتاب غير موجود، وإنما تشير إليه المراجع الأخرى من كتب الجاحظ نفسه، أو من كتب غيره.

تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن: (في القرن الثالث ظهرت كتب في الإعجاز تحمل في الغالب عنوان - نظم القرآن - وللجاحظ كتاب بهذا الاسم لم يصل إلينا وإن كان الجاحظ أشار إليه في كتابه "الحجج")<sup>(1)</sup>.

(1) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه : عبد الله المصلح

وقديما قبل ذلك أشار الباقلاني رحمه الله تعالى إلى هذا الكتاب وإن لم يورده في موضع الثناء، إذ رأى أنه لم يأت فيه بجديد يعول عليه، قال: (وقد صنف الجاحظ في "نظم القرآن" كتابا لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله، ولم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى)<sup>(2)</sup>.

وقد اختلفت الأنظار في حقيقة رأى الجاحظ في إعجاز القرآن، فالبعض يرى أن تلمذته للنظام أثرت في مذهبه في الإعجاز، وأنه تابع شيخه في القول بالصرفة وإن لم يصرح بذلك.

قال د. أحمد جمال العمرى: (وجاء الجاحظ وعملا بمبدأ الالتزام الأدبي النقلي تابع أستاذه النظام، وإن كان لم يذكر ذلك صراحة في بادئ الأمر، ولكنه تحفظ نوعا؟ ولعل تحفظه أن يصرح علانية بموافقة على رأى النظام كان نتيجة لردود الفعل التي أحدثها رأى النظام في المجتمع الإسلامى خاصة عند جماعة السلف، فلم يرد الجاحظ أن يكون هو الآخر هدفاً لهذا التيار الجارف الذى تعرض له أستاذه.. لذلك نراه يدور حوله أول الأمر، لكنه لا يعلنه صراحة)<sup>(3)</sup>.

بينما يرى الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله غير ذلك فيقول: (وإن أول ما كتب في إعجاز القرآن من ناحية البيان كان في الوقت الذى جاء فيه القول بالصرفة بين نفي وإثبات كما أشرنا، وأول من عرف أنه تصدى للكلام في الإعجاز في نظم القرآن هو الجاحظ تلميذ النظام، الذى أنكر عليه قوله، وعابه في منهاجه الفكرى من أنه يظن الظن، ثم يجعله أصلا يجرى عليه القياس مصححا لقياسه بالمنطق، والعيب في أصل القول الذى بنى عليه، لا في الأقيسة التى أجرى بها مشابهاته)<sup>(4)</sup>.

وعلى كل، فإنه حتى لو صح كلام القائلين بإضمار الجاحظ للقول بالصرفة وميله إليه فإن ذلك لا يغض من كونه أول من نهض لإبراز الإعجاز القرآنى في نظمه<sup>(5)</sup>.

(1) الإعجاز البيانى للقرآن: 19.

(2) إعجاز القرآن للباقلاني: 24.

(3) مفهوم الإعجاز القرآنى حتى القرن السادس عشر الهجرى: 49.

(4) المعجزة الكبرى: 62، 63.

(5) يراجع في ذلك: إعجاز القرآن للرافعى: 151.

وعرض بلاغة القرآن في آياته، في الإيجاز والحذف والزوائد والفصول والاستعارات، وجمع المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة إلى آخره، وقوله عن القرآن بصفة عامة: وفي كتابنا المنزل الذي يدل على أنه صدق: نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد مع ما سوى ذلك من الدلائل التي جاء بها من جاء به<sup>(1)</sup>.

وفي أواخر القرن الثالث الهجري وضع أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطي (ت سنة 306هـ) كتابا سماه (إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه) وهو يعد بناء على ما ابتدأه الجاحظ، وإلى كتاب الواسطي هذا ينسب الرافعي السبق في بسط القول في الإعجاز، فيقول، (بيد أن أول كتاب وضع لشرح الإعجاز وبسط القول فيه على طريقتهم في التأليف إنما هو فيما نعلم كتاب "إعجاز القرآن" لأبي عبد الله محمد بن يزيد الواسطي)<sup>(2)</sup>.

ثم جاء القرن الرابع الهجري، وفيه ألف أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (ت سنة 386هـ) كتابا صغيراً سماه: (النكت في إعجاز القرآن) وقد جاء في شكل جواب عن سؤال وجّه للرماني عن ذكر نكت إعجاز القرآن دون التطويل والحجاج، فلخص جوانب الإعجاز في وجوه سبعة:

- ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة.
- التحدي للكافة.
- الصرفة.
- البلاغة.
- الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية.
- نقص العادة.
- قياسة بكل معجزة.

لكنه يوجه الاهتمام من بينها إلى البلاغة، فيبين أنها على ثلاث طبقات،

(1) الحيوان: 4/85

(2) إعجاز القرآن: 152

- منها ما هو في أعلى طبقة.

- وما هو في أدنى طبقة.

- وما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة.

وبعد أن يشرح كل واحدة يجعل البلاغة في عشرة أقسام:

الإيجاز، والتشبيبة، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان، ثم يفسرها باباً باباً، مستشهداً لها بالقرآن، ثم يتكلم بإيجاز في آخر الرسالة على بقية أوجه الإعجاز الستة التي سبق له ذكرها<sup>(1)</sup>.

وفي القرن نفسه كتب أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (ت سنة 388هـ) الذي عاصر الرمانى (بيان إعجاز القرآن) وفيه أشار إلى أن الناس قد أكثروا الكلام في باب إعجاز القرآن قديماً وحديثاً، وذهبوا فيه كل مذهب، ولم يصدروا عن رأي، وناقش القول بالصرفة، وتعرض لما تضمنه القرآن من الإخبار عن غيوب المستقبل، وعدّه نوعاً من أنواع إعجازه، ولكنه لم يرتضه سراً للإعجاز وأساساً يعول عليه حيث إنه ليس بالأمر العام الموجود في كل سورة من سور القرآن، ثم انتقل إلى موضوع البلاغة وأن إعجاز القرآن من جهتها، وأن أكثر العلماء على ذلك، ولكنه عاب عليهم في تسليمهم هذه الصفة للقرآن نوعاً من التقليد، وضرباً من غلبة الظن دون التحقيق، وبدأ معالجة ذلك على طريقته هو، فذكر أقسام الكلام المحمود وهى:

- البليغ الرصين الجزل.

- الفصيح القريب السهل.

- الجائز الطلق الرّسل.

وأن القسم الأول أعلى طبقات الكلام وأرفعها، والثاني أوسطه وأقصده، الثالث أدناه وأقربه، وأن القرآن قد حازت بلاغته من كل قسم من هذه الأقسام حصة، كما بين أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني من: توحيد، وتحليل

(1) ينظر شواهد ذلك في رسالة (النكت في إعجاز القرآن) للرمانى، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن في

سلسلة ذخائر العرب، طبع دار المعارف ص 75 وما بعدها.

وتحريم، وأن الإتيان بمثل هذه الأمور، والجمع بين أشناتها حتى تنتظم وتتسق أمر تعجز عنه قوى البشر، وفي النهاية لفت النظر إلى وجه في الإعجاز ذهب عنه الناس -على حسب قوله- وهو صنيع القرآن بالقلوب وتأثيره القوى في النفوس<sup>(1)</sup>. "وهو ما يمكن أن نسميه بالإعجاز النفسى".

وجاء بعد ذلك واحد من أشهر من كتبوا في إعجاز القرآن وانتشرت كتبهم، وهو الإمام أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى (ت سنة 403هـ) فألف كتابه (إعجاز القرآن) الذى قال في سبب تأليفه (وسألنا سائل أن نذكر جملة من القول جامعة: تسقط الشبهات، وتزيل الشكوك التى تعرض للجهال، وتنتهى إلى ما يخطرلهم، ويعرض لأفهامهم، فأجبناه إلى ذلك متقربين إلى الله عز وجل، ومتوكلين عليه، وعلى حسن توفيقه ومعونته) .

وقد ذكر في الفصل الثالث<sup>(2)</sup>.

من هذا الكتاب جملة من وجوه الإعجاز متمثلة في: الإخبار عن الغيوب المستقبلية، وقصص الأولين، وبديع نظم القرآن، وعجيب تأليفه، وما فيه من الشريعة والأحكام التى يتعذر على البشر مثلها.

وفي الفصل الرابع<sup>(3)</sup>. يشرح عددا من هذه الوجوه، وهو في كل ذلك يذكر شواهد القرآن التى تؤيد كلامه.

وفي أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجرى أفرد القاضي عبد الجبار أحمد بن خليل بن عبد الله (ت سنة 415هـ) من كتابه "المغنى في أبواب التوحيد والعدل" البالغ عشرين جزءاً واحداً من هذه الأجزاء لإعجاز القرآن وهو الجزء السادس عشر.

يقول الدكتور/ عبد الفتاح لاشين: (وهو في هذا الجزء لايلقى الإعجاز لقاءً مباشراً، بل يقدم له بمباحث كثيرة تستنفد الجزء الأكبر من هذا الكتاب، فهو يقرر أولاً صحة القرآن وتواتر نقله،

(1) ينظر في شواهد ذلك رسالة (بيان إعجاز القرآن) للخطابى ضمن المصدر السابق: ص 21 وما بعدها.

(2) إعجاز القرآن للباقلانى: 24، 25.

(3) نفس المصدر: 84 وما بعدها.

والدواعى التى تقوم لهذا التواتر وتتضافر على الاحتفاظ به كاملاً بعيداً من أي تحريف أو تبديل.. ثم يتعرض للإعجاز، وينصب موازين البلاغة ليقيم بها الكلام البليغ<sup>(1)</sup>.

كما أفرد أبو محمد على بن أحمد بن حزم الظاهرى (ت سنة 456هـ) لإعجاز القرآن فصلاً من الجزء الثالث من كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل) تحدث فيه عن عدد من وجوه الإعجاز باختصار، وهو ممن نسب إليهم القول بالصرفة كما مر.

وفي القرن الخامس كذلك ألف الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانى (ت سنة 471هـ) كتابه (دلائل الإعجاز) الذى كشف فيه عن وجوه إعجاز القرآن كما رآها، وأنها في بلاغته وفصاحته، وردّ فيه على المعتزلة قولهم بالصرفة، وقد صرح بما يراه في إعجاز القرآن من أول الأمر، فقال (أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادقها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آية ومقاطعها، ومجارى ألفاظها ومواقعها)<sup>(2)</sup>.

كما كتب رسالة عنوانها (الرسالة الشافية في إعجاز القرآن)<sup>(3)</sup>.

وفيهما تناول بعض نواح من فكرة الإعجاز ركز فيها على موقف العرب المعاصرين لنزول القرآن من أمثال الوليد بن المغيرة، وعتبة بن ربيعة وغيرهما ممن أقرؤا راغمين أن القرآن ليس من كلام البشر.

وفي القرن السادس خصص القاضي عياض بن موسى إلحصبى (ت سنة 544هـ) فصلاً في الجزء الأول من كتابه: (الشفاء بتعريف حقوق المصطفى) لإعجاز القرآن بدأه بقوله: (اعلم وفقنا الله وإياك أن كتاب الله العزيز منطوق على وجوه من الإعجاز كثيرة، وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه: أولها حسن تأليفه والتثام كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب)<sup>(4)</sup>.

(1) بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار، وأثره في الدراسات البلاغية: 466.

(2) دلائل الإعجاز: 39.

(3) وهي الرسالة الثالثة من: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن التى سبق التنويه بها كما أنها مطبوعة في ذيل كتاب (دلائل الإعجاز) طبع دار المدنى، ط الثالثة 1413 هـ - 1992.

(4) الشفاء: 217/1.

ثم عرض لبقية وجوه الإعجاز فعدّ منها: صورة نظمة العجيب وأسلوبه الغريب، وما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات، وما أنبأ به من أخبار القرون السابقة، والأمم البائدة، والشرائع الدائرة إلى أن قال هذه الوجوه الأربعة بينة لانزاع فيها ولامرية<sup>(1)</sup>.

ثم عرض بعد ذلك لوجوه أخرى إجمالاً فقال (وقد عدّ جماعة من الأئمة ومقلدي الأمة في إعجازه وجوها كثيرة منها: أن قارئه لا يملّه، وسامعه لا يمجّه، بل الإكباب على تلاوته يزيد حلاوة، وترديده يوجب له محبه، ولا يزال غضا طربيا، وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع التردد، ويُعادى إذا أعيد، وكتابنا يستلذ به في الخلوات، ويؤنس بتلاوته في الأزمان)<sup>(2)</sup>.

ثم توالى المؤلفات في الإعجاز عبر القرون التالية،

فكتب الإمام فخر الدين الرازي (ت سنة 604هـ) كتابه (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز)

وكتب أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي<sup>(3)</sup> (ت سنة 626هـ) كتابه (مفتاح العلوم) وقد بحث فيه قضية الإعجاز، فبدأ عرض هذه القضية بالتسليم بأن إعجاز القرآن من جهة نظمه وبلاغته أمر لا نقاش فيه ولا جدال عليه، إلا أنه يلزم لإدراك ذلك - وهو لا يدرك إلا بالتذوق - ما يلزم من تربية حاسة الذوق التي تكشف عن أسرار القرآن وإدراك بلاغته وأساليبه، وذلك بتدريب المبتدئين، والأخذ بأيديهم ووضعها على مفاتيح العلوم التي تربي فيهم ذلك الذوق<sup>(4)</sup>.

(1) نفس المصدر: 229/1.

(2) الشفاء: 232/1.

(3) السكاكي (555 - 626 هـ = 1160 - 1229 م)

يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، سراج الدين: عالم بالعربية والأدب.

مولده ووفاته بخوارزم. من كتبه "مفتاح العلوم - ط" و "رسالة في علم المناظرة - خ"

(4) يراجع في ذلك: إعجاز القرآن ونظمه عند السكاكي للدكتور فوزى عبد ربه: 90.

وفي القرن السابع كذلك كتب أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي (ت سنة 671هـ) فصلا في مقدمة تفسيره: (الجامع لأحكام القرآن) ذكر فيه نكتا في إعجاز القرآن ووجوه ذلك الإعجاز عدّد فيها تلك الوجوه، وجعلها في عشرة:

- النظم البديع.
- الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب.
- الجزالة التي لا تصح من مخلوق بحال.
- التصرف في لسان العرب على وجه لا يستقل به عربي.
- الإخبار عن الأمور التي تقدمت في أول الدنيا إلى وقت نزوله، من أمى ما كان يتلو من قبله من كتاب ولا يخطه بيمينه.
- الإخبار عن المغيبات في المستقبل إلى آخر ما عدّه من ذلك<sup>(1)</sup>.

وفي القرن الثامن ألف بدر الدين الزركشى (سنة 794هـ) كتابه (البرهان في علوم القرآن) وضمّن مباحثه نوعاً في معرفه إعجاز القرآن الكريم، قال فيه بعد استعراض بعض المصنفات في الإعجاز، وبعد استعراضه آيات التحدى بالقرآن: (وإعجاز القرآن ذكر من وجهين: أحدهما إعجاز متعلق بنفسه، والثانى بصرف الناس عن معارضته) ثم رد القول بالصرفة من وجوه، وبعدها ذكر أوجها للإعجاز من بينها:

- تأليف القرآن ونظمه الخاص به،
- وكذلك ما فيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلية،
- وما تضمنه من إخباره عن قصص الأولين،
- وإخباره عن الضمائر - أى السرائر - من غير أن يبدو من أصحابها ما أكنته ضمائرهم من قول أو فعل، مثل قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ..﴾ (المجادلة: 8) ؟ إلى آخر تلك الأوجه<sup>(1)</sup>.

(1) يراجع ذلك في مقدمة تفسير القرطبي: 73/1 وما بعدها طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1987.

وفي القرن التاسع سلك برهان الدين بن عمر البقاعي<sup>(2)</sup> (ت سنة 885هـ) طريقة التطبيق في إظهاره لإعجاز القرآن، فألف كتابه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) جمع فيه من أسرار القرآن، وأتقن الكلام في فن المناسبات بين الآيات والسور كما ينبئ عنه اسم الكتاب، وهو من باب إعجاز القرآن في حسن تأليفه وتفرده في ذلك.

ثم كان القرن العاشر الذي شهد فارساً من فرسان هذا الباب، وعلماء من أعلام الإسلام، وهو الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت سنة 911هـ) الذي ألف سفره القيم (الإتقان في علوم القرآن) وضمنه ثمانين نوعاً من مباحث علوم القرآن، خصص النوع الرابع والستين منها للكلام في إعجاز القرآن، فقدم بين يدي الكلام في ذلك بذكر بعض من أفرد الموضوع بالتصنيف من أعلام العلماء الذين مضى ذكر كثير منهم، مثل: الخطابي والرماني والباقلاني والرازي وغيرهم، ثم تكلم على أنواع المعجزات، والفرق بين معجزات السابقين من الأنبياء ومعجزة النبي صلى الله عليه وسلم وهي القرآن، ثم عرض آيات التحدى، وردّ القول بالصرفة، ثم ذكر أقوال العلماء في وجه إعجازه، فلخص ما قاله السابقون في ذلك، ثم ختم بنقل ما أورده القاضي عياض في أوجه الإعجاز الأربعة، وما تلاها من أوجه ذكرناها عند الكلام عما تضمنه كتاب (الشفاء) في موضعه.

---

(1) البرهان في علوم القرآن: 101/2 وما بعدها.

(2) البقاعي (809 - 885 هـ = 1406 - 1480 م)

إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط - بضم الراء وتخفيف الباء - بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين: مؤرخ أديب. أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق. له (عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران - خ) أربع مجلدات،

وفي القرن الثالث عشر ألف العلامة شهاب الدين الألوسي<sup>(1)</sup> (ت سنة 1270هـ) تفسيره الموسوعي (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) وعلى عادة كثير من المفسرين قدم بمقدمات قيمة ضمنها فوائد جلية، جعل الفائدة السابعة منها في بيان وجه إعجاز القرآن، تكلم فيها على أوجه الإعجاز عند كثير من العلماء، ولم يرتض الكثير من أقوالهم خاصة ما قاله المعتزلة، وما قاله الجاحظ، وكذلك المرتضى من الشيعة، ورد أكثر هذه الأقوال، وناقش أقوالاً أخرى، حتى انتهى إلى أن قال: (وقد أطال العلماء الكلام على وجه إعجاز القرآن، وأتوا بوجوه شتى الكثير منها خواصه وفضائله، مثل الروعة التي تلحق قلوب سامعيه، وأنه لا يمله تاليه، بل يزداد حباً له بالترديد، مع أن الكلام يعادى إذا أعيد<sup>(2)</sup>).

وكونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله تعالى بحفظه، والذي يخطر بقلب هذا الفقير: أن القرآن بجملته وأبعاضه حتى أقصر سورة منه معجز بالنظر إلى نظمه وبلاغته، وإخباره عن الغيب، وموافقته لقضية العقل، ودقيق المعنى، وقد تظهر كلها في آية، وقد يستتر البعض كالإخبار عن الغيب، ولا ضير ولا عيب، فما يبقى كافٍ، وفي الغرض وافٍ<sup>(3)</sup>.

وفي القرن الرابع عشر تصدى مصطفى صادق الرافعي (ت سنة 1356 هـ) لقضية الإعجاز بكتاب قيم هو: (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) تكلم فيه على معنى الإعجاز ومذاهب القدماء فيه، ومؤلفاتهم في فنه، ثم تكلم على حقيقة الإعجاز، واشتدت وطأته على القائلين بالصرفة، كما نقد كثيراً من العلماء الذين ألفوا في الإعجاز مثل المرتضى من الشيعة وغيره.

---

(1) الألوسي (1250 - 1298 هـ = 1834 - 1881 م)

عبد الباقي بن محمود بن عبد الله، أبو اليمن، سعد الدين ابن شهاب الدين الألوسي: أديب عراقي حنفي، من بيت العلم في بغداد. مولده ووفاته بها. تخرج بأبيه. ورحل إلى استنبول وتقلد قضاء (كركوك) سنة 1292 وقضاء (بتليس) وحج. وصنف كتباً، منها (أوضح منهج إلى معرفة مناسك الحج - ط) و (القول الماضي فيما يجب للمفتي والقاضي - ط) و (الفوائد الألوسية على الرسالة الأندلسية - ط) عروض (2).

(2) يشير بذلك إلى ما قاله القاضي عياض في "الشفاء" مما ذكرناه قبل قليل.

(3) روح المعاني: 31/1.

ففي أول كلامه يحدد مفهومه للإعجاز فيقول: (وإنما الإعجاز شئان: ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته، ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه، فكأن العالم كله في العجز إنسان واحد ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت)<sup>(1)</sup>.

أما وجه الإعجاز الذي يرتضيه فيبينه بقوله (أما الذي عندنا في وجه إعجاز القرآن وما حققناه بعد البحث، وانتبهنا إليه بالتأمل وتصفح الآراء وإطالة الفكر، وإنضاج الروية، وما استخرجناه من القرآن نفسه في نظمه ووجه تركيبه، واطراد أسلوبه، ثم ما تعاطيناه لذلك من التنظير والمقابلة، واكتناه الروح التاريخية في أوضاع الإنسان، وآثاره وما نتج لنا من تتبع كلام البلغاء في الأغراض التي يقصد إليها، والجهات التي يعمل عليها، وفي رد وجوه البلاغة إلى أسرار الوضع اللغوي، التي مرجعها إلى الإبانة عن حياة المعنى بتركيب حي من الألفاظ يطابق سنن الحياة في دقة التأليف، وإحكام الوضع، وجمال التصوير، وشدة الملاءمة).

ثم يقول: (فالقرآن معجز في تاريخه دون سائر الكتب ومعجز في أثره الإنساني، ومعجز كذلك في حقائقه)<sup>(2)</sup>.

ومن بعد الرافي كتب الكثيرون في إعجاز القرآن، مثل: الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني في مبحث من مؤلفه (مناهل العرفان في علوم القرآن) والشيخ محمد عبد الله دراز في (النبأ العظيم) والشيخ بديع الزمان النورسي: (إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز) من (كليات رسائل النور) والشيخ محمد أبو زهرة في (المعجزة الكبرى) والدكتورة عائشة عبد الرحمن في (الإعجاز البياني للقرآن) إلى جانب العشرات من الرسائل العلمية الجامعية التي تتناول إعجاز القرآن في جوانبه المختلفة.

وهكذا نجد أنه لم يخل عصر من العصور عبر القرون الإسلامية المباركة سواء في فترات النشاط أو الفتور العلمي من تناول إعجاز القرآن بالتأليف تقعيداً أو تطبيقاً، مما ينطق بأن هذا المدد العلمي المتتابع إنما هو في ذاته أثر من آثار إعجاز القرآن الكريم.

(1) إعجاز القرآن للرافي: 139.

(2) نفس المصدر: 156.

أما أوجه الإعجاز التي تمخضت عنها هذه المؤلفات، والتي تعمقت في دراسات العلماء، ودرست باستفاضة، وسيقت لها الأمثلة والشواهد، فذلك ما سنلقى عليه الضوء فيما يلي.

لقد شغلت قضية الإعجاز القرآني مساحة كبيرة من الفكر الإسلامي على مر العصور ولا تزال تشغله حتى عصرنا الحاضر ولقد تدارسها كثير من العلماء والفلاسفة وأصحاب الكلام وكان لكل منهم وجهة نظره:

وإننا لنؤكد دومًا إن للإعجاز القرآني في كل عصر وجه ينكشف للناس ودليل جديد على صدق معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم.... والآن لنتعرف على آراء العلماء المسلمين قدامهم ومحدثيهم فيما يتعلق بالإعجاز القرآني كما يلي:

### آراء قدامى علماء المسلمين فيما يتعلق بقضية الإعجاز القرآني:

(الخطابي، ت: 319هـ):

ناقش الخطابي آراء السابقين في هذه القضية وفند بعضها وأكد الأخرى مثل تأكيده لمعجزة القرآن المتمثلة في امتناعه على الناس الإتيان بمثله ومثل الإعجاز في ذات القرآن ولكنه دحض فكرة الإعجاز بالصرف (وهي التي قال بها كبير المعتزلة أبو إسحاق النظام، وهي أن الله صرف همة الناس عن معارضة القرآن على الرغم من قدرتهم على معارضته. ولكن العائق هو صرف الله لهم عن ذلك.

كذلك فقد أكد الخطابي الإعجاز القرآني بالإخبار عن المغيبات السابقة واللاحقة، ولم يشك في ذلك كما أنه عول على بلاغة القرآن تعويلًا كبيرًا وجعل ذلك من أهم وجوه الإعجاز. وهو الذي يتصل بالوجدان والقلب والتأثير في النفوس.

الرماني (296 - 386هـ):

عرض الرماني وجهة نظره في وجوه الإعجاز التي يختص بها القرآن الكريم وحصرها في: البلاغة القرآنية، من إيجاز وتشبيه واستعارة وتلائم وفواصل وتجانس وتصريف وتضمين ومبالغة وحسن بيان. وكذلك تكلم في تحدى القرآن لكافة الناس أن يأتوا بمثله أو بصورة من مثله والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية.

الباقلاني (توفى 403هـ):

هو صاحب المؤلف إعجاز القرآن وقد حدد الإعجاز القرآني في ثلاثة وجوه:

- الإخبار عن المغيبات.

- وأمية الرسول صلى الله عليه وسلم.

- والنظم.

وقد أرجع الباقلاني جمال نظم القرآن إلى عشرة وجوه متكاملة تتسم بالدقة والعمق معاً وتدل على ترابط الجزئيات وتكامله

**القاضي عبد الجبار: (توفي 415هـ)**

أوضح رأيه في الإعجاز في كتابه المغنى وأنه ينحصر في جزالة اللفظ وحسن المعنى إلى درجة لم تبلغها بلاغة البلغاء أو فصاحة الفصحاء.

**الجرجاني: (توفي 471هـ):**

كان من العلماء الذين تناولوا إبراز وجوه الإعجاز في القرآن تناولاً دقيقاً وهذا واضح في كتابه: (دلائل الإعجاز)، وكتابه: (الرسالة الشافية).

ولكنه ركز في بحثه للموضوع على خاصية (النظم)، وجعلها الوجه المشرق الوحيد للإعجاز القرآني.

**القاضي عياض: (496 - 544 هـ):**

في كتابه الشهير (الشا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم).

عقد فيه فصلاً عن إعجاز القرآن وحصر أوجهه في أربعة: حسن التأليف والفصاحة والبلاغة الخارقة، والنظم العجيب، الإخبار بالمغيبات السابقة، الإنباء بالأخبار القادمة وفي موضع آخر من كتابه أضاف أوجهاً أخرى لإعجاز القرآن منها تحديه للبلغاء وأهل الفصاحة أن يأتوا ولو بثلاث آيات من مثله، تأثيره النفسي في قارئيه وسامعيه ومتدبريه، وبقائه على مر الزمان دون أن يخلق على كثرة الرد.

**أبو حامد الغزالي: (450 - 505 هـ):**

يعد الإمام أبو حامد الغزالي من أقدر رواد هذا الاتجاه وقد بث أفكاره وعرض آرائه في كتابيه (الإحياء والجواهر).

وهو يقول في إحياء علوم الدين بعد أن بين انشعاب العلوم الدينية: العلوم الدنيوية كلها متشعبة في القرآن ويقول أيضاً كل ما أشكل فهمه على النظر واختلف فيه الخلائق من النظريات والمقولات في القرآن إليه رموز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بإدراكها ويستشهد الإمام لاشتمال القرآن على جميع العلوم بقول ابن مسعود: (من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن).

وفي كتابه: (جواهر القرآن)، يذكر أن علوم الطب والنجوم وهيئة العالم وهيئة بدن الحيوان وتشريح أعضائه وعلم السحر وعلم الطلسمات فيه وغير ذلك يشير إليه القرآن في قول الله سبحانه: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: 80].

فيه إشارة إلى علم الطب المتضمن أسباب المرض ووسائل الشفاء.

وقوله سبحانه: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: 5]

ونحوه مما يشير إلى علم الهيئة (الفلك)، وتركيب السماوات والأرض، (الكوزمولوجيا والجيولوجيا).

ويرى أن جميع العلوم المعروفة والتي سيسفر عنها الزمان مع تعاقب العصور موجودة في القرآن لا بالتصريح وإنما بالقوة.

أو كما يقول إن جميع العلوم التي عرفها البشر والتي هم في الطرق إلى معرفتها ليست في أوائلها خارجة عن القرآن، فإن جميعها مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله تعالى: وهو بحر الأفعال.

**السكاكي:** (توفي 626 هـ): في كتابه مفتاح العلوم مال إلى القول بالنظم وجعل الإعجاز لا يدرك إلا بالذوق وطول خدمة البلاغة وممارسة الكلام البليغ.

**الفخر الرازي (توفي 606 هـ):** هو صاحب (التفسير الكبير) المسمى أيضاً (مفاتيح الغيب).

وهو يرى رحمه الله وجود جميع العلوم في القرآن بالقوة كوجود الشجرة في النواة البذرة وقد عرض في تفسيره الكبير مباحث كثيرة حسب ثقافة عصره وما بلغت العلوم في زمانه في شتى

نواحي العلوم الطبيعية والمعارف الكونية وللرازي أيضاً كتاب في هذا المجال هو: (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز)

**ابن أبي الإصبع المصري: (توفي 654هـ):**

أكد الإعجاز البياني للقرآن الكريم وقد تبعه في هذا الرأي العلوي اليمنى (629 - 729)

صاحب كتاب الطراز ولم يخرج كل من شمس الدين الأصفهاني توفي (749هـ) عما قال أسلافهم من العلماء، والزرکشي (745 - 794هـ)، أبو الفضل المرسي<sup>(1)</sup> توفي (655هـ).

يقول في تفسيره جمع القرآن علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحط به علماً إلا المتكلم به ثم قال أما الطب فمداره على حفظ نظام الصحة واستحكام القوة وذلك إنما يكون باعتدال المزاج بتفاعل الكيفيات المتضادة وقد جمع ذلك في آية واحدة: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: 67]، (الفلك) الهندسة والجبر والمقابلة. ثم قرر مثل ذلك في علوم الهيئة.

**جلال الدين السيوطي: توفي (911هـ):** يرى ما يراه كل من الغزالي والرازي ويستدل لذلك بقوله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي أَلْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 38].

وبأحاديث نبوية منها ما أخرجه أبو الشيخ عن أبي هريرة قول الرسول صلى الله عليه وسلم (إن الله لو أغفل شيئاً لأغفل الذرة والخرذلة والبعوضة)<sup>(2)</sup> وما ورد عن ابن مسعود إذ قال (أنزل في القرآن كل علم وبين لنا فيه كل شيء ولكن علمنا يقصر عما بينا لنا في القرآن وفي كتابه المشهور). (الإتقان في علوم القرآن).

**(1) المرسي (570 - 655 هـ = 1174 - 1257 م)**

محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل السلمي المرسي، أبو عبد الله، شرف الدين: عالم بالأدب والتفسير والحديث. ضرير. أصله من مرسية. ومولده بها. تنقل في الأندلس، وزار خراسان وبغداد، وأقام مدة في حلب ودمشق، وحج وعاد إلى دمشق. وسكن المدينة، ثم انتقل إلى مصر (سنة 624) وتوفي متوجهاً إلى دمشق بين العريش والزعقة. من كتبه (التفسير الكبير) يزيد على عشرين جزءاً، سماه (ريّ الضمان) و (التفسير الأوسط) عشرة أجزاء، و (التفسير الصغير) ثلاثة، و (الكافي) في النحو، و (الإملاء على المفصل) انتقد فيه نحو سبعين خطأ .

**(2) أضواء البيان للشنقيطي 428/2**

يقول الإمام السيوطي: اشتمل الكتاب العزيز على كل شيء أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السماوات والأرض وما في الأفق الأعلى وتحت الثرى إلى غير ذلك مما يحتاج شرحه إلى مجلدات. ومن خلال ما سبق تبين لنا جهود العلماء السابقين وبيانهم لأنواع الإعجاز في القرآن الكريم.

### آراء علماء القرن الرابع عشر الهجري فيما يتعلق بقضية الإعجاز القرآني:

#### عبد الرحمن الكواكبي:

في مقدمة المحدثين الذين نادوا باستعمال معطيات العلم الحديث في شرح آيات القرآن التي تتحدث عن الكون والطبيعة والأنفس وما شابه ذلك يقول الكواكبي في كتابه المعروف (طبائع الاستبداد):

إن القرآن الكريم شمس العلوم وكنز الحكم وهو يرى أن العلماء إنما امتنعوا عن التفسير العلمي خوفاً من مخالفة رأى القاصرين في العلم فيكفرون فيقتلون وهو يعرض في كتابه هذا أهمية اتجاه التفسير العلمي للقرآن الكريم يقول الكواكبي إن مسألة إعجاز القرآن لم يستطع أن يوفها حقها العلماء غير المجتهدين الذين اقتصروا على ما قاله السلف من أن إعجازه في فصاحته وبلاغته أو إخباره عن أن الروم بعد غلبهم سيغلبون ولو أطلق للعلماء عنان التدقيق وحرية الرأي والتأليف كما أطلق لأهل التأويل والخرافات لرأوا في ألوف من آيات القرآن الكريم ألوف الآيات من الإعجاز بصدق قوله تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:59].

ومثال ذلك: أن العلم كشف في هذه القرون الأخيرة حقائق وطبائع ورد التصريح أو التلميح بأكثرها في القرآن وما بقيت مستورة إلا لتكون عند ظهورها معجزة للقرآن شاهدة بأنه كلام رب العالمين لا يعلم الغيب سواه..

#### مصطفى صادق الرافعي:

الأديب المعروف الذي وضع كتابه المشهور (إعجاز القرآن)

وذهب فيه إلا أن القرآن بآثاره النامية معجزة أصلية في تاريخ العلم كله على بسيط هذه الأرض من لدن ظهور الإسلام إلى ما شاء الله. كما يقول: استخرج بعض علمائنا من القرآن ما يشير إلى مستحدثات الاختراع وما يحقق بعض غوامض العلوم الطبيعية وبسطوا كل ذلك بسطاً..

يشرح الرفاعي في كتابه (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية).

مسائل عديدة في الإعجاز القرآني ويخلص إلى أن القرآن معجزة بالمعنى الذي يفهم من لفظ: (الإعجاز) على إطلاقه حيث ينفي الإمكان بالعجز من غير الممكن فهو أمر لا تبلغ منه الفطرة الإنسانية مبلغاً وليس إلى ذلك مأتى ولا وجهة وإنما هو أثر كغيره من الآثار الإلهية ليشاركها في إعجاز الصفة وهيئة الوضع وينفرد عنها بأن له مادة من الألفاظ كأنها مفرغة إفراغاً من نوب تلك المواد كلها وما نظنه إلا الصورة الروحية للعالم كله فالقرآن معجز في تاريخه دون سائر الكتب ومعجز في أثره النفسي ومعجز في حقائقه.

**الشيخ محمد عبده: له كتاب (رسالة التوحيد)**

وهو من المهتمين بإبراز أوجه الإعجاز في القرآن ويرى أن القرآن معجز من عند الله لأنه صدر عن نبي أمي لأنه يخبر عن الغيب ولتقاصر القوة البشرية لقد كانت للشيخ آراء تصحيحية غير قليلة وكان من المهتمين بإبراز الإشارات العلمية الواردة بالقرآن لكنه لم يكن متضلعا بالعلوم الكونية ولم يمارس البحوث التجريبية ولم يدرس الجوانب الطبيعية أو الطبية إنما كان ينقل من أهل التخصصات ليشرح ما يراه مناسباً لبعض الآيات ويأخذ بعض العلماء على الشيخ محمد عبده إغراقه في التفسيرات العلمية التي أوقعته في عدد من الأخطاء مثل ما وقع فيه عندما افترض أن (نظرية التطور) لدارون في أصل الإنسان يمكن أن يوجد لها تفسيراً قرآنياً وعندما اعتبر أن الحجارة التي ألقها الطير الأبابيل نوع من المكروبات ويرى هؤلاء العلماء أن هذا وذاك وما شابهه يخالف الحقيقة القرآنية.

## آراء علماء القرن الخامس عشر الهجري فيما يتعلق بقضية الإعجاز القرآني:

محمد متولي الشعراوي:

الذي يلجأ في كثير من الأحيان خصوصاً عند مروره بالآيات ذات الإشارات والمفاهيم العلمية إلى الاستعانة بمعطيات العلوم الحديثة في الكشف عن جوانب من معنى الآية لم تكن ظاهرة من ناس من قبل، ونفهم من ذلك أنه لا يعارض التفسير العلمي، وإنما يعارض المغالاة والاندفاع والخوض بالقول في النظريات والفروض والظنون وجر آيات القرآن إلى هذا الميدان في محاولة لإثبات القرآن بالعلم رغم أن القرآن ليس في حاجة إلى العلم ليثبت صدقه.

يقول فضيلته إن هذا أخطر ما نواجه ذلك أن بعض العلماء في اندفاعهم في التفسير وفي محاولتهم ربط القرآن بالتقدم العلمي، يندفعون في محاولة ربط كلام الله بنظريات علمية مكتشفة يثبت بعد ذلك أنها غير صحيحة وهم في اندفاعهم هذا يتخذون خطوات متسارعة ويحاولون إثبات القرآن الكريم بالعلم، والقرآن ليس في حاجة إلى العلم ليثبت، فالقرآن ليس كتاب علم ولكنه كتاب عباده ومنهج، ولكن الله سبحانه وتعالى علم أنه بعد عدة قرون من نزول هذا الكتاب الكريم سيأتي عدد من الناس ويقول انتهى عصر الإيمان وبدء عصر العلم، والعلم الذي يتحدثون عنه قد بينه القرآن الكريم كحقائق كونية منذ أربعة عشر قرناً.

عبد المجيد الزنداني:

أول أمين لهيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة، وهذه هي أول هيئة (من حيث التأسيس) في العالم تقوم على إبراز جوانب الإعجاز العلمي في آيات القرآن، ولفضيلته كتب عديدة في مجال الإشارات العلمية للقرآن الكريم، والتوحيد، والكثير من البحوث المنشورة في مؤتمرات هيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة بمكة المكرمة، كما أنه صاحب العديد من الأفكار والمشروعات البحثية في هذا المجال العظيم.

مصطفى محمود:

المفكر المعروف وهو أحد المنادين بالتفسير العصري وهو في نظره أكثر شمولاً من مجرد (التفسير العلمي) وله في هذا المجال كتاب مشهور بعنوان (القرآن محاولة لفهم عصري)

يقول الدكتور مصطفى محمود إن القرآن كلام الله الذي لا نهاية لمعانيه هو كتاب جامع، ولهذا فإنه احتمل أكثر من منهج في التفسير، فهناك التفسير البياني، والتفسير العلمي الذي يركز على الآيات الكونية في الفلك والطب والأجنة وعلى معطيات الموضوعية العلمية، وهناك التفسير الإشاري وهناك... إلخ. ولكل منهج من هذه المناهج مكانه وكلها مكملة لبعضها البعض والاجتهاد فيها لا ينتهي ونظراً لكثرة المعلومات المتاحة في العصر العلمي الذي نعيشه أخذ التفسير العلمي مكان الصدارة، إذ وجدنا آيات القرآن تتوافق مع كل ما يجد من معارف علمية ثابتة... وهو يرد على المعترضين بحجة العلم وعدم ثباته<sup>(1)</sup>.

وبهذا يتضح مواصلة هؤلاء العلماء لمسيرة من سبقهم في بيان إعجاز القرآن الكريم.

---

(1) مقدمة حول الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية

## المبحث الثالث

### المؤلفات في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

- بعض المؤلفات المتعلقة بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم:
- الاعجاز العلمي في القرآن والسنة ... د. عبد الله المصلح.
  - الاعجاز العلمي في القرآن والسنة ... نايف فارس.
  - الاعجاز العلمي في القرآن والسنة ... صلاح نجيب.
  - الاعجاز العلمي في القرآن والسنة وصلته بمنهج الدعوة الإسلامية ... نادي درويش محمد.
  - الاعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه ... د. عبد الله المصلح.
  - الاعجاز العلمي في القرآن والسنة بين الحقيقة والوهم ... صالح عسكر.
  - مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ... زغلول النجار.
  - الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ... شحاتة محمد صقر.
  - موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (آيات الله في الآفاق) ... محمد راتب النابلسي.
  - موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ... يوسف الحاج أحمد.
  - تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ... عبد المجيد الزنداني.
  - الضوابط الشرعية لقضايا الإعجاز العلمي في القرآن ... راشد سعيد شهوان.
  - أسس تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ... رفعت السيد العوضي.
  - الإعجاز العلمي في أسرار القرآن الكريم والسنة النبوية ... محمد حسني يوسف.
  - من دلائل الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ... موسى الخطيب.

## الفصل الثاني

### الإعجاز العلمي بين القبول والرفض

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الفرق بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي.

المبحث الثاني: المؤيدون للإعجاز العلمي.

المبحث الثالث: الراضون للإعجاز العلمي.

المبحث الرابع: أدلة الفريقين والترجيح وأوجه الاتفاق والاختلاف.

## المبحث الأول

### الفرق بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي

لا بد من التفريق بين قضيتي الإعجاز العلمي، والتفسير العلمي للقرآن الكريم:

فالإعجاز العلمي يقصد به إثبات سبق القرآن الكريم للإشارة إلى حقيقة من حقائق الكون، أو تفسير ظاهرة من ظواهره قبل وصول العلم المكتسب إليها بعدد متناول من القرون. أما التفسير: فهو محاولة بشرية لحسن فهم دلالة الآية القرآنية إن أصاب فيها المفسر فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد، والمعول عليه في ذلك هو نيته، وهنا يجب التأكيد على أن الخطأ في التفسير ينسحب على المفسر، ولا يمس جلال القرآن الكريم.

يحتوي القرآن الكريم على أكثر من ألف آية صريحة تتحدث عن الكون ومكوناته وظواهره، بالإضافة إلى آيات أخرى كثيرة، تقترب دلالاتها من الصراحة، وهذه الآيات لم ترد من قبيل الإخبار العلمي المباشر للإنسان؛ وذلك لأن الكشف العلمي قد ترك لاجتهاد الإنسان، وتحصيله عبر فترات زمنية طويلة نظراً لمحدودية القدرات الإنسانية، وللطبيعة التراكمية للمعارف الكونية. ويؤكد ذلك أن تلك الآيات الكونية قد جاءت في مقام الاستدلال على طلاقة القدرة الإلهية في إبداع الخلق، وعلى وحدانية الخالق العظيم، وعلى أن هذا الخالق المبدع سبحانه قادر على إفناء خلقه، وعلى إعادة هذا الخلق من جديد، وهذه الآيات تحتاج إلى تفسير، كما يحتاج غيرها من آيات هذا الذكر الحكيم، وهي بحكم طبيعتها لا يمكن أن تُفهم فهماً دقيقاً في إطار اللغة وحدها على أهمية ذلك؛ ومن هنا كان لزاماً علينا أن نوظف المعارف الكونية النافعة، والمتاحة في تفسير تلك الآيات الكونية الواردة في كتاب الله، ولما كانت المعارف الكونية في تطور مستمر؛ وجب على أمة الإسلام أن ينهض منها في كل جيل نفر من علماء المسلمين الذين يتزودون بالأدوات اللازمة للتعرض لتفسير كتاب الله من مثل الإمام التام باللغة العربية، وعلومها المختلفة، وبأصول الدين، وبأسباب النزول، وبالناسخ والمنسوخ، وبالمأثور من التفسير، وبجهود السابقين من كبار المفسرين وبالقدر اللازم من العلوم المتاحة عن الكون ومكوناته، وغير ذلك مما يحتاجه كل من يتشرف بالقيام بمثل هذه المهمة العظيمة.

وفي التفسير العلمي للآيات الكونية نوظف كل المعارف المتاحة من الحقائق والثوابت العلمية، ولكن بما أن العلم لم يصل إلى الحقيقة في كل أمر من الأمور، ولا يزال أمامه من الغيوب أكثر الكثير؛ فلا أرى - هكذا يقول الدكتور زغلول - حرجًا في مجال التفسير العلمي للقرآن الكريم من توظيف النظريات، والفروض المنطقية السائدة، والمشاهدات المتكررة؛ وذلك لأن التفسير يبقى جهدًا بشريًا، لحسن فهم دلالة الآية القرآنية لمن أصاب فيه أجزان، ولمن أخطأ أجر واحد، والخطأ في التفسير لا يمكن أن ينسحب على جلال القرآن الكريم. أما الإعجاز العلمي للقرآن: فلا يجوز أن يوظف فيه إلا القطعي من الثوابت العلمية؛ وذلك لأن المقصود بالإعجاز العلمي هو إثبات أن القرآن الكريم الذي أوحى به إلى نبي أمي - صلى الله عليه وسلم - في أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين من قبل أربعة عشر قرنًا يحوي من حقائق هذا الكون ما لم يتمكن الإنسان من الوصول إليه إلا منذ عقود قليلة، وبعد مجاهدات طويلة وهذا لا يمكن لعامل أن يتصور له مصدرًا إلا بوحى من الله الخالق البارئ المصور؛ وعلى ذلك فلا يجوز توظيف غير الحقائق القطعية الثابتة في مجال الإعجاز العلمي للقرآن الكريم؛ باستثناء آيات الخلق، والإفناء، والبعث بأبعادها الثلاثة، خلق الكون، خلق الحياة، خلق الإنسان وإفناء ذلك كله ثم بعثه، وذلك لأن هذه القضايا لا يمكن أن تخضع مباشرة لإدراك الإنسان.

ومن ثم فإن العلوم المكتسبة لا يمكن أن تتجاوز فيها مرحلة التظهير، وتتعدد النظريات في مجال الخلق بتعدد خلفيات واضعيتها، ويبقى للمسلم نور من الله في آية قرآنية كريمة، أو في حديث نبوي صحيح منسوب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يمكن أن يعينه على الارتقاء بإحدى هذه النظريات إلى مقام الحقيقة؛ لا لأن العلوم المكتسبة قد وصلت فيها إلى الحقيقة، ولكن لمجرد وجود إشارة لها في كتاب الله، أو في سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم. وهنا أيضًا لا بد من التأكيد على صعوبة التعرض لقضايا الإعجاز العلمي في كتاب الله إلا من قبل المتخصصين كل في حقل تخصصه، فلا يقوى فرد واحد على معالجة كل القضايا الكونية التي تعرض لها القرآن الكريم من خلق الكون وإفناؤه إلى خلق مراحل الجنين الإنساني المتعاقبة، إلى العديد من الظواهر الكونية المتكررة إلى غير ذلك من مختلف الآيات الكونية الواردة في كتاب الله. هذا هو الفرق بين الإعجاز العلمي، والتفسير العلمي للقرآن الكريم.<sup>(1)</sup>

وهو فرق دقيق جدا ولكنه مهم وخاصة للباحثين في مجال القرآن الكريم.

(1) الإعجاز العلمي في القرآن، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية.

## المبحث الثاني

### المؤيدون للإعجاز العلمي

اختلف العلماء إزاء هذه القضية قديماً وحديثاً إلى طائفتين، الأولى: ترى أن العلوم والمعارف قد أخذت مساحة كبيرة من القرآن، وخاصة عندما يلفت القرآن نظرنا للحديث عن السماء والأرض والجبال والبحار والأنهار والإنسان والنجوم والطيور ... وعلى هذا فإن هناك تطابقاً بين الثوابت العلمية التي وصل إليها علماء العصر، وبين الآيات القرآنية، غير أن بعضهم بالغ حتى جعل من القرآن الكريم موسوعة علمية تشتمل حتى على المخترعات والمكتشفات بأنواعها.

والثانية: ترى أن القرآن الكريم كتاب هداية ونور، وما المعارف العلمية إلا نتيجة من نتاج العقل البشري، ولا صلة لها بالقرآن.

وسوف تعرض بعون الله تعالى أبرز هذه الآراء من العلماء القدامى والمعاصرين، سواء من ذهب إلى صحة التفسير العلمي للقرآن الكريم، أو من عارض تفسير القرآن على أساس العلم، وبعد استعراض آراء كل طائفة، ستساق أدلة كل منها على حدة، ثم يعقد مبحث ختامي لهذا الفصل يثبت فيه الرأي الذي نميل ونطمئن إليه، مع بعض المناقشة والاستدراكات.

## المطلب الأول

### أبرز المؤيدين من العلماء القدامى

أبرز من تبنت فكرة التفسير العلمي للقرآن أبو حامد الغزالي، وفخر الدين الرازي، والزرکشي والسيوطي، وسنستعرض آراء كل من هؤلاء الأئمة في هذه القضية على حدة.

#### أولاً: الإمام أبو حامد الغزالي<sup>(1)</sup>:

الإمام أبو حامد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ كان إلى عهده أكثر من استوفى هذا القول وأيده، وعمل على ترويجه في الأوساط العلمية الإسلامية مما يدل على أن هذه الفكرة كانت موجودة قبل الغزالي منذ أن ترجمت العلوم المختلفة إلى اللغة العربية ودونت العلوم المختلفة، بل إننا نستطيع أن نقول: إن بذورها كانت موجودة في عصر صحابة رسول الله ﷺ فقد استدل هؤلاء العلماء بقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن، ولكنها كانت في بدايتها<sup>(2)</sup>.

إلا أن الإمام الغزالي يعتبر أول من أثار هذا الموضوع، وطرحه في الأوساط، ولذلك نجده قد عقد في كتابه الشهير «إحياء علوم الدين» باباً في آداب تلاوة القرآن وعنوانه «في فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل» والذي قال فيه: (الأخبار والآثار تدل على أن في معاني القرآن متسعاً لأرباب الفهم، قال علي رضي الله عنه: إلا أن يؤتي الله عبدا فهما في القرآن، فإن لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم؟ وقال: إن للقرآن ظهراً وباطناً وحاداً ومطلعاً، ثم يسوق أثراً عن ابن مسعود فيقول: وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن

(1) حجة الإسلام وزير الأنام، أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، ولد بطوس سنة خمسين وأربعمائة، وارتحل إلى إمام الحرمين بنيسابور فلزمه حتى صار أنظر أهل زمانه، ورجع إلى دمشق وأقام بها عشرة سنين بمنارة الجامع وصنف بها كتباً منها الإحياء، ثم سار إلى القدس والإسكندرية، ثم عاد إلى وطنه طوس فأقبل على التصنيف والعبادة والملازمة للتلاوة ونشر العلم وكانت وفاته بطوس ٥٠٥ هـ.

انظر: طبقات الفقهاء، وشذرات الذهب بتصرف.

(2) التفسير العلمي للقرآن، أحمد عمر أبو حجر، دمشق، دار قتيبة، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ/١٩٩١، ص:

وذلك لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر، ثم يقول: وبالجملة، فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله عز وجل وصفاته وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها، وفي القرآن إشارة إلى مجامعها والمقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن، ومجرد ظاهر التفسير لا يشير إلى ذلك، بل كل ما أشكل فيه على النظائر واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات، ففي القرآن إليه رموز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها، فكيف يفهم بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره؟<sup>(1)</sup>.

وفي كتابه «جواهر القرآن» والذي ألفه بعد الإحياء نرى الإمام الغزالي عاد إلى نفس الموضوع ليتوسع فيه، وقد ذكر في الفصل الأول أن القرآن هو البحر المحيط وينطوي على أصناف الجواهر والنفائس يقول: (أوما بلغك أن القرآن هو البحر المحيط، ومنه يتشعب علم الأولين والآخرين كما يتشعب عن سواحل البحر المحيط أنهارها وجداولها؟)<sup>(2)</sup>.

وفي الفصل الرابع من نفس الكتاب والذي عنوانه بكيفية انشعاب العلوم الدينية كلها عن الأقسام العشرة المذكورة، نجده قد قسم علوم القرآن إلى قسمين:

القسم الأول: علم الصّدْف، واعتبر الصدف أول ما يظهر، ثم يقف بعض الواصلين إلى الصدف على الصدف، وبعضهم يفتق الصدف ويطلع الدرّ، فكذلك صدف جواهر القرآن ... وقد جعل منه علوم اللغة والنحو والقراءات، وعلم مخارج الحروف، وعلم التفسير الظاهر، ثم رتبها على أساس القريب والبعيد من القشر واللب.

---

(1) إحياء علوم الدين، الإمام أبي حامد محمد بن محمد بن الغزالي الطوسي، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥، ٢٧٢/١.

(2) جواهر القرآن، الإمام أبي حامد محمد بن محمد بن الغزالي الطوسي، بيروت، دار إحياء علوم الدين، تحقيق، محمد رشيد رضا القباني، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ / ١٩٩٦، ص : ٢٣.

القسم الثاني: علم اللباب، وهو يتضمّن معرفة قصص القرآن، وما يتعلق بالأنبياء، وما يتعلق بالجاحدين والأعداء، وعلم الكلام، وعلم الفقه وأصوله، والعلم بالله واليوم الآخر، والعلم بالصراف المستقيم...<sup>(1)</sup>.

ثم يعنون الفصل الخامس انشعاب سائر العلوم من القرآن فيقول: (ولعلك تقول إن العلوم وراء هذه كثيرة، كعلم الطب، والنجوم، وهيئة العالم، وهيئة بدن الحيوان، وتشريح أعضائه، وعلم السحر والطلسمات وغير ذلك، فاعلم أنا إنما أشرنا إلى العلوم الدينية التي لا بد من وجود أصلها في العالم حتى يتيسر سلوك طريق الله تعالى والسفر إليه... ثم هذه العلوم ما عدناها وما لم نعدنا ليست أوائلها خارجة عن القرآن فإن جميعها مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله تعالى، وهو بحر الأفعال وقد ذكرنا أنه بحر لا ساحل له، وأن البحر لو كان مدادا لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفذ، فمن أفعال الله تعالى، وهو بحر الأفعال مثلا الشفاء والمرض، كما قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:80]

وهذا الفعل الواحد لا يعرفه إلا من عرف الطب بكماله إذ لا معنى للطب إلا معرفة المرض بكماله وعلاماته، ومعرفة الشفاء وأسبابه، ومن أفعاله تبارك وتعالى تقدير معرفة الشمس والقمر ومنازلهما بحسبان، وقد قال الله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن:5]

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس:5]

ولا يعرف حقيقة سير الشمس والقمر بحسبان وخسوفهما، وولوج الليل في النهار، وكيفية تكور أحدهما على الآخر، إلا من عرف هيئات تركيب السموات والأرض، وهو علم برأسه، ولا يعرف كمال معنى قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَّلَكَ ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار:6-8].

إلا من عرف تشريح الأعضاء من الإنسان ظاهرا وباطنا، وعددها وأنواعها وحكمتها ومنافعها، وقد أشار في القرآن في مواضع إليها، وهي من علوم الأولين والآخرين، وفي القرآن مجامع علم

(1) المصدر نفسه، ص : ٣٥.

الأولين والآخرين وكذلك لا يعرف كمال معنى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: 29].

من لم يعلم التسوية والنفخ والروح ووراءها علوم غامضة يغفل عن طلبها أكثر الخلق، وربما لا يفهمونها أن سمعوها من العالم بها، ولو ذهبت أفصل ما تدل عليه آيات القرآن من تفاصيل الأفعال لطال، ولا تمكن الإشارة إلا إلى مجامعها، وقد أشرنا إليه حيث ذكرنا أن من جملة معرفة الله تعالى معرفة أفعاله فتلك الجملة تشتمل على هذه التفاصيل، وكذلك كل قسم أجملناه، لو شعب لا نشعب إلى تفاصيل كثيرة، فتفكر في القرآن، والتمس غرائبه، لتصادف فيه مجامع علم الأولين والآخرين، وجملة أوائله وإنما التفكر فيه للتوصل من جملة إلى تفصيله، وهو البحر الذي لا شاطئ له<sup>(1)</sup>.

ويلاحظ أن هذا المنهج الذي سلكه ورسم أطره الإمام الغزالي، إنما هو منهج دقيق وصحيح، ذلك أن من يريد أن يفسر القرآن على أساس العلوم الكونية يجب أن يكون جامعا لأصول العلوم الشرعية واللغة العربية على اختلاف مناحيها، بجانب إمامه بالعلوم الطبيعية والكونية والتطبيقية ... فمن جمع بين هذه العلوم يستطيع أن يوضح إشراقات الهداية الربانية في القرآن الكريم، وبذلك يكون قد أدخل أداة أخرى لعلوم الكونية إلى دائرة الأدوات العلمية، والتي تتمثل بالعلوم الشرعية أصولا وفروعا وعلوم اللغة العربية وفروعها، وعلوم الآلة، لفهم مقاصد النصوص القرآنية.

(1) انظر: جواهر القرآن، للغزالي، ص ٤٤.

## ثانياً: فخر الدين الرازي<sup>(1)</sup>:

ثم جاء بعد الغزالي الإمام الرازي، ليقوم موازنة ومقارنة بين ما انتشر في وسطه من علوم ومعارف وثقافة، سواء كانت وافدة ومترجمة عن الأمم الأخرى أو من تأليف المسلمين، وبين النصوص القرآنية، والمحور الذي يدور حوله الإمام الرازي من وراء تفسيره للقرآن على أساس العلم إنما هو ترسيخ فكرة التوحيد، وتقوية دعائم الكمال النفسي والإيمان بالله تعالى، فكان تفسيره «مفاتيح الغيب» فيأضاً بالاستطرادات العلمية الكونية.

وها هو ذا الإمام الرازي يرد على من اعترض عليه بسبب إكثاره من القضايا الكونية والعلمية في تفسيره فيقول: (وربما جاء بعض الجهال والحمقى وقال: إنك أكثرت في تفسير كتاب الله من علم الهيئة والنجوم، وذلك على خلاف المعتاد؟ فيقال لهذا المسكين: إنك لو تأملت في كتاب الله حق التأمل لعرفت فساد ما ذكرته، وتقريره من وجوه:

الأول: أن الله تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السموات والأرض، وتعاقب الليل والنهار، وكيفية أحوال الضياء والظلام، وأحوال الشمس والقمر والنجوم، وذكر هذه الأمور في أكثر السور وكررها وأعادها مرة بعد أخرى، فلو لم يكن البحث عنها، والتأمل في أحوالها جائزاً لما ملأ الله كتابه منها.

والثاني: أنه تعالى قال: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ

فُرُوجٍ ۗ﴾ [لق:6].

(1) ت ٦٠٦ هـ، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، العلامة سلطان المتكلمين في زمانه فخر الدين أبو عبد الله القرشي البكري التيمي الطبرستاني الأصل ثم الرازي، المفسر المتكلم إمام وقته في العلوم العقلية وأحد الأئمة في علوم الشريعة، صاحب المصنّفات المشهورة والفضائل الغزيرة المذكورة، ولد في رمضان سنة أربع وأربعين وخمسائة وقيل سنة ثلاث. أتقن علوماً كثيرة وبرز فيها وتقدّم وساد، وقصده الطلبة من سائر البلاد، من مؤلفاته: مفاتيح الغيب، وكتاب المحصول، والمنتخب، ونهاية المعقول، وكانت وفاته بهراة يوم عيد الفطر، انظر: طبقات الشافعية، للشيرازي، ٦٦/٢، وشذرات الذهب لابن عماد الحنبلي، ٢٢/٣، والبداية والنهاية لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، بيروت، مكتبة المعارف، د. ت، ٥٥/١٣، والعبر في خبر من غبر، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، تحقيق صلاح الدين المنجد، الطبعة الثانية، ١٩٤٨، ٢٨٥/٤، بتصرف.

فهو تعالى حثَّ على التأمل في أنه كيف بناها ولا معنى لعلم الهيئة إلا التأمل في أنه كيف بناها وكيف خلق كل واحد منها.

والثالث: أنه تعالى قال: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: 57].

فبيّن أن عجائب الخلقه وبدائع الفطرة في أجرام السموات أكثر وأعظم وأكمل مما في أبدان الناس، ثم أنه تعالى رغب في التأمل في أبدان الناس بقوله: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 21].

فما كان أعلى شأنًا وأعظم برهانًا منها أولى بأن يجب التأمل في أحوالها ومعرفة ما أودع الله فيها من العجائب والغرائب.

والرابع: أنه تعالى مدح المتفكرين في خلق السموات والأرض فقال: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: 191] ولو كان ذلك ممنوعًا منه لما فعل<sup>(1)</sup>.

والحق أن الإمام الرازي قد توسع في ذكر القضايا العلمية في تفسيره، حتى يخرجك في بعض الأحيان عن مقاصد النص القرآني الذي يبحثه بسبب إسهابه في ذكر المسائل الكونية والعلمية، ومع غزارة علم هذا الإمام، والثروة العلمية الهائلة التي تركها لنا في تفسيره، والتي لا يستغني عنها أي باحث في علوم القرآن وفهم دقائقه ومعانيه، فإن عددا ليس بالقليل من المسائل العلمية والكونية التي أوردها في تفسيره قد أصبحت اليوم بعد الثورة العلمية غير دقيقة، لأنه إنما استقاها مما جدّ من ثقافة علمية في عصره وبيئته التي عاش فيها، وعلى كل حال فإن الإمام الرازي يعتبر من أول من طبق هذا الاتجاه عمليا، بعد ما أورده الغزالي في «إحيائه» بشكل نظري.

ولسنا بحاجة لإيراد أمثلة من تفسيره تدلنا على التطبيق العملي الذي قام به الرازي من تفسير النصوص القرآنية على أساس العلم، فتفسيره فياض بذلك، ولسوف نستشهد بآرائه وفهمه للنصوص القرآنية في الجانب التطبيقي من هذه الرسالة بعونه تعالى

(1) انظر: التفسير الكبير، محمد فخر الدين الرازي، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٣، ٢٧٨/١٤.

### ثالثاً: الإمام الزركشي<sup>(1)</sup>:

ثم يأتي الإمام الزركشي في كتابه «البرهان في علوم القرآن» ليقرّر إمكانية استخراج كل شيء من القرآن الكريم.

ونراه يستدل على ذلك عند ما عقد فصلاً في كتابه المذكور وعنوانه في حاجة المفسر إلى الفهم والتبحر في العلوم، وينقل فيه أقوال بعض الصحابة في ذلك، كما يسوق آراء الإمام الغزالي من كتابه «الإحياء» مدلاً بكل ذلك على ما ذهب إليه.

يقول: (كتاب الله بحره عميق وفهمه دقيق، لا يصل إلى فهمة إلا من تبحر في العلوم، وعامل الله بتقواه في السر والعلانية، وأجله عند مواقف الشبهات، واللطائف والحقائق لا يفهمها إلا من ألقى السمع وهو شهيد، فالعبارات للعموم وهي للسمع، والإشارات للخصوص وهي للعقل، واللطائف للأولياء وهي المشاهد، والحقائق للأنبياء وهي الاستسلام، وللكل وصف ظاهر وباطن، وحد ومطلع فالظاهر التلاوة، والباطن الفهم، والحد أحكام الحلال والحرام، والمطلع أي الإشراق من الوعد والوعيد، فمن فهم هذه الملاحظة بان له بسط الموازنة وظهر له حال المعاينة ...

ثم يقول: وبالجملّة فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله تعالى وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وصفاته وأفعاله، فهذه الأمور تدل على أن فهم معاني القرآن مجالاً رحباً ومتسعاً بالغا، وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس ينتهي الإدراك فيه بالنقل والسماع، لا بد منه في ظاهر التفسير ليتقي به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط، والغرائب التي لا تفهم إلا باستماع فنون كثيرة، ولا بد من الإشارة إلى جمل منها ليستدل بها على أمثالها ويعلم أنه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أو لا، ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل أحكام الظاهر، ومن ادعى فهم أسرار القرآن

(1) ت ٧٩٤ هـ، محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الموصلي الشافعي بدر الدين، ولد في سنة خمس وأربعين

وسبعمائة، وألّف تصانيف كثيرة في عدّة فنون، وهو عالم في الحديث والتفسير، ومن مصنفاته شرح البخاري، والتفريح على البخاري، وشرح التنبيه والبرهان في علوم القرآن، وتخريج أحاديث الرافعي. انظر: طبقات المفسرين، للأندلسي، ٣٠٢/١ وانظر، كشف الظنون للقسطنطيني ٢٤٠/١، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، بيروت، دار الكتب العلمية، تحقيق، عبد الوارث محمد علي، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ ١٩٩٧، ١٢٤/١، بتصريف.

ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل تجاوز الباب، فظاهر التفسير يجري مجرى تعلم اللغة التي لا بد منها للفهم، وما لا بد فيها من استماع كثير...<sup>(1)</sup>.

ومما يلاحظ على الإمام الزركشي أنه أوغل في تحميل النصوص القرآنية بجزيئات المسائل الحسابية والفلكية، مما أخرج نصوص القرآن عن مقاصدها الأساسية التي هي هداية البشر، والقرآن ذكر أسس وقواعد العلوم وأشار إليها إشارات، لكنه لم يكن موسوعة علمية تتضمن جزئيات العلوم وفروعه.

#### رابعاً: الإمام السيوطي<sup>(2)</sup>:

ثم جاء الإمام جلال الدين السيوطي ليؤكد في كتابيه «الإتقان في علوم القرآن» و«معترك الأقران» ما ذهب إليه من قبله من العلماء، بأن القرآن يحتوي على علم الأولين والآخرين، ونراه يسوق طائفة من الآيات والأحاديث والآثار وأقوال العلماء ليدلل على ما ذهب إليه.

فمن الآيات قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَزَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: 38]

وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِيناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ

لِّلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89].

ومن الأحاديث ما روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنها ستكون فتنة» فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط

(1) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ١٥٣/٢.

(2) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضير السيوطي، إمام وحافظ ومؤرخ وأديب، كان من الأغنياء والأمرء نشأ في القاهرة بتيما، مات والده وعمره خمس سنوات، له نحو ٦٠٠ مصنف منها: الإتقان في علوم القرآن، والأرج في الفرج، والأشباه والنظائر، وغيرها. انظر: الأعلام، للزركلي، ٣/٣٠١، بتصرف، وكشف الظنون، للقسطنطيني، ٧٥/١، بتصرف.

المستقيم، هو الذي لا تزيع به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمننا به، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم خذها إليك يا أعور<sup>(1)</sup>.

ومن الآثار: (ما روي عن ابن مسعود أنه قال: من أراد العلم فعليه بالقرآن فإن فيه خبر الأولين والآخرين، وعن الحسن قال: أنزل الله مائة وأربعة كتب أودع علومها أربعة منها التوراة والإنجيل والزيور والفرقان، ثم أودع علوم الثلاثة الفرقان، وقال الإمام الشافعي: جميع ما نقوله الأمة شرح للسنة، وجميع السنة شرح للقرآن ... وقال أيضا: جميع ما حكم به النبي فهو مما فهمه من القرآن ... وعن ابن سراقه أنه حكى في كتاب الإعجاز عن أبي بكر بن مجاهد أنه قال: ما شيء في العالم إلا وهو في كتاب الله فليل له: فأين ذكر الخانات فيه، فقال: في قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [النور: 29].

فهي الخانات، وقال ابن الفضل المرسي في تفسيره: جمع القرآن علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحط بها علما حقيقة إلا المتكلم بها، ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا ما استأثر به سبحانه وتعالى، ثم ورث ذلك عنه معظم سادات الصحابة وأعلامهم، مثل الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، حتى قال: لو ضاع لي عقل بغير لوجدته في كتاب الله تعالى، ثم ورث عنهم التابعون بإحسان، وقال ابن سراقه: من بعض وجوه إعجاز القرآن ما ذكر الله فيه من أعداد الحساب والجمع والقسمة والضرب والموافقة والتأليف والمناسبة والتصنيف والمضاعفة، ليعلم بذلك أهل العلم بالحساب أنه صادق في قوله، وأن القرآن ليس من عنده، إذ لم يكن ممن خالط الفلاسفة، ولا تلقى الحساب وأهل الهندسة.

(1) رواه الترمذي، ١٧٢/٥، رقم: (٢٩٠٦)، وقال: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وورد في سنن الدارمي عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ، تحقيق، خالد العلي ٥٢٦/٢، رقم: (٣٣٣١).

ثم يعقب على ما أورده من أقوال العلماء فيقول: وأنا أقول قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السموات والأرض وما في الأفق الأعلى وتحت الثرى وبدء الخلق وأسماء مشاهير الرسل والملائكة وعيون أخبار الأمم السالفة...<sup>(1)</sup>.

هذه آراء أشهر العلماء القدامى الذين أيّدوا تفسير القرآن على أساس العلم، وسننتقل في المبحث القادم إلى أبرز من تناوله من العلماء المعاصرين ودافع عنه.

---

(1) انظر: الإتيان في علوم القرآن، للسيوطي، ٢/٢٣٠ - ٢٣١.

## المطلب الثاني

### أبرز المؤيدين من العلماء المعاصرين

قبل الشروع في التعرف على أبرز العلماء المعاصرين وعلى رأيهم في هذا الصدد، نلفت الانتباه إلى أن الهدف الأساسي الذي يسعى المؤيدون للتفسير العلمي لتحقيقه إنما هو: استنباط بعض المعاني الجديدة من الآيات القرآنية على أساس العلوم الكونية، لكن ضمن إطار النص القرآني، ودون جرّ الآيات القرآنية إلى النظريات بشكل تعسفي، أو تحميل النص القرآني ما لا يحتمل، فإذا كان الأمر كذلك فإننا وجدنا في العصر الحديث من يحاول تفسير النصوص القرآنية تفسيراً تعسفياً قد أخرجها عن مدلولاتها اللغوية ومعانيها الشرعية، فإذا ما سمع بنظرية علمية أسرع ليجد لها من كتاب الله ما يؤكد لها ولا ضير إن ثنى أعناق الآيات وطوعها لهذه النظرية، أو أنه أقحم هذه النظرية إقحاماً قسرياً في نصوص القرآن ...

ومن هنا سيعرض في هذا المبحث لطائفتين من أقوال العلماء،

**الطائفة الأولى: وهم العلماء المثبتون لقضية الإعجاز ولكن بمغالاة ومنهم:**

الإمام محمد عبده، عبد الرحمن الكواكبي، طنطاوي جوهرى.

**والطائفة الثانية: وهم العلماء المثبتون لقضية الإعجاز ولكن باعتدال:**

ومنهم: مصطفى صادق الرافعي، وحيد الدين خان، محمد جمال الدين الفندي، مصطفى

المراغي، وسنبداً بالحديث عن القسم الأول وهم المغالون.

أولاً . الإمام محمد عبده (1):

يعتبر الشيخ محمد عبده من رواد هذا الاتجاه في تفسير القرآن في العصر الحديث، بل من الذين أصدروا فتوى بجواز تفسير نصوص القرآن بمستجدات العصر وما يتمخض عنه من اكتشافات وابتكارات، وإذا ما رجعنا إلى أفكار الشيخ محمد عبده فليسوف نجد المنهج العلمي التطبيقي الذي سلكه في تحليل آيات القرآن واضحا في تفسيره لجزء «عم» وقد طبع في كتاب منهجي لطلاب المدارس في المراحل المتوسطة، ومع غزارة علمه ومكانته العلمية المرموقة إلا أنه لم يترك خلفه سوى تفسير جزء عم، وتفسير واسع لسورة العصر، وبعض المقالات الإسلامية، ونحن إذ نعرض طرفا من تفسيره في جزء عم، فإننا نجد التجاوز الواضح، بل المغالاة وهو يفسر بعض الآيات الكريمة بما استجد في عصره من علوم ومعارف.

فها هو ذا يفسر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۗ﴾ [التكوير:6] فيقول: (أما تسجير البحار فهو أن يفجر الزلزال ما بينها حتى تختلط وتعود بحرا واحدا، وهو بمعنى الملاء فإن كل واحد منها يمتلئ حتى يفيض ويختلط بالآخر، وتسجير البحار على هذا المعنى لازم لما سبقه من تقطع أوصال الأرض، وانفصال الجبال ويدل على رجحان هذا التأويل ظاهر قوله تعالى في سورة الانفطار ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۗ﴾ [الانفطار:3].

وقد يكون تسجيرها إضرارها، فإن ما في بطن الأرض من النار إذ ذاك يظهر بتشققتها وتمزق طبقاتها العليا، أما الماء فيذهب عند ذلك بخارا، ولا يبقى في البحار إلا النار<sup>(2)</sup>.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ أُنشِقَّتْ ۗ﴾ [الانشقاق:1] يقول: (انشقاق السماء ... هو فساد تركيبها واختلال نظامها عند ما يريد الله خراب هذا العالم الذي نحن فيه، وهو يكون بحادثة من الحوادث التي قد ينجر إليها سير العلم، كأن يمر كوكب في سيره بالقرب من الآخر فيتجاذبا

(1) ١٢٦٦ . ١٣٢٣ هـ، ١٨٤٩ . ١٩٠٥، محمد عبده بن حسن خير الله من آل التركماني، مفتي الديار المصرية،

ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، ولد في شنرا من قرى الغربية في مصر، تعلم بالأزهر وتصوف

وتفلسف، أصدر مع صديقه جمال الدين الأفغاني جريدة العروة الوثقى، ثم تولى منصب القضاء في مصر عام

١٨٨٨، ثم مفتيا للديار المصرية عام ١٣١٧ هـ، واستمر إلى أن توفي بالإسكندرية ودفن في القاهرة، له تفسير

القرآن الكريم، ورسالة التوحيد، والفلسفة والتصوف، وغيرها. انظر: الأعلام، لخير الدين الزركلي ٢٥٢/٦ بتصرف.

(2) تفسير جزء عم، محمد عبده، بيروت، دار الهلال، ١٩٨٥، ص ٣٠.

فيتصادما، فيضطرب نظام الشمس بأسره، ويحدث من ذلك غمام وأي غمام! يظهر في مواضع متفرقة من الجوّ والفضاء الواسع، فتكون السماء قد تشققت بالغمام واختلف نظامها حال ظهوره<sup>(1)</sup>.

(وقد انتقده بعض العلماء في هذا التفسير لخراب العالم، لأن الكون أعظم من أن يختل نظامه بمجرد ضرب كوكب في آخر من المجموعة الشمسية، فما أكثر المجموعات الشمسية التي تتجاوز الأرقام الحسابية التي عرفها البشر! وما أصغر أفكار البشر في شأن مستقبل العالم خرابا أو عمارا فمثل ذلك يجب تفويض الأمر فيه إلى الله تعالى فهو علام الغيوب)<sup>(2)</sup>.

وعند ما يفسر سورة الفيل نجد تجاوزا وتعسفا شديدين في تفسير هذه السورة، يقول: (وفي اليوم الثاني فشا في جند الحبش داء الجدري والحصبة، قال عكرمة: هو أول جدري ظهر في بلاد العرب وقال يعقوب بن عتبة: أول ما رؤيت الحصبة والجدري ببلاد العرب ذلك العام، ثم يقول: وهذا ما انفقت عليه الروايات ويصح الاعتقاد به، وقد بيّنت لنا هذه السورة أن ذلك الجدري أو تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير مما يرسله الله مع الريح، فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض ... وأن هذا الحيوان الصغير الذي يسمونه بالميكروب لا يخرج عنها، هذا ما يصح الاعتماد عليه في تفسير السورة، وما عدا ذلك فهو مما لا يصح قبوله إلا بتأويل إن صحت روايته)<sup>(3)</sup>.

لا أدري من الذي سوّغ للإمام رحمه الله أن يقم الميكروب في تفسير السورة مكان الطير الأبابيل، وما أظن أن في اللغة العربية و مترادفات ما يسوّغ أن نطلق على لفظة الطير بالميكروب، أو بالجدري أو بالحصبة ... ثم إن حماس الشيخ قد دفعه ليجزم قائلًا: هذا ما يصح الاعتماد عليه في تفسير السورة، وما عدا ذلك فهو مما لا يصح قبوله إلا بتأويل إن صحت روايته، وهذا كما هو واضح تحميل للنص القرآني ما لا يحتمل وما لا يطيق أبداً، وقد أكثر العلماء في الرد عليه، وأرى أن المسألة من البطلان بحيث لا تستأهل تضييع الوقت في الرد على مثل هذه التعسفات.

(1) تفسير جزء عمّ، محمد عبده، ص ٣٥.

(2) التفسير العلمي للقرآن، أحمد عمر أبو حجر، ص ١٧٣.

(3) تفسير جزء عمّ، محمد عبده، ص ١٦٢.

## ثانيا . عبد الرحمن الكواكبي<sup>(1)</sup>:

عند ما يتحدث الكواكبي عن القرآن يصفه بأنه: شمس العلوم وكنز الحكم، ويعلل السبب الذي جعل العلماء ينصرفون عن تفسير قسيمي «الآلاء والأخلاق» من القرآن تفسيراً علمياً هو أنهم: (كانوا يخافون مخالفة رأي بعض السلف القاصرين في العلم، فيكفرون فيقتلون، وهذه مسألة إعجاز القرآن وهي أهم مسألة في الدين، لم يقدروا أن يوفوها حقها من البحث، واقتصروا على ما قاله بعض السلف قولاً مجملاً من أنها قصور الطاقة عن الإتيان بمثله في فصاحته وبلاغته، وأخباره عن أن الروم من بعد غلبهم سيغلبون، مع أنه لو أطلق للعلماء عنان التدقيق وحرية الرأي والتأليف كما أطلق لأهل التأويل والخرافات، لرأوا في ألوف من آيات القرآن ألوف آيات من الإعجاز لرأوا فيه كل يوم آية تتجدد مع الزمان والحدثان تبرهن إعجازه بصدق قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا رَطْبَ وَلَا يَابِسَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: 59]، عيان لا مجرد تسليم وإيمان<sup>(2)</sup>.

ثم يبدأ بسرد طائفة من الآيات القرآنية، ويحللها ويفسرها تفسيراً علمياً فيقول: (ومثال ذلك أن العلم كشف في هذه القرون الأخيرة حقائق وطبائع كثيرة، تعزى لكاشفيها ومخترعيها من علماء أوروبا وأمريكا، والمدقق في القرآن يجد أكثرها ورد التصريح أو التلميح به في القرآن منذ ثلاثة عشر قرناً، وما بقيت مستورة تحت غشاء من الخفاء إلا لتكون عند ظهورها معجزة للقرآن، شاهدة بأنه كلام رب لا يعلم الغيب سواه، وذلك أنهم قد كشفوا أن مادة الكون هي الأثير، وقد وصف القرآن بدء التكوين فقال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: 11]

وكشفوا أن الكائنات في حركة دائمة دائبة والقرآن يقول: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾

[يس: 40]

(1) ١٢٦٥ . ١٣٢٠ هـ، ١٨٤٩ . ١٩٠٥، عبد الرحمن الكواكبي من الكتاب والأدباء ومن رجال الإصلاح، تعلم في حلب، وأنشأ فيها جريدة الشهباء فأقفلتها الحكومة، وجريدة الاعتدال فعملت، وأسندت إليه مناصب عديدة، ثم ضيق عليه أعداء الإصلاح فسعوا به فسجن، توفي في مصر وله من المؤلفات: أم القرى، وطبائع الاستبداد. انظر: الأعلام، للزركلي، ٢٨٩/٣ بتصرف.

(2) طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، عبد الرحمن الكواكبي، بيروت، دار النفائس، ط1، ١٩٨٤، ص ٤٧.

وحققوا أن الأرض منفتحة في النظام الشمسي والقرآن يقول: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: 30]

وحققوا أن القمر منشق من الأرض، والقرآن يقول: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: 1]

... وحققوا أن طبقات الأرض سبع والقرآن يقول: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ سَبْعًا﴾ [الطلاق: 12].

وكشفوا وجود الميكروب وتأثيره كالجذري وغيره من المرض والقرآن يقول ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ [الفيل: 3] أي متتابعة مجتمعة، ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الفيل: 4]

أي من طين المستنقعات اليابس<sup>(1)</sup> إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة المحققة لبعض مكتشفات علم الهيئة والنواميس الطبيعية، وبالقياس على ما تقدم ذكره يقتضى أن كثيرا من آياته سينكشف سرها في المستقبل في وقتها المرهون، تجديدا لإعجازه ما دام الزمان<sup>(2)</sup>.

(وإذا كان لنا من تعليق على قوله فإننا نقول: إنه قد تأثر بهذا اللون من التفسير تأثرا كبيرا حتى وصل به الأمر إلى حد الإفراط والمغالاة، وبسبب ذلك صار يتلمس لكل نظرية نصا من القرآن مدعيا أن هذا وجه من وجوه صدقه ودلائل إعجازه العلمي بعد أن اقتصر علماء السلف على حد قوله على أن فصاحته وبلاغته هي سبب إعجازه، فانظر إلى استدلاله على أن القمر منشق من الأرض بقوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: 1]

فإن هذا المعنى المزعوم لا تدل عليه أي من الآيتين، وهو معنى بعيد كل البعد عن معناهما، بالإضافة إلى أنه قد يستدل ببعض آية تاركا ما قبلها وما بعده<sup>(3)</sup>. هذان من أبرز من تناول

(1) سيأتي انتقاد هذا القول.

(2) انظر: طبائع الاستبداد، للكواكبي، ص ٤٨ . ٤٩.

(3) التفسير العلمي للقرآن، أحمد عمر أبو حجر، ص ١٩٢.

تفسير القرآن بمغالاة، وهناك غيرهما كثير مثل عبد العزيز إسماعيل في كتابه «الإسلام والطب الحديث» وعبد الرزاق نوفل في عدة كتب له، ومن أخطر وأجراً من تعسف في هذا الصدد هو طنطاوي جوهرى في تفسيره «الجواهر» الذي جاء في خمسة وعشرين جزءاً، والذي يتحدث فيه: (لقد وضعت في هذا التفسير ما يحتاجه المسلم من الأحكام والأخلاق وعجائب الكون وأثبت فيه غرائب العلوم، وعجائب الخلق، مما يشوق المسلمين والمسلمات إلى الوقوف على حقائق معاني الآيات البينات في الحيوان والنبات والأرض والسموات ولتعلمن أيها الفطن أن هذا التفسير نفحة ربانية، وإشارة قدسية، وبشارة رمزية، وأمرت به بطريق الإلهام، وأيقنت أن له شأنًا سيعرفه الخلق، وسيكون من أهم أسباب رقي المستضعفين في الأرض)<sup>(1)</sup>.

يقول فيه الدكتور حسين الذهبي: (ونجده يضع لنا في تفسيره كثيراً من صور النباتات والحيوانات ومناظر الطبيعة، وتجارب العلوم، بقصد أن يوضح للقارئ ما يقول، توضيحاً يجعل الحقيقة أمامه كالأمر المشاهد المحسوس، ولقد أفرط في ذلك، وجاز حد المجاز.

ومما يؤخذ عليه: أنه قد يشرح بعض الحقائق الدينية بما جاء عن أفلاطون في جمهوريته أو بما جاء عن إخوان الصفا في رسائلهم، وهو حين ينقلها يبدي رضاه عنها وتصديقه بها في حين أنها تخالف في ظاهرها ما عليه أصحابه السلفيون والأشاعرة.

هذا، وأنا نجد المؤلف يفسر آيات القرآن تفسيراً يقوم على نظريات علمية حديثة غير مستقرة في ذاتها، ولم تمض فترة التثبت منها، وهذا ضرب من التكلف ارتكبه المؤلف، إن لم يكن يذهب بغرض القرآن أحياناً، فلا أقل من أن يذهب بروائه وبهائه)<sup>(2)</sup>.

### الطائفة الثانية: المثبتون من العلماء المعاصرين باعتدال

أولاً: وحيد الدين خان<sup>(1)</sup>:

(1) الجواهر في تفسير القرآن الكريم، طنطاوي جوهرى، بيروت، دار إحياء التراث العربى، الطبعة الرابعة، ١٤١٢ هـ/١٩٩١، ٣/١.

(2) التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، القاهرة، دار الكتب الحديثة، الطبعة الأولى، ١٣٨١ هـ، ١٩٦١، ٣/١٨٤.

وسوف نقف مع كتابه «الإسلام يتحدى» والذي قدم له الدكتور عبد الصبور شاهين.

عقد وحيد الدين خان في كتابه المذكور مبحثاً بعنوان: القرآن والكشوف الحديثة، تحدّث فيه عن قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ووضع بعض الضوابط لهذا النمط من التفسير، والتي تدل على اعتدال الرجل واتزانه إزاء هذه القضية، ثم ساق طائفة من الآيات القرآنية وفسّرها بناء على معطيات الحقائق العلمية، وبمنهج دقيق لا إفراط فيه ولا مغالاة.

وما هو ذا يبين أهم قيد من القيود التي يركز عليها هذا التفسير فيقول: (إن مطابقة كلمات القرآن وألفاظه للكشوف العلمية الحديثة مبنية على أن العلم الحديث قد استطاع الكشف عن أسرار الواقعة موضوع البحث، فتوفرت لدينا مواد نافعة لتفسير الإشارات القرآنية في ذلك الموضوع، ولو أن دراسة المستقبل في موضوع ما تبطل واقعة من وقائع العلم الحديث كلياً أو جزئياً فليس هذا بضائر مطلقاً صدق القرآن، بل معناه أن المفسر أخطأ في محاولته لتفسير إشارة مجملة في القرآن، وإنني لعلّى يقين راسخ بأن الكشوف المقبلة سوف تكون أكثر إيضاحاً لإشارات القرآن، وأكثر بيانا لمعانيه الكامنة<sup>(2)</sup>).

ويبدأ بضرب بعض الأمثلة على إعجاز القرآن، وسبقه في تسجيل الحقائق العلمية التي وصل إليها علماء العصر، لكن بعد جهد جهيد، وعمل مضن ومستمر كلفهم أموالاً طائلة فضلاً عن سهر الليالي الطويل، فيقول:

ذكر القرآن الكريم قانوناً خاصاً بالماء في سورتين هما الفرقان والرحمن، وجاء في السورة الأولى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٍ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَّحْجُوراً﴾ [الفرقان: 53]

(1) من كبار علماء الهند ومفكرها في العصر الحديث، ومن الذين يتولون قضية الإسلام أمام الزحف الفكري المعادي، له عدة مؤلفات منها، الإسلام يتحدى، والدين. انظر: مقدمة الدكتور عبد الصبور شاهين لكتاب الإسلام يتحدى.

(2) الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، القاهرة، دار البحوث العلمية، ترجمة، ظفر الإسلام خان، الطبعة الثانية،

وأما الآية التي وردت في السورة الأخرى فهي تقول: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۚ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: 20/19].

إن الظاهرة الطبيعية التي يذكرها القرآن في هذه الآيات معروفة عند الإنسان منذ أقدم العصور وهي أنه إذا ما التقى نهران في ممر مائي واحد، فماء أحدهما لا يدخل أي لا يذوب في الآخر، وهناك على سبيل المثال، نهران يسيران في «تشاتغام» بباكستان الشرقية إلى مدينة «أركان» في «بورما» ويمكن مشاهدة النهرين، مستقلا أحدهما عن الآخر، ويبدو أن خيطا يمر بينهما حدا فاصلا، والماء عذب في جانب وملح في جانب آخر، وهذا هو شأن الأنهار القريبة من السواحل، فماء البحر يدخل ماء النهر عند حدوث المد البحري ولكنهما لا يختطان، ويبقى الماء عذبا تحت الماء الأجاج، وهكذا شاهدت عند ملتقى نهري «الكنج والجامونا» في مدينة «الله آباد» فهما رغم التقائهما لم تختلط مياههما ويبدو أن خيطا فاصلا يميز أحدهما عن الآخر ...

إن هذه الظاهرة كانت معروفة لدى الإنسان القديم ... ولكننا لم نكشف قانونها إلا منذ بضعة عشرات من السنين، فقد أكدت المشاهدات والتجارب أن هناك قانونا ضابطا للأشياء السائلة، يسمى بقانون المط السطحي (surface tension) وهو يفصل بين السائلين، لأن تجاذب الجزيئات يختلف من سائل إلى آخر، ولذا يحتفظ كل سائل باستقلاله في مجاله، وقد استفاد العلم الحديث كثيرا من هذا القانون، الذي عبر عنه القرآن الكريم بقوله سبحانه: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: 20]

وملاحظة هذا البرزخ لم تخف عن أعين القدماء، كما لم تتعارض مع المشاهدة الحديثة.

ونستطيع بكل ثقة أن نقول إن المراد من البرزخ إنما هو المط أو التمدد السطحي الذي يوجد في المائين والذي يفصل أحدهما عن الآخر<sup>(1)</sup>.

ثم يستعرض عددا من الأمثلة في عدة جوانب من العلوم مقارنا ذلك مع ما ورد في كتاب الله تعالى، بدقة وموضوعية، ثم يقول: (لسنا نملك أمام هذا التوافق المدهش بين ما ورد في الماضي

(1) انظر: الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، ص: ١٤٢ . ١٤٣.

البعيد وما اكتشف بالأمس القريب، إلا أن نؤمن بأن هذا الكلام صادر عن موجود يحيط علمه بالماضي والحال والمستقبل على السواء<sup>(1)</sup>.

## ثانيا . الدكتور محمد جمال الدين الفندي<sup>(2)</sup>:

يعرض الدكتور الفندي قضية الإعجاز العلمي في القرآن لكن بتحفظ وتثبت دون مغالاة أو تجاوز ويقف عند حدود النص ومدلولاته اللغوية والشرعية، ويعتمد المنهج الدقيق الصحيح، وهو: تفسير القرآن على أساس الحقائق العلمية الثابتة لا النظريات المتغيرة المتبدلة، ويسوق مجموعة من الأمثلة التي تثبت إعجاز القرآن الكريم، يقول: (وسوف نوضح كيف تمشى العلم مع القرآن الكريم منذ نزل وتلك قاعدة عامة طالما كانت التعليقات العلمية أو التفسيرات مبنية على حقائق سليمة علمية وقاصرة على الحقائق بعيدا عن النظريات المتطورة، ومن غير أن نكلف الآيات ما لا طاقة لها به من مجاز أو كناية)<sup>(3)</sup>.

ويبدأ بعرض أمثلة يوضح فيها سبق القرآن في تسجيل بعض قواعد العلوم وإعجازه في ذلك ومن هذه الأمثلة التي ذكرها تعقيبه على قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَّاحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَاسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر: 22].

فيقول: (قال الأقدمون في ظل ما كان متوفرا لديهم من حقائق العلم أن (لَوَّاحٍ) هنا إنما تشير إلى تلقيح الرياح لبعض النباتات لكي تثمر أو يوجد الثمر، وهذه حقيقة قائمة لم تتغير لأن الرياح كانت ولا زالت وسوف تستمر في تلقيح بعض النباتات لتوجد الثمر، وفي ظل الأفاق الواسعة التي فتحها أمامنا عصر العلم اتضح للعلماء وثبت لديهم أن الرياح هي التي تثير السحاب وتكونه، مصدقا لبيانه تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الروم: 48].

(1) المصدر نفسه، ص: ١٥١.

(2) رئيس قسم الفلك وأستاذ الطبيعة الجوية بكلية العلوم في جامعة القاهرة، كما أنه عضو في المجلس الأعلى للثئون الإسلامية بمصر، له العديد من المؤلفات العلمية والدينية منها: قصة الكون، والصعود إلى المريخ، والإسلام وقوانين الوجود. عن مقدمة دار النشر لهذا الكتاب، الهيئة المصرية العامة للكتب.

(3) الإسلام وقوانين الوجود، محمد جمال الدين الفندي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتب، ١٩٨٢، ص: ٥٥.

والقرآن الكريم هو أول كتاب على الإطلاق قرر تلك الحقيقة العلمية، وفي ظل تلك القضايا العلمية الهامة يستمر القرآن الكريم فيفرق بين السحاب الذي يمطر والسحاب الذي لا يمطر معلنا في إعجاز علمي أخاذ أن نزول المطر إنما يتم عن طريق تلقيح الرياح للسحاب، ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر: 22] ولقد ثبت علميا أن السحب لكي تمطر يجب أن تستمر الرياح وتدأب على تلقيحها أو إمدادها بجسيمات عناصر المطر وهي بخار الماء ونوى التكاثف وبخار الماء عبارة عن جزئيات منفصلة من الماء، تحملها الرياح من أسطح البحار والمحيطات وتصعد بها إلى مناطق إثارة السحب لكي تتجمع من جديد على جسيمات صغيرة أخرى تذروها الرياح وتعرف باسم «نوى التكاثف».

وهذا التفسير الجديد إنما يربط بين أجزاء الآية الكريمة ويجعلها واضحة المعنى، حيث تكون الفاء في قوله: (فَأَنْزَلْنَا) هي فاء السببية، أي نجم عن هذا التلقيح إخصاب السحاب، ومن ثم نزول الماء العذب وهو المطر<sup>(1)</sup>.

٢. وعند ما يفسر قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: 47]

يقول: (قال الأقدمون: إن هذه الآية الكريمة تشير إلى حقيقة ما لدى الخالق من عظيم القدرة واتساع الملك رغم ما أودعه في الكون الفسيح من ألوان المادة وأجرام السماء، أي أن كلمة «موسعون» إنما تشير إلى اليسر والغنى ... ويتقدم آلات الرصد عرفت المجرات، وأقرب المجرات إلينا مجرة «المرأة المسلسلة» وهي تبعد عن مجرتنا بنحو ٧٠٠ ألف سنة ضوئية<sup>(2)</sup>، وما زالت أبعاد الكون تتسع حتى عرف الناس اليوم أن هناك نجوما هي في الواقع مجرات، تبدو لفرط بعدها عنا على هيئة نقط مضيئة هي أشباه النجوم وتبعد عنا بنحو ١٢ ألف مليون سنة ضوئية!.

إننا مرة أخرى نسلم بحقيقة المعنى الأول لكلمة «موسعون» كما أننا نسلم بصحة التفسير الحديث الذي سقناه، حيث إنه فعلا اتسعت أبعاد الكون المرئي أمام البشر اتساعا يكاد لا يصدق العقل بتقدم آلات الرصد والتتبع، على أن هناك معنى آخر يشير إلى حقيقة أن الكون يتمدد، أي تزداد أبعاده بمرور الزمن وهذه إحدى نتائج حسابات النسبية، إلا أن الآية الكريمة إنما تضم هذه

(1) انظر: الإسلام وقوانين الوجود، محمد جمال الفندي، ص: ٥٦.

(2) السنة الضوئية: (light year) المسافة التي يقطعها الضوء خلال سنة. موجز في تاريخ الزمان، ستيفن

هوكينغ، ص: ٢٠٨.

التفسيرات والحقائق العلمية السليمة كلها، ورأينا إذا كيف ساير ركب العلم ما أثاره القرآن الكريم من قضايا العلم العامة ...<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً . الشيخ أحمد مصطفى المراغي<sup>(2)</sup>:

يعلن الشيخ المراغي في مقدمة تفسيره عن المنهج الذي سلكه في تفسير القرآن الكريم، ويدقق على أهمية تلاحق المعرفة، بحيث يستند المفسر لكتاب الله في قضايا العلم على المختصين في العلوم الكونية والطبيعية، ليكون لكلامه وزن وثقل ومصداقية، وأن يواكب العلوم العصرية ومستجداتها ولا يركن إلى ما قيل في قضايا العلم قبل قرون ...

يقول المراغي في مقدمة تفسيره: (وقد سلكنا في الوصول إلى فهم الآيات التي أشارت إلى بعض نظريات في مختلف الفنون استطلاع آراء العارفين بها، فاستطلعنا آراء الطبيب النطاسي<sup>(3)</sup>، والفلكي العارف، والمؤرخ الثبت، والحكيم البصير ليدلي كل برأيه فيما تمهر فيه، لنعلم ما أثبتته العلم وأنتجه الفكر، فيكون كلامنا معتزلاً بكرامة المعرفة التي تشرف بتفهم كتاب الله، فرجل الدين حامل لوائها عليه أن يسأل العلم دائماً يستبصر بما ثبت لديه، ويساير عصره ما وجد إلى ذلك سبيلاً،

(1) انظر: الإسلام وقوانين الوجود، محمد جمال الفندي، ص: ٥٨ . ٥٩.

(2) أحمد بن مصطفى المراغي: مفسر مصري، من العلماء. تخرج بدار العلوم سنة 1909 ثم كان مدرّس الشريعة الإسلامية بها. وولي نظارة بعض المدارس. وعين أستاذاً للعبية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم. وتوفي بالقاهرة. له كتب، منها (الحسبة في الإسلام - ط) رسالة، و (الوجيز في أصول الفقه - ط) مجلدان، و (تفسير المراغي - ط) ثمانية مجلدات، و (علوم البلاغة - ط) (2) .

(3) الماهر الحائق

"النطاسي، بالكسر والفتح: العالم. وكسبَيْتِ: المتطَبَّبُ.

والنطاسُ: الجاسوسُ. وكَتَبْتِ: المُتَقَرَّرُ المُتَقَرَّرُ، وبضمّتين: الأَطْبَاءُ الحُدَّاقُ، والمُتَقَرَّرُونَ " القاموس المحيط 1/577

فإن قعدت به همته إلى الموروث من قضاياها لدى الماضين ركب شططا وازداد بعدا عن الحقيقة، وتضاعل أمام نفسه وأمام قارئه بحوثه ومؤلفاته<sup>(1)</sup>.

وإذا ما أردنا أن نتبين التطبيق العملي لهذا المنهج فلنستعرض بعض الأمثلة التي أوردها في تفسيره وكيف وازن بين آيات القرآن الكريم وبين مستجدات العلم.

ففي تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوْحَيْنِ أُثْنَيْنِ يُغْشِي الْآيِلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد:3]

يقول المراغي: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾ أي جعلها متسعة ممتدة في الطول والعرض لتثبت عليها الأقدام، ويتقلب عليها الحيوان، وينفع الناس بخيراتها وزرعها وضرعها ... ولا شك أن الأرض لعظم سطحها هي في رأي العين كذلك، وهذا لا يمنع كرويتها التي قد قامت عليها الأدلة لدى علماء الفلك، ولم يبق لديهم فيها ريب ...

ثم يقول: ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوْحَيْنِ﴾ أي وجعل فيها من كل أصناف الثمرات زوجين اثنين ذكرا أو أنثى حين تكونها، فقد أثبت العلم حديثا أن الشجر والزرع لا يولدان الثمر والحب إلا من اثنين ذكر وأنثى، وعضو التذكير قد يكون مع عضو التأنيث في شجرة واحدة كأغلب الأشجار، وقد يكون عضو التذكير في شجرة وعضو التأنيث في شجرة أخرى كالنخل، ما كان العضوان فيه في شجرة واحدة إما أن يكونا معا في زهرة واحدة كالقطن، وإما أن يكون كل منهما في زهرة كالقرع مثلا<sup>(2)</sup>.

وفي بيانه تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس:38]

يقول: (أي والشمس تجري حول مركز مدارها الثابت الذي تسير حوله بحسب وضعها النجمي، فقد ثبت أن لها حركة رحوية حول هذا المركز تقدر بمائتي ميل في الثانية، وهذا الوضع العجيب من تقدير العزيز القاهر لعباده ... ثم يقول: وعلماء الفلك قديما جعلوا الكواكب مركوزة في

(1) تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ١٨/١.

(2) تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ٦٦/٣١.

الأفلاك على ما نراه في كتبهم، فليس للكوكب أن يسبح من تلقاء نفسه، بل لا بد له من حامل يحمله وهو الذي يدور به وكيف يسبح ما لا حرية له، ولا قدرة له على السير بل هو محمول على غيره؟ هكذا كان الرأي عندهم، ولكن رأي علماء الفلك المحدثين: أن جميع الكواكب تسير في مدارات في عالم الأثير فهي إذا كأنها سمك في بحر لحي ... ثم يعقب قائلاً: فاعجب أيها القارئ الكريم للقرآن كيف أثبت ما دل على صحته الكشف الحديث، ودحض تلك الآراء التي كانت شائعة عصر التنزيل لدى علماء الفلك من اليونان والهند والصين<sup>(1)</sup>.

بعد هذه الجولة السريعة في صفحات كتب المثبتين لقضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، من العلماء القدامى والمعاصرين، ننتقل في المبحث الآتي لنتعرف على أبرز المعارضين لتفسير القرآن على أساس العلم من العلماء القدامى والمعاصرين.

---

(1) تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ١٠/٢٣ . ١١ .

## المبحث الثالث

### الرافضون للإعجاز العلمي

#### المطلب الأول

#### أبرز المعارضين من العلماء القدامى

إذا كان قد وجد من العلماء القدامى من دعا وتبنى قضية التفسير العلمي للقرآن، فإن من العلماء القدامى من قد عارض هذا الاتجاه وردده، وعلى رأس هؤلاء العالم الأصولي الكبير، والذي أخذ كتابه «الموافقات» شهرة كبيرة في أوساط العلماء منذ قرون، إنه الإمام الشاطبي.

أولاً . المعارضون من العلماء القدامى:

الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي<sup>(1)</sup>:

عرض الإمام الشاطبي في كتابه «الموافقات» لأمية الرسول، وأمие هذه الأمة، وساق أدلة على أمية هذه الأمة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، وبما أننا أمة أمية فإن الشريعة التي نزلت فينا أمية كذلك؟ على هذا الأساس كان منطلق رده لقضية التفسير العلمي للقرآن.

يقول الإمام الشاطبي: (ما تقرر من أمية الشريعة وأنها جارية على مذاهب أهلها وهم العرب

ينبني عليه قواعد:

١ . منها: أن كثيراً من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحدّ، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين: من علوم الطبيعيات، والتعاليم والمنطق، وعلم الحروف، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهاها، وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح، وإلى هذا فإن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم كانوا أعرف بالقرآن وبعلمه وما

(1) ٧٩٠ هـ ... ١٣٨٨، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي، أصولي حافظ، كان من أئمة المالكية، من مؤلفاته، أصول النحو، والاعتصام بالسنة، والاتفاق في علم الاشتقاق، والموافقات في أصول الشريعة، وغيرها. انظر: الأعلام للزركلي، ٧٥/١، بتصرف.

أودع فيه، ولم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم في شيء من هذا المدعى، سوى ما تقدم وما ثبت فيه من أحكام التكاليف وأحكام الآخرة، وما يلي ذلك، ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر، لبلغنا منه ما يدلنا على أصل المسألة؛ إلا أن ذلك لم يكن، فدل على أنه غير موجود عندهم، وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا نعم، تضمن علوما هي من جنس علوم العرب، أو ما ينبني على معهودها مما يتعجب منه أولو الألباب، ولا تبلغه إدراكات العقول الراجحة دون الاهتداء بأعلامه، والاستتارة بنوره، أما أن فيه ما ليس من ذلك فلا<sup>(1)</sup>.

ثم يشرع الشاطبي رحمة الله بذكر أدلة المجيزين لقضية الإعجاز ويردها، فيقول: (وربما

استدلوا على دعواهم بقوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل: 89]

وقوله: ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: 38]

ونحو ذلك، وبفواتح السور وهي مما لم يعهد عند العرب وبما نقل عن الناس فيها، وربما حكي من ذلك عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره أشياء.

فأما الآيات فالمراد بها عند المفسرين ما يتعلق بحال التكليف والتعبد، أو المراد بالكتاب في

قوله تعالى: ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: 38]

اللوحة المحفوظ، ولم يذكروا فيها ما يقتضي تضمنه لجميع العلوم النقلية والعقلية.

وأما فواتح السور فقد تكلم الناس فيها بما يقتضي أن للعرب بها عهدا، كعدد الجمل الذي تعرفوه من أهل الكتاب، حسبما ذكره أصحاب السير، أو هي من المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله تعالى، وغير ذلك.

وأما تفسيرها بما لا عهد به فلا يكون، ولم يدعه أحد ممن تقدم، فلا دليل فيها على ما ادعوا وما ينقل عن علي أو غيره في هذا لا يثبت، فليس بجائز أن يضاف إلى القرآن ما لا يقتضيه، كما أنه لا يصح أن ينكر منه ما يقتضيه، ويجب الاقتصار في الاستعانة على فهمه على كل ما

(1) الموافقات في أصول الشريعة، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي، بيروت، دار المعرفة،

يضاف علمه إلى العرب خاصة، فبه يوصل إلى علم ما أودع من الأحكام الشرعية، فمن طلبه بغير ما هو أداة له ضلَّ عن فهمه، ونقول على الله ورسوله فيه، والله أعلم، وبه التوفيق<sup>(1)</sup>.

(ومنطق الشاطبي هنا منطق قوي، وأدلته لا مطعن فيها، إلا ما كان من اعتماده على أمية الشريعة، بناء على أمية الأمة، ذلك أن أمية الأمة ليست أمراً مطلوباً ولا مرغوباً فيه، بل بعث الله رسوله في الأميين ليخرجهم من الأمية إلى باحة العلم والنور كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة:2].

فهذه مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم مع الأميين: التلاوة والتزكية وتعليم الكتاب والحكمة، ولا أعجب أن كانت الآيات الأولى من الوحي تنبئ بذلك ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق:1] فالأمية ممدوحة في حقه صلى الله عليه وسلم لأنها أدل على الإعجاز، وليست ممدوحة في حق الأمة، وعلى الأمة أن تتحرر منها لتتعلم وتتفقه وتتظر في ملكوت السموات والأرض...<sup>(2)</sup>.

وهذا مثال للعلماء الأقدمين المعارضين للإعجاز العلمي والتكلف في التفسير.

(1) الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي، ٣٩٠/٢.

(2) كيف نتعامل مع القرآن العظيم، يوسف القرضاوي، القاهرة، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ/١٩٩٩،

## المطلب الثاني

### المعارضون من العلماء المعاصرين

#### ١ . الشيخ محمود شلتوت<sup>(1)</sup>:

لم يخرج شيخ الأزهر محمود شلتوت عن الأطر التي رسمها الشاطبي لمعارضته، فما هو ذا يعلن معارضته الواضحة لتفسير القرآن على أساس العلم في مقدمة تفسيره فيقول: (وأما الناحية الثانية: فإن طائفة أخرى فهي طائفة المتقنين الذين أخذوا بواف من العلم الحديث، وتلقفوا شيئاً من النظريات العلمية والفلسفية وغيرها، أخذوا يستندون إلى ثقافتهم الحديثة، ويفسرون آيات القرآن على مقتضاها، نظروا في القرآن فوجدوا الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام:38].

فتألولوها على نحو زين لهم أن يفتحوا في القرآن فتحة جديداً، ففسروه على أساس من النظريات العلمية المستحدثة، وطبقوا آياته على ما وقعوا عليه من قواعد العلوم الكونية وظنوا أنهم بذلك يخدمون القرآن، ويرفعون من شأن الإسلام، ويدعون له أبلغ دعاية في الأوساط العلمية والثقافية.

نظروا في القرآن على هذا الأساس، فأفسد ذلك عليهم أمر علاقتهم بالقرآن، وأفضى بهم إلى صور من التفكير لا يريدونها القرآن، ولا تتفق مع الغرض الذي من أجله أنزله الله، فإذا مرت آية فيها ذكر للمطر أو وصف للسحاب أو حديث عن الرعد أو البرق تهللوا واستبشروا وقالوا: هذا هو القرآن يتحدث إلى العلماء الكونيين، ويصف لهم أحدث النظريات العلمية عن المطر والسحاب وكيف ينشأ وكيف تسوقه الرياح، وإذا رأوا القرآن يذكر الجبال أو يتحدث عن النباتات أو الحيوان وما خلق الله من شيء قالوا: هذا حديث القرآن عن علوم الطبيعة وأسرار الطبيعة، وإذا رأوه يتحدث عن

(1) محمود شلتوت (١٣١٠ - ١٣٨٣ هـ، ١٨٩٣ - ١٩٦٣) فقيه ومفسر ولد في منية بني منصور في البحيرة،

وتخرج بالأزهر عام ١٩١٨ وكان داعية إصلاح نير الفكر، ومن أعضاء كبار العلماء، ومن أعضاء مجمع اللغة العربية، ثم تعين شيخاً للأزهر عام ١٩٥٨، إلى وفاته، له ٢٦ مؤلفاً مطبوعاً منها: التفسير، وحكم الشريعة، والقرآن والمرأة، وغيرها. انظر: الأعلام، للزركلي، ١٧٣/٧، بتصرف.

الشمس والقمر والكواكب والنجوم، قالوا: هذا حديث يثبت لعلماء الهيئة والفلكيين أن القرآن كتاب علمي دقيق...<sup>(1)</sup>.

ويعد استعراضه بعض الآيات التي فسّرت تفسيراً علمياً يقول: (إن هؤلاء في عصرنا الحديث لمن بقايا قوم سافلين فكّروا مثل هذا التفكير، ولكن على حسب ما كانت توحى به إليهم أحوال زمانهم فحاولوا أن يخضعوا القرآن لما كان عندهم من نظريات علمية أو فلسفية أو سياسية)<sup>(2)</sup>.

ثم يبين جوانب الخطأ في هذا الاتجاه فيقول: (هذه النظرة للقرآن خاطئة من غير شك، لأن الله لم ينزل القرآن ليكون كتاباً يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم ودقائق الفنون وأنواع المعارف. وهي خاطئة: من غير شك لأنها تحمل أصحابها والمغرمين بها على تأويل القرآن تأويلاً متكلفاً يتنافى مع الإعجاز ولا يسيغه الذوق السليم).

وهي خاطئة: لأنها تعرّض القرآن للدوران مع مسائل العلوم في كل زمان ومكان، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأي الأخير، فقد يصح اليوم في نظر العلم ما يصبح غداً من الخرافات.

فلو طبقنا القرآن على هذه المسائل العلمية المتقلبة، لعرضناه للتقلب معها، وتحمل تبعات الخطأ فيها، ولأوقفنا أنفسنا بذلك موقفاً حرجاً في الدفاع عنه.

فلندع للقرآن عظمته وجلاله، ولنحفظ عليه قدسيته ومهابته، ولنعلم أن ما تضمنه من الإشارات إلى أسرار الخلق وظواهر الطبيعة إنما هو لقصد الحث على التأمل والبحث والنظر...<sup>(3)</sup>.

(1) تفسير القرآن الكريم، محمود شلتوت، القاهرة، دار الشروق، الطبعة السادسة، ١٣٩٤ هـ/١٩٧٤، ص ١١.

(2) المصدر نفسه، ص: ١١.

(3) تفسير القرآن الكريم، محمود شلتوت، ص: ١٢.

## ٢ . سيد قطب (1):

موقف سيد قطب رحمه الله تعالى هو نفس موقف الشاطبي وشلتوت، ولندع لقلمه البليغ أن يعرب عما يعتقد في هذا المجال، وسوف نقنّب رأيه من تفسيره «الضلال» عند تعليقه على آية الأهله ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوْقِيتٌ لِلنَّاسِ وَالْحَيُّ وَالْحَيُّ وَالْحَيُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْأَهْلَ مِنَ الْأَهْلِ مَنْ أَنْتَقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

﴿البقرة:189﴾

يقول: (القرآن قد جاء لما هو أكبر من تلك المعلومات الجزئية، ولم يجيء ليكون كتاب علم فلكي أو كيميائي أو طبي كما يحاول بعض المتحمسين له أن يلتمسوا فيه هذه العلوم، أو كما يحاول بعض الطاعنين فيه أن يلتمسوا مخالفاته لهذه العلوم، إن كلتا المحاولتين دليل على سوء الإدراك لطبيعة هذا الكتاب ووظيفته ومجال عمله، إن مجاله هو النفس الإنسانية والحياة الإنسانية، وإن وظيفته أن ينشئ تصورا عاما للوجود وارتباطه بخالقه، ولوضع الإنسان في هذا الوجود، وارتباطه بربه، وأن يقيم على أساس هذا التصور نظاما للحياة يسمح للإنسان أن يستخدم كل طاقاته، ومن بينها طاقته العقلية التي تقوم هي بعد تنشئتها على استقامة، وإطلاق المجال لها لتعمل بالبحث العلمي في الحدود المتاحة للإنسان وبالتجريب والتطبيق، وتصل إلى ما تصل إليه من نتائج ليست نهائية ولا مطلقة بطبيعة الحال، إن مادة القرآن التي يعمل فيها هي الإنسان ذاته، تصوره واعتقاده ومشاعره ومفهوماته وسلوكه وأعماله وروابطه وعلاقاته، أما العلوم المادية والإبداع في عالم المادة بشتى وسائله وصنوفه فهي موكولة إلى عقل الإنسان وتجاربه وكشوفه وفروضه ونظرياته، بما أنها أساس خلافته في الأرض وبما أنه مهياً لها بطبيعة تكوينه، والقرآن يصحح له

(1) الشهيد سيد بن قطب بن إبراهيم (١٣٢٤ . ١٣٨٧ هـ، ١٩٠٦ . ١٩٦٦) مفكر إسلامي مصري من

موليد قرية «موشا» في أسيوط، تخرج بكلية دار العلوم بالقاهرة، وعمل في جريدة الأهرام، وكتب في مجلتي الرسالة والثقافة، أوفد في بعثة لدراسة برامج التعليم في أمريكا، ثم انضم إلى الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم، وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه إلى أن صدر الأمر بإعدامه فأعدم، كتبه كثيرة ومطبوعة منها، النقد الأدبي، والعدالة الاجتماعية في الإسلام، والتصوير الفني في القرآن، وفي ظلال القرآن، وغيرها. انظر: الأعلام، للزركلي ١٤٨/٣، بتصرف.

فطرته كي لا تتحرف ولا تفسد ويصحح له النظام الذي يعيش فيه كي يسمح له باستخدام طاقاته الموهوبة له، ويزوده بالتصور العام لطبيعة الكون وارتباطه بخالقه وتناسق تكوينه، وطبيعة العلاقة القائمة بين أجزائه، وهو أي «الإنسان» أحد أجزائه، ثم يدع له أن يعمل في إدراك الجزئيات والانتفاع بها في خلافته، ولا يعطيه تفصيلات لأن معرفة هذه التفصيلات جزء من عمله الذاتي ... وإني لأعجب لسذاجة المتحمسين لهذا القرآن الذين يحاولون أن يضيفوا إليه ما ليس منه، وأن يحملوا عليه ما لم يقصد إليه، وأن يستخرجوا منه جزئيات في علوم الطب والكيمياء والفلك وما إليها، كأنما ليعظموه بهذا ويكبروه، إن القرآن كتاب +كامل في موضوعه، وموضوعه أضخم من تلك العلوم كلها، لأنه هو الإنسان ذاته الذي يكشف هذه المعلومات وينتفع بها، والبحث والتجريب والتطبيق من خواص العقل في الإنسان، والقرآن يعالج بناء هذا الإنسان نفسه بناء شخصيته وضميره وعقله وتفكيره، كما يعالج بناء المجتمع الإنساني الذي يسمح لهذا الإنسان بأن يحسن استخدام هذه الطاقات المذخورة فيه، وبعد أن يوجد الإنسان السليم التصور والتفكير والشعور ويوجد المجتمع الذي يسمح له بالنشاط، يتركه القرآن يبحث ويجرب ويخطئ ويصيب في مجال العلم والبحث والتجريب، وقد ضمن له موازين التصور والتدبر والتفكير الصحيح كذلك لا يجوز أن نعلق الحقائق النهائية التي يذكرها القرآن أحيانا عن الكون في طريقه لإنشاء التصور الصحيح لطبيعة الوجود وارتباطه بخالقه وطبيعة التناسق بين أجزائه، لا يجوز أن نعلق هذه الحقائق النهائية التي يذكرها القرآن بفروض العقل البشري ونظرياته ولا حتى بما يسميه حقائق علمية مما ينتهي إليه بطريق التجربة القاطعة في نظره، إن الحقائق القرآنية حقائق نهائية قاطعة مطلقا، أما ما يصل إليه البحث الإنساني أيا كانت الأدوات المتاحة له فهي حقائق غير نهائية ولا قاطعة، وهي مقيدة بحدود تجاربه، وظروف هذه التجارب وأدواتها، فمن الخطأ المنهجي بحكم المنهج العلمي الإنساني ذاته، أن نعلق الحقائق النهائية القرآنية بحقائق غير نهائية، وهي كل ما يصل إليه العلم البشري هذا بالقياس إلى الحقائق العلمية والأمر أوضح بالقياس إلى النظريات والفروض التي تسمى علمية، ومن هذه النظريات والفروض كل النظريات الفلكية، وكل النظريات الخاصة بنشأة الإنسان وأطواره، وكل النظريات الخاصة بنفس الإنسان وسلوكه، وكل النظريات الخاصة بنشأة المجتمعات وأطوارها، فهذه كلها ليست حقائق علمية حتى بالقياس الإنساني، وإنما هي نظريات وفروض كل قيمتها أنها تصلح لتفسير أكبر قدر من الظواهر الكونية أو الحيوية أو النفسية أو الاجتماعية إلى أن يظهر فرض آخر يفسر قدرا أكبر من الظواهر أو يفسر تلك الظواهر تفسيراً أدق، ومن ثم فهي قابلة دائما

للتغيير والتعديل والنقص والإضافة؛ بل قابلة لأن تتقلب رأساً على عقب بظهور أداة كشف جديدة أو بتفسير جديد لمجموعة الملاحظات القديمة وكل محاولة لتعليق الإشارات القرآنية العامة بما يصل إليه العلم من نظريات متجددة متغيرة أو حتى بحقائق علمية، ليست مطلقة كما أسلفنا تحتوي أولاً على خطأ منهجي أساسي كما أنها تنطوي على معانٍ ثلاثة كلها لا يليق بجلال القرآن الكريم.

الأولى هي: الهزيمة الداخلية التي تخيل لبعض الناس أن العلم هو المهيمن والقرآن تابع، ومن هنا يحاولون تثبيت القرآن بالعلم أو الاستدلال له من العلم على حين أن القرآن كتاب كامل في موضوعه ونهائي في حقائقه والعلم ما يزال في موضوعه ينقض اليوم ما أثبتته بالأمس، وكل ما يصل إليه غير نهائي، ولا مطلق، لأنه مقيد بوسط الإنسان وعقله وأدواته، وكلها ليس من طبيعتها أن تعطي حقيقة واحدة نهائية مطلقة.

والثانية: سوء فهم طبيعة القرآن ووظيفته، وهي أنه حقيقة نهائية مطلقة، تعالج بناء الإنسان بناءً يتفق بقدر ما تسمح طبيعة الإنسان النسبية مع طبيعة هذا الوجود وناموسه الإلهي، حتى لا يصطدم الإنسان بالكون من حوله، بل يصادقه ويعرف بعض أسرارهِ ويستخدم بعض نواميسه في خلافته، نواميسه التي تكشف له بالنظر والبحث والتجريب والتطبيق وفق ما يهديه إليه عقله الموهوب له ليعمل لا ليتسلم المعلومات المادية جاهزة.

والثالثة هي: التأويل المستمر مع التمحل والتكلف لنصوص القرآن كي نحملها ونلهث بها وراء الفروض والنظريات التي لا تثبت ولا تستقر وكل يوم يجد فيها جديد، وكل أولئك لا يتفق وجمال القرآن كما أنه يحتوي على خطأ منهجي كما أسلفنا...<sup>(1)</sup>.

### ٣ . محمد عبد العظيم الزرقاني<sup>(2)</sup>:

عقد الشيخ الزرقاني في كتابه القيم «مناهل العرفان في علوم القرآن» باباً بعنوان: موقف القرآن من العلوم الكونية، وفيه يعلن معارضته للتفسير العلمي للقرآن الكريم، يقول: (موقف القرآن

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب، القاهرة، دار الشروق، ط25، ١٤١٧ هـ/١٩٩٦، ١/١٨٠. ١٨٢.

(2) ..... ١٣٦٧ هـ ..... ١٩٤٨ هـ، محمد عبد العظيم الزرقاني، من علماء الأزهر بمصر، تخرج بكلية أصول

الدين، وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث، وتوفي بالقاهرة، من أشهر كتبه، مناهل العرفان في علوم القرآن.

انظر: الأعلام، للزركلي، ٢١٠/٦، بتصرف.

من العلوم الكونية ... ومعنى هذا أن القرآن روعيت فيه بالنسبة إلى العلوم الكونية اعتبارات خمسة لا يصدر مثلها عن مخلوق، فضلا عن رجل أُمي نشأ في الأميين وهو محمد ﷺ.

أولها: أنه لم يجعل تلك العلوم الكونية من موضوعه، وذلك لأنها خاضعة لقانون النشوء والارتقاء وفي تفاصيلها من الدقة والخفاء ما يعلو على أفهام العامة، ثم إن أمرها بعد ذلك هين بإزاء ما يقصده القرآن من إنقاذ الإنسانية العائرة وهداية الثقلين إلى سعادة الدنيا والآخرة، فالقرآن كما أسلفنا في المبحث الأول كتاب هداية وإعجاز، وعلى هذا فلا يليق أن نتجاوز به حدود الهداية والإعجاز حتى إذا ذكر فيه شيء من الكونيات فإنما ذلك للهداية ودلالة الخلق على الخالق، ولا يقصد القرآن مطلقا من ذكر هذه الكونيات أن يشرح حقيقة علمية في الهيئة والفلك أو الطبيعة والكيمياء، ولا أن يحل مسألة حسابية أو معادلة جبرية أو نظرية هندسية، ولا أن يزيد في علم الطب بابا ولا في علم التشريح فصلا، ولا أن يتحدث عن علم الحيوان أو النبات أو طبقات الأرض إلى غير ذلك ...

ولكن بعض الباحثين طاب لهم أن يتوسّعوا في علوم القرآن ومعارفه، فنظموا في سلكها ما بدا لهم من علوم الكون، وهم في ذلك مخطئون ومسرفون، وإن كانت نيتهم حسنة وشعورهم نبيلًا، ولكن النية والشعور مهما حسنا لا يسوغان أن يحكي الإنسان غير الواقع، ويحمل كتاب الله على ما ليس من وظيفته ... إن وظيفته في هداية العالم أسمى وظيفة في الوجود، ومهمته في إنقاذ الإنسانية أعلى مهمة في الحياة، وما العلوم الكونية بإزاء الهدايات القرآنية؟ أليس العالم الآن يشقى بهذه العلوم ويخترب وينتحر؟ ثم أليست العلوم الكونية هي التي ترمي الناس في هذه الأيام بالمنايا وتقذفهم بالحمم وتظهر لهم على أشكال مخيفة مزعجة من مدافع رشاشة ودبابات فتاكة وطائرات أرازة وقنابل مهلكة وغازات محرقة ومدمرات في البر والبحر وفي الهواء والماء؟ وما أشبه هذه العلوم للإنسان بعد تجرده من هدى الله ووحى السماء بالأنبياء والمخالب للوحوش الضارية والسباع الواغلة في أديم الغبراء.

ثانيها: أن القرآن دعا إلى هذه العلوم ما دعا إليه من البحث والنظر والانتفاع بما في الكون من نعم وعبر، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ

وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ۚ﴾ [يونس: 101]

وقال جل شأنه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:13].

ثالثها: أن القرآن حين عرض لهذه الكونيات أشعرنا أنها مربية له تعالى ومقهورة لمراده، ونفى عنها ما علق بأذهان كثير من الضالين الذين توهموها آلهة وهي مألوهة وزعموها ذات تأثير وسلطان بينما هي خاضعة لقدرة الله وسلطانه ...

رابعها: أن القرآن حين يعرض لآية كونية في معرضة من معارض الهداية، يتحدث عنها حديث المحيط بعلوم الكون، الخبير بأسرار السموات والأرض الذي لا تخفى عليه خافية في البر والبحر ولا في النجوم والكواكب ولا في السحاب والماء ولا في الإنسان والحيوان والنبات والجماد، وذلك هو الذي بهر بعض المشتغلين بالعلوم الكونية وأوقع من أوقع منهم في الإسراف، واعتبار هذه العلوم من علوم القرآن.

خامسها: أن الأسلوب الذي اختاره القرآن في التعبير عن آيات الله الكونية، أسلوب بارع جمع بين البيان والإجمال في سمت واحد، بحيث يمر النظم القرآني الكريم على سامعيه في كل جيل وقبيل فإذا هو واضح فيما سبق له من دلالة الإنسان وهدايته إلى الله، ثم إذا هو مجمل التفاصيل يختلف الخلق في معرفة تفاريحه ودقائقه باختلاف ما لديهم من مواهب ومسائل وعلوم وفنون (...)<sup>(1)</sup>.

ثم يعقب قائلًا: (ولا أحب أن نتوسع في هذا، فبين أيدينا أمثلة كثيرة ومؤلفات جمة تموج وتضطرب باستنباط علوم الكون من القرآن أو بتفسير القرآن وشرحه بعلوم الكون وأحداثها، فيما أعلم كتاب تحت الطبع الآن ألفه شاب فاضل مثقف وسماه بين القرآن والعلم وضمناه شتيتا من الأبحاث المختلفة في الاجتماع وعلم النفس وعلم الوراثة والزراعة والتغذية وفيما وراء الطبيعة، مما لا يتسع المقام لذكره، ومما لا نرى حاجة إليه خصوصا بعد أن تبين لنا أن العلوم الكونية خاضعة لطبيعة الجزر والمد، وأن أبحاثا كثيرة منها لا تزال قلقة حائرة بين إثبات ونفي، فما قاله علماء الهيئة بالأمس ينقضه علماء الهيئة اليوم، وما قرره علماء الطبيعة في الماضي يقرر غيره علماء

(1) مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني، ٢٠٥٧/٢ . ٢٥٨.

الطبيعة في الحاضر، وما أثبتته المؤرخون قديما ينفيه المؤرخون حديثا، وما أنكره الماديون وأسرفوا في إنكاره باسم العلم أصبحوا يثبتونه ويسرفون في إثباته باسم العلم أيضا، إلى غير ذلك مما زرع ثقتنا بما يسمونه العلم، ومما جعلنا لا نطمئن إلى كل ما قرروه باسم هذا العلم... ثم هل يليق بعد ذلك كله أن نحاكم القرآن إلى هذه العلوم المادية القلقة الحائرة، بينما القرآن هو تلك الحقائق الإلهية العلوية القارة الثابتة المنتزلة من أفق الحق الأعلى الذي يعلم السر وأخفى، ألا إن القرآن لا يفر من وجه العلم، ولكنه يهفو إلى العلم ويدعو إليه ويقوم ببناءه عليه، فأثبتوا العلم أولا ووفروا له الثقة وحققوه ثم اطلبوه في القرآن، فإنكم لا شك يومئذ واجدوه، وليس من الحكمة ولا الإنصاف في شيء أن نحاكم المعارف العليا إلى المعارف الدنيا، ولا أن نحبس القرآن في هذا القفص الضيق الذي انحبست فيه طائفة مخدوعة من البشر، بل الواجب أن نتحرر من أغلال هذه المادة المظلمة، وأن نطير في سماوات القرآن حيث نستشرف المعارف النورانية المطلقة، والحقائق الإلهية المشرقة...<sup>(1)</sup>.

#### ٤ . محمد رشيد رضا<sup>(2)</sup>:

يعتبر محمد رشيد رضا الناطق العام، والمدافع الأول عن أفكار شيخه محمد عبده، لكننا نجده هنا يخالفه ويأخذ بالملامة على الذين يفسرون القرآن بالعلم، ففي مقدمة تفسيره يقول:

(كان من سوء حظ المسلمين أن أكثر ما يكتب في التفسير يشغل قارئه عن هذه المقاصد العالية، والهداية السامية، فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الإعراب وقواعد النحو، ونكت المعاني ومصطلحات البيان، ومنها ما يصرفه عنه بجدل المتكلمين، وتخريجات الأصوليين،

(1) مناهل العرفان في علوم القرآن، عبد العظيم الزرقاني، ٢/٢٥٩.

(2) محمد رشيد رضا (1282 - 1354 هـ = 1865 - 1935 م) محمد رشيد بن علي رضا القلموني،

البغدادي الأصل، الحسيني النسب: صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. من الكتاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير. ولد ونشأ في القلمون (من أعمال طرابلس الشام) وتعلم فيها وفي طرابلس.

وتتسك، ونظم الشعر في صباه، وكتب في بعض الصحف، ثم رحل إلى مصر سنة 1315 هـ فلزم الشيخ محمد عبده وتلمذ له. أنشأ مدرسة (الدعوة والإرشاد) رحل إلى الهند والحجاز وأوربا. وعاد، فاستقر بمصر إلى أن توفي ودفن بالقاهرة. الأعلام للزركلي 126/6 بتصرف.

واستنباطات الفقهاء المقلدين، وتأويلات المتصوفين، وتعصب الفرق والمذاهب بعضها على بعض، وبعضها يلفته عنه بكثرة الروايات، وما مزجت به من خرافات الإسرائيليات، وقد زاد الفخر الرازي، صارفاً آخر عن القرآن هو ما يورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية، وغيرها من العلوم الحادثة في الملة على ما كانت في عهده كالهَيئة الفلكية اليونانية وغيرها، وقلده بعض المعاصرين بإيراد مثل ذلك من علوم هذا العصر وفنونه الكثيرة الواسعة، فهو يذكر فيما يسميه تفسير الآيات فصولاً طويلة بمناسبة كلمة مفردة، كالسما والأرض من علوم الفلك والنبات والحيوان تصدقارئها عما أنزل الله لأجله القرآن<sup>(1)</sup>.

هذا هو رأي المعارضين للإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وسوف يتحدث المبحث القادم بعون الله عن أدلة الفريقين مع ذكر الترجيح.

---

(1) تفسير المنار، رشيد رضا، ٧/١.

## المبحث الرابع

### أدلة الفريقين والترجيح وأوجه الاتفاق والاختلاف

أولاً . من أدلة المؤيدين للتفسير العلمي<sup>(1)</sup>:

استدل المؤيدون للتفسير العلمي بأدلة كثيرة نذكر منها:

١ . الاستدلال بظاهر عموم بعض الآيات:

كبيانه تعالى: ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي أَلْكُتَبِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام:38]

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ أَلْكُتَبِ تَبَيِّنًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل:89]

وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ

فُرُوجٍ ﴾ (٣)

وقوله سبحانه: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت:53].

وغير ذلك من الآيات الداعية إلى التفكير والتدبر في خلق الله عز شأنه.

٢ . الاستدلال بظاهر عموم الأحاديث والآثار:

كحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أنها ستكون فتنة» فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا يزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: إنا سمعنا قرآنا عجايباً يهدي إلى الرشاد فأما به، من قال به صدق،

(1) منقول بتصرف من كتاب: الإعجاز العلمي للقرآن الكريم بين القبول والمعارضة، الأستاذ الدكتور كارم السيد

غنيم، أستاذ علم الحشرات، جامعة الأزهر، أمين عام جمعية الإعجاز العلمي في القرآن والسنة..

ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم خذها إليك يا أعور»<sup>(1)</sup>.

٣- (وقالوا: إن الله سبحانه وتعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السموات والأرض، وتعاقب الليل والنهار، وكيفية الضياء والظلام، وأحوال الشمس والقمر والنجوم، وذكر هذه الأمور في أكثر السور وكررها وأعادها مرة بعد أخرى، فلو لم يكن البحث عنها والتأمل في أحوالهم جائزا لما ملأ الله كتابه منها).

٤- أن العلم الحديث قد يكون ضروريا لفهم بعض المعاني القرآنية، وليس هناك ما يمنع من أن يكون فهم بعض الآيات فهما دقيقا متوقفا على تقدم بعض العلوم، فتكون الحقيقة العلمية من قواعد الترجيح في التفسير إذا كان للآية أكثر من معنى، فيتعين أن يؤخذ بالمعنى الذي تؤيده الحقائق العلمية.

٥- تحقق فوائد كثيرة ومنافع كبيرة من التفسير العلمي منها:

أ- إدراك وجوه جديدة للإعجاز في القرآن الكريم بإثبات التوافق بين حقائق القرآن الكريم وحقائق العلم.

ب- استمالة غير المسلمين إلى الإسلام وإقناعهم به ببيان إعجاز القرآن العلمي، وإقامة الحجة عليهم بذلك.

ج- امتلاء النفوس إيمانا بعظمة الله عز وجل وعظيم سلطانه وقدرته، بعد الوقوف على أسرار الكون التي كشفها القرآن<sup>(2)</sup>.

(1) رواه الترمذي، ١٧٢/٥، رقم: (٢٩٠٦)، وقال: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، ورواه الدارمي، ٥٢٦/٢، رقم: (٣٣٣١).

(2) انظر: دراسات في علوم القرآن الكريم، فهد بن عبد الرحمن الرومي، ص ٢٩١ . ٢٩٢، وانظر: التفسير العلمي للقرآن، أحمد عمر أبو حجر، ص ١٠٣.

## ثانيا . من أدلة المعارضين للتفسير العلمي:

واستدل المعارضون للتفسير العلمي بأدلة منها:

١- أن للتفسير شروطا وقيودا قررها العلماء ينبغي الالتزام بها، فلا يكون تفسير القرآن مباحا لكل من حصل علما من العلوم وغابت عنه علوم أخرى لا بد منها للمفسر، ومن ذلك عدم تحميل ألفاظ القرآن معان وإطلاقات لم توضع لها ولم تستعمل فيها.

٢- أن القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد وليس بكتاب تفصيل لمسائل العلوم ونظرياته ودقائق الاكتشافات والمعارف، ومن طلب ذلك من القرآن فقد أساء فهم طبيعة هذا القرآن ووظيفته.

٣- أن التفسير العلمي مدعاة إلى الزلل لدى أكثر الذين خاضوا فيه من المعارضين، لأن عملية التوفيق تفترض غالبا محاولة للجمع بين موقفين يتوهم أنهما متعاديان ولا عدا، أو يظن أنهما متلاقيان ولا لقاء.

٤- أن تناول القرآن بهذا المنهج يضطر المفسر إلى مجاوزة الحدود التي تحتملها ألفاظ النص القرآني لأنه يحس بالضرورة متابعة العلم في مجالاته المختلفة، فيتعجل تلمس المطابقة بين القرآن والعلم تعجلا غير مشروع.

٥- أن ما يكشف من علوم إنما هو نظريات وفروض قابلة دائما للتغير والتبديل والتعديل والنقض والإضافة، بل قابلة لأن تتقلب رأسا على عقب ومن ثم فلا يصح أن تعلق الحقائق القرآنية النهائية بمثل تلك النظريات حتى نقف مرجعين عند ثبوت بطلان تلك النظرية<sup>(1)</sup>.

هذه هي أدلة المؤيدين والمعارضين، ومن خلال ما ثار بين الفريقين من مدّ وجزر، وأخذ ورد، ونفي وإثبات، يتضح لنا أن الجميع يريد أن يثبت أن القرآن الكريم هو كلام الله المنزّه عن النقص والتناقض، وأنه منزل من عند الله سبحانه وتعالى ...

(1) دراسات في علوم القرآن الكريم، فهد الرومي، ص: ٢٩٣.

### ثالثاً: الترجيح:

بعد التأمل في وجهة نظر الفريقين والوقوف على أدلتهم، نخلص إلى أهم النتائج:

- دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم لا تقتصر على الجانب البلاغي والبياني منه فهو تحدّي العرب وهم أصحاب الفصاحة وفرسان البلاغة، وطالبهم بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا وفشلوا ... والقرآن خاطب الإنسانية جمعاء، ولذلك كان لزاماً أن نبرز جوانب الإعجاز في القرآن لكل البشر، ولكي يتحقق ذلك فإننا نرى أن الله قد وضع في القرآن آيات علمية كونية يتضح الإعجاز فيها في كل عصر من العصور ...

- هذا العمل لا يهدف إلى إبراز الحقائق العلمية الكونية، ومن ثمّ للتدليل بها على إثبات مصداقية القرآن الكريم، فكتاب الله لا يدلل بشيء في الوجود على صحته، إنما سيكون عملنا شرحاً وتفصيلاً لآيات القرآن الكريم، فكما أن المفسرين القدامى فسروا القرآن على ضوء اللغة، أو ما أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام والتابعين، فكذلك نحن نفسر الآيات العلمية بما يتناسب معها وينسجم مع منطوقها أعني الكشوفات العلمية، وهذا المنهج لا يلوي أعناق الآيات ويخضعها لحقائق العلم، ولا يحتمل النص القرآني ما لا يحتمل، وبالمقابل فإنه لا يحاول إقحام المعارف الكونية إقحاماً قسرياً لشرح آية من كتاب الله، معاذ الله، لا هذا ولا ذاك، إنما يعتمد هذا المنهج على وضوح الحقيقة العلمية وثباتها وعند ما نقول: «ثباتها» أي إنها غير قابلة للتغيير أو التبديل، آنذاك نعرض من القرآن ما قد قرره في هذا الصدد وأثبتته فتظهر المعجزة، من ذلك: حادثة الكون وخلقه، إنها حقيقة علمية غير قابلة للتبديل، فلم يعد هناك بعد الكشوفات العلمية أحد يقول بأزلية الكون، إن حادثة الكون أصبحت حقيقة واضحة قطعية، آنذاك وقبل ذلك ندلل على هذه الحقيقة بآيات القرآن الكريم التي يتحدث فيها الخالق على خلق الكون من العدم وإيجاده، ومن ذلك دوران الأرض، وانشقاق القمر، وارتباط وجود الماء بالجبال الشامخات ... الخ، فكل هذه وغيرها كثير، حقائق ارتقت إلى مستوى القطعية والثبات.

- إن القرآن الكريم كتاب هداية ونور، وليس كتاب علوم كونية، فالله سبحانه وتعالى جعل الهداية التامة والحق المبين بين دفتي القرآن الكريم الذي أنزله ليخرج الناس به من الظلمات إلى النور،

، قال تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم:1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:9].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:89].

فإنه سبحانه وتعالى جعل القرآن الكريم نورا للقلوب وحياة للنفوس وضبطا للسلوك ودستورا للمجتمعات، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:24].

ومنهج الهداية الربانية في القرآن الكريم تبرز عند ما تتناول آياته المباركة نفس الإنسان بالتربية والتهديب والتقويم والإصلاح، وهذه الآيات التي تتحدث عن الوعد والوعيد والجنة والنار والدنيا والآخرة، وتلك التي تتحدث عن أخبار الأمم الغابرة، التي سادت ثم بادت بعد حين من الزمن، وأخرى تتحدث عن قصة وجود الإنسان فوق رحب هذه الأرض وكيف أنه لا محالة صائر إلى الزوال والفناء، وتلك التي تنظم حياة الفرد وتقوم سلوكه وتضبط معاملاته بضوابط الشرع وأحكامه البيّنات ... ومنها ما فيه حديث عن ارتباط الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم والأسس التي ينبغي أن تسير وفقها الأمة الإسلامية في معاملاتها مع غيرها ... وهكذا فإننا نجد أن القرآن الكريم حافل بموضوعات شتى ومتعددة كلها تصب في النهاية في بوتقة واحدة ألا وهي هداية الإنسان إلى الحق المبين.

لكن مع هذه الهداية في العقيدة والتشريع والخلق والسلوك، نجد أن في القرآن الكريم صنفا آخر من أصناف الهداية، ألا وهو وجود آيات كونية وحقائق علمية وضعها الحق عز وجل في صفحات كتابه المجيد لتكون مؤشرا على عظمة الخالق ولتكون دليلا على أن هذا القرآن هو وحي السماء إلى الأرض وبذلك يزداد المؤمن إيمانا، ويتنبه غير المسلم إلى حقائقه العلمية التي سبقت ركاب العلم وأساطين المعرفة، فيخضع لسلطانها وينقاد لصدقها فيعلن ولائه لله سبحانه وتعالى، فالقرآن إذا ليس كتاب فلك ولا كتاب طب أو جيولوجيا ... لا، إنما هو كتاب هداية ونور، وما الحقائق العلمية

في القرآن والإشارات الكونية، إلا سبيلا من سبل الهداية، ومدخلا واسعا لرحاب الحق ورياض الإيمان.

ومن أهم ما ينبغي أن يسترعي انتباهنا ونحن ندعو إلى الله في هذا الميدان، أن التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن الكريم، إنما يخضع لتلك الضوابط والقيود التي نصّ عليها المفسرون وستذكر فيما بعد.

والعجب في هذا الصدد لمن يحاول إنكار قضية الإعجاز في القرآن أو السنة ويريد أن يحصر الإسلام في قضايا التشريع والمعاملات والخلق ...

وخلال التوصيف نقول لمثل هؤلاء الأحابب المخلصين: ثمة آيات كثيرة في كتاب الله بجانب الصواب إن لم نفسرها على أساس العلم، فعلى سبيل المثال، كيف لنا أن نفسر قول الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلْفِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ [النور: 43].

لما ذا نرفض أن تفسر هذه الآية طبق الواقع المناخي الذي يحدثنا بل وقد صورته لنا علماء المناخ وأرونا الجبال السائرة في كبد السماء «جبال البرد» وصوّروا لنا السحب الركامية وطبقاتها.

وكيف لنا أن نفسر قول الله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: 40].

لقد أثبت العلم صور الأمواج السطحية والأمواج الداخلية واقتران هذه الأمواج بالبحار التي تلبّدت سماؤها بالغيوم الكثيفة ... لما ذا لا نفسر هذه الآية بالمعطيات العلمية التي ارتقت إلى مستوى القطعية والمشاهدة والرؤيا؟! وهكذا في سائر الآيات الكونية التي اتضحت حقائقها العلمية.

ويلفت النظر إلى أن الذين عارضوا تفسير القرآن على أساس العلم، لو سألنا أحدهم أو لو رجعنا إلى تفاسيرهم ونظرنا فيها كيف يفسرون الآيات التي تتحدث عن مظاهر الكون والحياة والإنسان؟ لمعرفة ذلك نفتح تفسير «في ظلال القرآن» لشهيد الإسلام سيد قطب رحمه الله، فمما

هو معلوم أن سيد قطب من المعارضين لقضية الإعجاز، فلقد سلك منهجا في التفسير حاول فيه التحفظ والابتعاد عن الإعجاز العلمي في القرآن، لكننا نجد عند ما يفسر قول الله تعالى: ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون:14].

نجده يقول ما نصه: (وهنا يقف الإنسان مدهوشا أمام ما كشف عنه القرآن من حقيقة في تكوين الجنين لم تعرف على وجه الدقة إلا أخيرا بعد تقدم علم الأجنة التشريحي، ذلك أن خلايا العظام غير خلايا اللحم، وقد ثبت أن خلايا العظام هي التي تتكون أولا في الجنين، وهي الحقيقة التي يسجلها النص القرآني ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون:14] فسبحان العليم الخبير)<sup>(1)</sup>.

وكم وبخ محمد رشيد رضا رحمه الله الذين يؤيدون الإعجاز العلمي، ولو رجعنا إلى تفسيره فلسوف نجد مولعا بتفسير الآيات تفسيراً علمياً!.

ففي بيان الحق سبحانه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:54].

يقول:

- ١ . إن المادة التي خلقت منها السموات والأرض كانت دخانا، أي مثل الدخان.
- ٢ . إن هذه المادة الدخانية كانت واحدة فتق الله رتقها، أي فصل بعضها من بعض، فخلق منها هذه الأرض والسموات السبع العلى.
- ٣ . إن خلق الأرض كان في يومين، وتكون اليابسة والجبال الرواسي فيهما، ومصادر القوت، وهي أنواع النبات والحيوان في يومين آخرين تنمة أربعة أيام.
- ٤ . إن جميع الأحياء النباتية والحيوانية خلقت من الماء.

فيعلم من هذا أن اليوم الأول من أيام خلق الأرض هو الزمن الذي كانت فيه كالدخان حين فتقت من رتق المادة العامة التي خلق منها كل شيء مباشرة، أو غير مباشرة، وإن اليوم الثاني هو

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢٤٥٩/٤.

الزمن الذي كانت فيه مائية بعد أن كانت بخارية أو دخانية، وإن اليوم الثالث هو الزمن الذي تكونت فيه اليابسة، ونتاجت منها الرواسي فتماسكت بها، وإن اليوم الرابع هو الزمن الذي ظهرت فيه أجناس الأحياء من الماء وهي النبات والحيوان، فهذه أزمنة الأطوار من الخلق قد تكون متداخلة وأما السماء العامة، وهي العالم العلوي بالنسبة إلى أهل الأرض فقد سوى أجرامها من مادتها الدخانية في يومين أي: زمنين كالزمنين اللذين خلق منهما جرم الأرض.

ثم يقول: هذا التفصيل الذي يؤخذ من مجموع الآيات يتفق مع المختار عند علماء الكون في هذا العصر، من أن المادة التي خلقت منها هذه الأجرام السماوية، وهذه الأرض كانت كالدخان ويسمونها «السديم»<sup>(1)</sup> وكانت مادة واحدة رتقا، ثم انفصل بعضها عن بعض، ويصورون ذلك تصويرا مستتبطا مما عرفوا من سنن الخلق، إذا صح كان بيانا لما أجمل في الآيات، وإذا لم يصح كله أو بعضه لم يكن ناقصا لشيء منها، فهم يقولون: إن تلك المادة السديمية كانت مؤلفة من أجزاء دقيقة متحركة، وأنها قد تجمع بعضها، وانجذب إلى بعض، بمقتضى سنة الجاذبية العامة، فكان منها كرة عظيمة تدور على محور نفسها، وأن شدة الحركة أحدثت فيها اشتعالا فكانت ضياء، أي نورا ذا حرارة، وهذه الكرة الأولى من عالمنا هي التي نسميها الشمس، ويقولون أيضا: إن الكواكب الدراري التابعة لهذه الشمس فيما نشاهد من نظام عالمنا هذا قد انفقت من رتقها، وانفصلت من جرمها وصارت تدور على محاورها مثلها، ومنها أرضنا هذه فقد كانت مشتعلة مثلها ... وبعد استطراد في ذكر المسائل العلمية يختم كلامه قائلا: كل ذلك تفصيل لخلق العوالم أطوارا بسنن ثابتة وتقدير منظم لم يكن منه شيء جزافا، وقد أرشد الكتاب الحكيم إلى هذه الحقائق العامة الثابتة في نفسها وإن لم يثبت كل ما قالوه من فروعها ومسائلها<sup>(2)</sup>.

إذا، يتحتم على الإنسان عند تفسيره لآية كونية أن يفسرها حسب ما يقتضيه حالها، والجو القرآني الذي سيقف فيه، وإلا فسيكون تفسيرها بعيدا عن هدفها ومقصدها ...

(1) السدم، **nebulak**، وهي عبارة عن لطح مضيئة منتشرة في عدة أماكن من رقعة السماء على شكل سحب، غازية التكوين. انظر: الموسوعة الفلكية، زينب منصور، عمان، الأهلية للنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠١، ص ٢١، وانظر: المحيط الكوني وأسراره، نجيب زبيب، بيروت، دار الأمير، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ/١٩٩٤، ص ٤١١.

(2) تفسير المنار، رشيد رضا، ٤٤٦/٨. ٤٤٧.

إن هذه اللغة، لغة العلم هي الرابط المشترك بين الناس جميعاً، فلا يستطيع أحد أن ينكرها، ومن أجل تحقيق أهداف الدعوة ونجاحها كان لا بد أن نسلك منهج العلم في زمن العلم، ونخاطب الناس باللغة التي يفهمون واللهجة التي يعرفون<sup>(1)</sup> ..

#### رابعاً: أوجه الاتفاق والاختلاف بين المؤيدين والرافضين:

يتفق المؤيدون للإعجاز العلمي على أن القرآن الكريم كتاب هداية وليس بكتاب لتدريس العلوم الكونية، وما جاء به من إشارات علمية إنما هو من باب الاستيعاب للحقائق الكونية. وأن القرآن استخدم الحقائق الكونية في الدعوة إلى الإيمان والفضيلة وهذه الحقائق الكونية تقف شاهداً على صدق القرآن الكريم، ليظل حجة على الناس كلما انتشرت العلوم الطبيعية ويصبح ذلك من عناصر خلوه.

#### أبرز نقاط الخلاف والرد عليها:

**الاعتراض الأول:** ويتمثل في قولهم: القرآن كتاب هداية وتشريع وليس كتاباً للعلوم والمعارف الكونية.

كل المشتغلين بدراسة الإعجاز العلمي يؤمنون بأن القرآن الكريم كتاب عقيدة وتربية وتشريع، وهو بعيد كل البعد عن تناول العلوم بمنهجية التدريس، ويرون أن الآيات القرآنية في المسائل الكونية إنما جاءت لتلفت النظر إلى ملكوت السموات والأرض وتدعم الإيمان بالله المبدع الخالق القادر، وحيث أنها نزلت بالحق من لدن عليم خبير فلا بد أن تكون حاملة لحقائق، فهي ليست مجرد عبارات إنشائية وصفية تناولت ظاهر الأمور.

**الاعتراض الثاني:** ويتمثل في قولهم: الاهتمام بالإعجاز العلمي يصرف اهتمام الناس بعلوم القرآن التقليدية، والتفسير العلمي يتعارض مع منهج التفسير

الإعجاز العلمي لا يخرج عن كونه وجه من وجوه الإعجاز القرآني، ودراسته تعتبر إضافة إلى علوم القرآن، والمشتغلون به فريق من العلماء يتعاونون مع سائر المشتغلين بدراسة علوم القرآن،

(1) الإعجاز القرآني في ضوء الإكتشافات العلمي الحديث مروان وحيد شعبان، الموضوع: القرآن وعلومه،

وكل في مجاله يعمل دون أن يتناول فريق على فريق، أو يتعالى حتى لا تتكرر ظاهرة التركيز المعرفي التي اختصت بها وحدة اللغة والبيان مما ترتب عليه حجب سائر وجوه الإعجاز، ومنها الإعجاز العلمي.

أما التفسير العلمي فلا تعارض بينه وبين التفسير التقليدي، بل هو إضافة إليه مما يزيد الاتساع في فهم القرآن، خاصة في الآيات الكونية التي كانت تدخل في دوامة التأويل والمجاز وأحداث الآخرة.... الخ.

**الاعتراض الثالث:** ويتمثل في الاتهام بعدم التقيد بالمفهوم اللغوي الصحيح للنص القرآني، وإبعاد الكلمات القرآنية عن معانيها فيما يعرف "بلي أعناق الآيات" وهي عبارة يرددها المعارضون، بل ويكثرون من ترديدها.

والرد عليه: أنه من المعلوم أن هناك قواعد وضوابط ومنهج يجب أن يلتزم به المشتغلون بدراسة الإعجاز العلمي وبالتفسير العلمي للقرآن الكريم، ومن أهمها: احترام كافة الأمور اللغوية. ومن الضروري أيضاً أن يتعاون علماء الكونيات وعلماء الدين وعلماء اللغة معاً في تلك الدراسات القرآنية وفق منهج الدراسة المنطق عليه. وإذا كان هناك من يخرج عن تلك القواعد والضوابط فليس ذلك حجة على الملتمزين بمنهجية الدراسات القرآنية.

**الاعتراض الرابع:** ويتمثل في الخوف من الربط بين تفسير القرآن وبين المعارف الكونية المتغيرة، مما يؤثر على مصداقية القرآن، إذا أحسنا الظن بالمتخوفين المعترضين - ولا نقول عن تخوفهم (حق أريد به باطل) ولا نقول بأن ذلك التخوف ادعاء ماكر مقصود به صرف المسلمين عن جانب هام من جوانب الإعجاز تكشف لهم في عصر التقدم العلمي - سنعتبر التخوف حرصاً منهم على كتاب الله، سوف نرد بموضوعية وعقلانية على قولهم بأن المعارف الكونية - خاصة الفروض والنظريات - قابلة للتغيير، وهناك خطورة على معاني القرآن الكريم وتفسيره من الربط بتلك المتغيرات لأن ذلك سيؤدي إلى تبدل التفسير حسب ما يجد من المعارف العلمية.... ونقول لهم إن المشتغلين بالتفسير العلمي للقرآن الكريم حريصون على الاستعانة بالمعارف المستقرة التي وصلت إلى مرحلة الحقائق والقوانين واليقين أو كانت نظريات راجحة. وعلى فرض التغيير في تلك المعارف العلمية المستخدمة في التفسير، فلا ضير في ذلك حيث أن الأمر لا يعد أن يكون اجتهاداً في التفسير يمكن تصحيحه بتفسير آخر على ضوء المعارف العلمية. وسنجد أن النص

القرآني استوعب تلك الكشوف الجديدة حيث جاءت النصوص بألفاظ جامعة تحيط بكل المعاني الصحيحة في مواقفها التي قد تتابع في ظهورها جيلاً بعد جيل، إما بالإضافة أو الزيادة وإما بالتعديل أو الحذف. واتساع مدلول الدلائل الإعجاز القرآني البياني. علماً بأنه لا يمكن أن يقع ذلك التغيير إلا إذا كان هناك خلل في فهم النص القرآني أو خلل في قطعية العلم.

والمشتغلون بعلوم القرآن يعلمون أن تفسير القرآن الكريم هو جهد بشري واجتهاد فكري، ولهذا نجد المفسرين يختلفون في تفسير بعض النصوص القرآنية بسبب تنوع معاني الكلمات، ومثال ذلك ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطور:6].

فمعنى مسجور: مملوء، كما أن من معانيها الملتهب والاختلاف قد يكون بسبب القواعد النحوية، ومثال ذلك: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة:6]

(فمن المفسرين من يعطف (أرجلكم) على (وجوهكم) (وأيدكم) فيرى غسل الرجلين، ومنهم من يعطف أرجلكم على رؤوسكم فيروا مسح الأرجل...)

وهناك أسباب كثيرة للاختلاف فيما بين وجهات نظر المفسرين، وينعكس هذا بوضوح على التفاسير بحيث تظهر الخلافات فيما بينهم، وبالرغم من هذا لم توجه الانتقادات إلى المفسرين في اختلافاتهم ولم يطالب أحد بالتوقف عن تفسير الآيات القرآنية.

المفسرون عند تفسير آيات القرآن الكريم الكونية يكتفون بذكر النص أو يلجؤون للتأويل والمجاز، أو إلى تفسيرها بمعلومات علمية ضحلة، فإذا جاء المتخصصون في العلوم الكونية وفهموا آيات القرآن على حقيقتها العلمية وفسروها دون تأويل ووضحوا معانيها بما يتناسب مع ثقافات العصر والانسجام الفكري والتحدي العلمي والقبول العقلي وقناعة الإنسان المعاصر الخاضع لسيطرة العلوم الكونية، هل ينظر إلى التفسير العلمي بعين الريبة وتوجه له الاعتراضات وتثار حوله المخاوف؟!.

نطمئن بأنه لا خوف من تغيير المعلومات الكونية المستخدمة في التفسير العلمي، ما دام النص القرآني ثابت ومحفوظ، وأي أخطاء في التفسير يجب أن ترد إلى المفسرين، دون أن يؤثر هذا على مصداقية القرآن الكريم ومرحلية التفسير وتبديله أمر وارد من أعمال البشر، فليس هناك

تفسير مستقر يجمع عليه المسلمون في كل العصور إلا إذا كان قد صدر عن رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذا لم يحدث، فإذا قام اعتراض وأثيرت المخاوف حول التفسير العلمي فليكن كذلك مع كل التفاسير ولتحدف جميعها وهذا أمر غير مقبول ولا معقول !!

**الاعتراض الخامس:** ويتمثل في ادعائهم بأنه ليست هناك فائدة من وراء الإعجاز العلمي أو

التفسير العلمي.

والرد عليها: هذا اعتراض في غاية السطحية حيث إن دراسة الإعجاز العلمي تتعلق بحقيقة يجب التعرف عليها وتقريرها وإظهارها، وهذا أمر مطلوب في كافة فروع المعرفة وعلى وجه الخصوص عندما تتعلق بالقرآن الكريم، ذلك الوحي الإلهي ومعجزة الإسلام... والفوائد من وراء معرفة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم كثيرة، وخاصة في مجال العقيدة والإيمان، وفي مجال الدعوة والإقناع في عصر الثقافات العلمية.

أما عن التفسير العلمي للقرآن الكريم، فهو بلا شك توضيح وبيان لآيات القرآن الكونية، مما يحقق فهمها على حقيقتها، بعيداً عن مناهات التأويل وتسطيحات تفسير الآيات الكونية... وذلك يحقق مزيداً من الفهم السليم للقرآن الكريم، وهو أمر هام ومطلوب.

**الاعتراض السادس:** ويتمثل في قولهم ليس هناك دليل على الإعجاز العلمي للقرآن الكريم.

حيث يحتج بعض المعارضين في معارضتهم بعدم وجود ما يدل على الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، لا عقلاً ولا نقلاً وبأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يذكر شيئاً عن ذلك:

أما الدليل العقلي فهو من الواضح بحيث لا يخفى على أحد ويتمثل في القرآن الكريم بما اشتمل عليه من الآيات القرآنية الكونية التي تحمل الحقائق والإشارات العلمية غير المسبوقة، والتي كانت مجهولة وقت نزول القرآن، وبعد مضي مئات السنين - وفي العصر الحديث على وجه التحديد - أمكن لعلماء الكونيات - مسلمين وغير مسلمين - أن يتعرفوا على بعضها، وأكدوا مطابقة الاكتشافات لها وأعلنوا ذلك في مؤتمرات وندوات عالمية، وسجلوه في أبحاثهم وأصبح هذا الأمر معروفاً ومستقراً، وتحررت عنه عشرات الكتب التي تبحث في الإعجاز العلمي، فهل يحتج المعارضون بعدم وجود دليل عقلي!؟

وهناك دليل عقلي نقلي من منطلق الإيمان بمعجزة القرآن، فإذا كان القرآن معجزاً وإعجازه مطلق فلماذا يقصرونه على الإعجاز البياني، ويحجبون عنه الإعجاز الموضوعي؟ وإذا سلموا بالإعجاز الموضوعي، فلماذا يكون قاصراً على جانب من المعارف دون الأخرى، ولماذا يحجبون عنه الحقائق المتعلقة بالكونيات ويصرفون عنه جانب الإعجاز العلمي؟ وعلل في ذلك التسلسل المنطقي ما يشكل دليلاً عقلياً.

أما الاحتجاج بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يذكر لصحابته شيئاً عن الإعجاز العلمي فمردود عليه بأنه صلى الله عليه وسلم أكد على معجزة القرآن والصحابة آمنوا بذلك وبأن القرآن مطلق الإعجاز، ولم يدخلوا في تفاصيل وجوه الإعجاز إلى أن جاء العلماء فيما بعد فقاموا بدراسات تفصيلية للقرآن الكريم، ومنها وجوه الإعجاز القرآني.

لهذا كان الصحابة يفهمون الآيات الكونية الواردة في القرآن الكريم بالمعنى اللغوي وبالمفهوم العام، وقد تحقق ذلك البيان في زمن الوضوح العلمي والاكتشافات الكونية لتظهر وجه الإعجاز العلمي للقرآن في الزمن المناسب، بعد مرور ما يزيد على ألف عام وصدق الله العظيم القائل في القرآن الكريم: ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص:88]

**الاعتراض السابع:** ويتمثل في قولهم إذا كان الإعجاز العلمي للقرآن الكريم قد تكشف لغير المسلمين من علماء الكونيات، فلماذا لم يؤمن هؤلاء بالإسلام.

نرد على ذلك بأن العلماء غير المسلمين الذين تعرفوا على بعض الإشارات الكونية الواردة في القرآن الكريم ودرسوها على ضوء ما لديهم من المعارف العلمية قرروا بأن هذا الذي جاء به القرآن الكريم لا يمكن أن يكون معارف بشرية - وقت نزول القرآن، وأنه خارج عن القدرات العقلية لمن قال به وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من توقف عند ذلك ولم يربط الإعجاز العلمي بالوحي الإلهي، لأن عقيدة الألوهية عندهم غير واردة، ولم ينتقلوا بهذا اليقين العقلي إلى الاستدلال على الوحي وصدق القرآن والإيمان بالإسلام، لأن هذه التدايعات الفكرية ليست سهلة وبسيطة بل هي متشابكة ومعقدة. والهداية أو الجحود والقبول أو الرفض، في العقيدة والإيمان بالله تخضع لأمر ترتبط بالوجدان الذي ينجذب نحو الغيبيات، والأمر أولاً وأخيراً مرده إلى توفيق الله...

ولنتذكر قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:56].

وقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل:14].

ولا ينفي هذا أن هناك من العلماء من أيقن بأن هذه الإشارات العلمية فوق قدرات البشر وآمن بأن القرآن وحي من عند الله سبحانه وتعالى، وأشهروا إسلامهم، سواء في مؤتمرات الإعجاز العلمي للقرآن والسنة عبر السنوات الماضية، أم في غيرها...

**الاعتراض الثامن:** ويتمثل في قولهم إذا كان في القرآن الكريم كل هذه الإشارات العلمية، فلماذا لم يستفد منها المسلمون على مر العصور؟

نرد على هذا الاعتراض في النقاط الآتية:

1- إذا كان المسلمون الأوائل قد آمنوا بالإعجاز المطلق للقرآن الكريم، فقد انصرفوا إلى الإعجاز اللغوي وانشغلوا بدراسته مما جعلهم لا يهتمون بالإعجاز الموضوعي بعامته، كما اكتفوا بفهم آيات القرآن الكونية فهماً لغوياً يكفيهم فهم المقصود منها كبراهين على قدرة الله سبحانه وتعالى.

2- الإشارات العلمية بآيات القرآن الكونية ليست من الوضوح بحيث يدرك مدلولاتها العلمية غير المتخصصين في العلوم الكونية الذين لم تتوفر لهم المعارف والحقائق والعلوم. ولم يكن من السهل على المسلمين الأوائل أن يتعرفوا عليها كإشارات علمية قابلة للبحث والاستقصاء العلمي.

3- المسار العلمي للتعرف على ما تحمله الإشارات العلمية للقرآن من معارف كونية لا يبدأ من النصوص القرآنية ثم يتجه إلى المعامل للبحث والتجريب، ولكنه يبدأ من الكشوف الكونية على أيدي العلماء - مسلمين وغير مسلمين - ثم يتجه إلى الآيات القرآنية لتطابقها وتوضيحها وتشرحها، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَاهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص:88]

وتمشياً مع سنن الله سبحانه وتعالى في إظهار آياته الكونية التي يشير إليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿سُرِّيهِمْ ءَاتَيْنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَو لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فُصِّلَتْ: 53].

فالبحث العلمي يبدأ من الكون المنظور، ثم يتجه إلى آيات الله المسطورة وهي القرآن الكريم ويشرح معانيها، فيما يعرف بالتفسير العلمي للقرآن الكريم.

4- لا بأس - إن أمكن - من السير في الاتجاه العكسي للمسار العلمي، حيث نبدأ من بعض الإشارات العلمية بالقرآن الكريم. وهذا يحتاج إلى إمكانات بحثية ضخمة ويحتاج إلى قناعة بجدوى ذلك المسار العلمي في الاتجاه المعاكس ويمكننا أن نسمي ذلك "التطبيق التجريبي للإعجاز العلمي" وأسهل منه في مجال الاكتشافات الكونية ذلك المسار الذي يتحرك من الاكتشافات الكونية ويتجه نحو الإشارات العلمية الواردة في القرآن الكريم لتتجلى وتتكشف الحقائق بالآيات القرآنية.

وبهذا نسير أحد المسارين العلميين في خدمة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم الذي يقوم بدوره بدعم الإيمان بمعجزة القرآن ومصداقيته كوحى من الله سبحانه وتعالى نزل على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم.

**الاعتراض التاسع:** وهو أن القول بالإعجاز العلمي ينقصه شرط التحدي وينقصه أن يكون من جنس ما برز فيه الموجه لهم التحدي

أما عن القول الأول، أي مجيء تحديه بالمثلية ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: 23]

فإن الإعجاز العلمي يدخل في المثلية. كما أن المعجزة ليست قائمة على التحدي والمعجزة فحسب، بل إنها تتحقق بمجرد تفردها عن المؤلف بما يؤكد أنها من عند الله سبحانه وتعالى تأييداً لرسوله صلى الله عليه وسلم... والإعجاز العلمي حقق ذلك الغرض، خاصة في القرون التالية لعصر نزول القرآن، حيث أن القرآن جاء معجزة لكل الناس في كل الأزمان، والعرب وقت نزول القرآن كان تحديهم بالبلاغة والبيان، وهذا وجه من وجوه الإعجاز. وفي عصور التقدم في العلوم الكونية ظهر الإعجاز فيما يحمله القرآن من حقائق علمية غير مسبوقة، فالإعجاز العلمي إذ لم يأت ليتحدى من نزل فيهم القرآن فحسب، ولكن جاء لتشهد القرون من بعدهم على أنه وحى من عند الله، وذلك من مقاصد المعجزة.

**الاعتراض العاشر:** يتمثل في قولهم المعارف الكونية الواردة بالقرآن هي من قبيل ذكر الظواهر الكونية التي يعرفها عامة الناس - كتعاقب الليل والنهار وحركة الشمس - وليس في ذلك إعجاز علمي.

المعارف الواردة بالقرآن الكريم عن الظواهر الكونية تختلف تماماً عن تلك التي يعرفها عامة الناس بالفطرة، والتي هي من قبيل المعارف الظاهرية. وعلى سبيل المثال، يعرف الناس ظاهرة الليل والنهار وتعاقبهما، ولكن القرآن عندما يتناول هذه الظاهرة المألوفة للناس جميعاً فإنه يتحدث عنها بدقة علمية مستخدماً كلمات تكمن فيها الإشارات العلمية التي تكون مجهولة حتى للمتخصصين قبل اكتشافها.

قال الله سبحانه وتعالى في شأن تعاقب الليل والنهار: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۗ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۗ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝﴾ [الرَّم: 5].

وقال تعالى: ﴿وَأَيُّ لَيْلٍ لَّهُمْ نَسَلُحُ مِنْهُ النَّهَارُ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ۝﴾ [يس: 37].

وقال تعالى: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۝﴾ [آل عمران: 27].

فالتكوير تعبير عن التفاف الليل على النهار والتفاف النهار على الليل في تعاقبهما. وفي ذلك إشارة علمية إلى كروية الأرض، وهذا ما فهمه العلماء من هذه الآية... و(نسلخ) وصف لتعاقب الليل والنهار بانتزاع النهار من الليل، وقد شاهد هذا المنظر في الواقع، رواد الفضاء عندما نظروا إلى الأرض وإلى الليل والنهار.

ومثال آخر للمألوف من الظواهر الكونية وهو عن حركة الشمس الظاهرية، فالناس يدركون هذه الظاهرة منذ أن وجدوا، ولكن القرآن الكريم يصف حركة حقيقة للشمس في قول الله

تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝﴾ [يس: 38]

فالفعل (تجري) لا يدل على الحركة الظاهرية التي يراها الناس، وهي شروق الشمس وغروبها، بل هو يدل حركة حقيقة عظيمة المعدل تستق تعبير (الجرى)، وهذا ما توصل إليه العلماء في عصرنا الحاضر.

ونلفت نظر المعارضين إلى ذلك التفاوت بين معارف العامة للظواهر الكونية وبين حديث القرآن عنها، حتى يدركوا مفهوم الإعجاز العلمي والإشارات الكونية بالقرآن الكريم. وما ذكرناه من

أمتلئة إنما هو عن الظواهر الكونية المألوفة للعامة، ولكن هناك الكثير والكثير بالقرآن الكريم عن المعارف الكونية التي يجهلها المتخصصون وجاءت كإشارات علمية بآيات القرآن الكريم، فليعلم المعارضون ذلك جيداً...!!<sup>(1)</sup>. تلك عشرة كاملة من الاعتراضات والردود عليها بالحجج والبراهين وهو ما نميل إليه مع كل التقدير لكلا الفريقين.

---

(1) الإعجاز العلمي للقرآن الكريم بين القبول والمعارضة، الأستاذ الدكتور كارم السيد غنيم، أستاذ علم الحشرات، جامعة الأزهر، أمين عام جمعية الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

### الفصل الثالث

## الإعجاز العلمي وعلاقته بالعلم التجريبي

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: نشأة العلم التجريبي.

المبحث الثاني: الفرق بين الحقيقة العلمية والنظرية.

## المبحث الأول

### نشأة العلم التجريبي

إن تتبع مناهج البحث العلمي من القديم إلى الحديث يجعلنا نقول: إن أول من وضع البحث العلمي وطرق الاستدلال فيه والاستنباط هو أرسطو، وقد سمي منهجه باسم المنطق، إلا أن الطابع التأملي كان غالباً على تفكيره، وقد تحدث فيه عن الكليات الخمس المعروفة: الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض، ومنها تتألف الحدود والتعاريف، وقد لعبت دوراً كبيراً في جميع العلوم عند العرب، وإن أصبح العصر الحديث لا يعنى بها، لأنها كثيراً ما تكون مضللة، وخير منها التقسيم الذي يقوم على تحليل ما يراد تعريفه إلى عناصره وجزئياته وأفراده وأصنافه، وأهم من الكليات في منطق أرسطو اهتداؤه في الاستدلال إلى أنه يتألف من قضايا، فهي الوحدات التي يتخلل إليها، وينبغي أن ندرس أشكال وضروب تركيبها، من موجبة كلية وموجبة جزئية، وسالبة كلية وسالبة جزئية، ومن هذه القضايا تتكون مقدمة القياس، بحيث إذا كانت صادقة كان صادقاً، وإذا كانت فاسدة فسد بفسادها، فإذا قلنا: فلان إنسان وكل إنسان ناطق، تولد من القضية أو ترتب عليهما أن فلانا ناطقاً.

اهتم العرب بمنطق أرسطو، أخذوا يترجمونه أولاً ثم مضوا يشرحونه ويلخصونه في مصنوعات كثيرة، واستلهموا هذا المنطق في وضع علومهم، واهتدى علماءهم إلى أن القياس الأرسطي قياس رياضي، فهو يبدأ من العام الكلي ويطلبه في المفردات الجزئية. وقد تطرد صحته تلك في الرياضيات، أما في العلوم الطبيعية والإنسانية فلا بد من الانتقال العكسي، أي من الأفراد والمفردات إلى الكلي العام، حتى يكون القياس سديداً، وكان لذلك أثره البعيد في العلوم العربية، إذ عد الاستقراء والملاحظة أصليين أساسيين فيها، وضمت إليها العلوم الطبيعية والتجريبية، وبذلك أمكن للعلوم العربية أن تنهض نهضتها العظيمة في كل مجال، وهي نهضة أعدت لازدهار علوم الطب والصيدلة بفضل التجارب الكثيرة التي كان يجريها الصيادلة والأطباء، وقل ذلك نفسه في الكيمياء والفلك، ومراصده الضخمة، وحتى في البحوث الأدبية كان أهم بحث أدبي عند العرب يتضح فيه تأثير المنطق الأرسطي والتأثر بمنهجه في كتاب "البرهان في وجوه البيان" لابن وهب الذي نشر خطأ باسم "نقد النثر" ونسب إلى قدامة.

وعلى هذا النحو كان العرب يستضيئون بمنطق أرسطو حتى في بحوثهم الأدبية، مع محاولات خصبة للعناية بالجزئيات والمفردات واكتمال الاستقراء وصحة الاستنباط، واتسعا في الملاحظات سعة شديدة، وهي تقابل في البحوث الأدبية والتجارب في البحوث العلمية عندهم، وظلوا مع ذلك يحتكمون إلى المنطق الأرسطي، مكثرين من القواعد والضوابط والأقيسة، وهم في كل ذلك يختلفون عن علماء العصور الوسطى الغربيين، ولا ريب في أنهم أخذوا يتعرفون بوضوح على العلم العربي في نهاية تلك العصور، فعرضوا بدقة ما تنادى به علماء العرب ومفكروهم من العناية بالاستقراء الكامل والملاحظة والتجربة، وعلى قيس أو أقباس من هذه المعرفة أخذ روجر بيكون "الفيلسوف الإنكليزي" "611-694هـ/ 1214-1294م" وليونارد دي فينشي "856-921هـ/ 1452-1515م" وغيرهما، ممن طالبوا باستخدام الملاحظة والتجريب وأدوات القياس للوصول إلى الحقائق، وعارضوا منهج أرسطو في القياس المنطقي. ولا بد من الإشارة إلى أنه بالرغم من مطالبة هؤلاء المفكرين تبني الطريقة العلمية، إلا أنهم لم يستخدموا فعلا هذه الطريقة إلا في حدود ضيقة، كما ينبغي أيضا أن نشير إلى أنه رغم التحرر التدريجي من سلطان الكنيسة ورجال الدين، إلا أن هذه السلطة كانت ما تزال لها فعاليتها، ومثال على ذلك موقف السلطات الدينية من العالم كوبرنيكوس "Copernicus" عام "878-950هـ/ 1473-1543م" لقوله بدوران الأرض حول الشمس، كما أحرقت الكنيسة في روما عام "1600م" عالما إيطاليا "جيودا نوبرونو" لإصراره على أن الأرض تدور حول الشمس.

أتى فرنسيس بيكون لبعث الحياة في فكرة روجر بيكون، وقال بالاستقراء الكامل وبالتجارب وجمع الأمثلة الكلية التي تنقض القانون العام، والتجارب وحدها لا تكفي، فلا بد من الاستنباط والنشاط العقلي، وكان المنهج الصحيح عنده هو الذي يجمع بين التجربة والطريقة القياسية، أو بعبارة أدق هو الذي جمع بين الاستقراء الدائم على التجارب وبين القياس العقلي المحكم، أو قل هو الاستقراء المصوب في قالب عقلي وطيد، وبذلك كله يعتبرون فرنسيس بيكون مؤسس المنطق الحديث، وفتحة عصر جديد في البحث العلمي، ومؤلفه الأداة الجديدة للعلوم "Novum organon Scientiarum" يفصل بين قواعد المنهج التجريبي وخطواته.

إن جوهر العمل الذي قام به بيكون لم يكن علما بقدر ما كان في مجال العلاقات الاجتماعية للعلم، وقد أشار إلى ضرورة إخضاع العلم بكلياته وجزئياته للملاحظة العلمية، كما قام بتصنيف الأخطاء الشائعة التي تعوق البحث العلمي:

1- أخطاء تعود إلى ضعف العقل الإنساني.

2- أخطاء تعود إلى اللغة التي يتعامل بها الفرد مع أقرانه.

3 - أخطاء تعود إلى اعتماد الفرد على أهل الثقة.

أما بالنسبة إلى خطوات المنهج التجريبي، فقد أوضح بيكون أن على الباحث أن يجمع الحقائق التي تعتبر أساس المنهج الاستقرائي ومادته، كما بين مراحل البحث:

الأولى مرحلة التجريب، والثانية مرحلة اللوحات "3 لوحات" أو تسجيل التجربة، والخطوة التالية هي مقارنة ما تم تسجيله في اللوحات الثلاث "الحضور، الغياب، تفاوت الدرجات" لاستخلاص الخصائص الظاهرة موضع الدراسة، ثم يقوم بالتحقيق من النتائج لإثبات مدى صحتها أو خطئها، والنتائج الأولى هي فروض عملية، لا بد من اختبارها حتى يتأكد الباحث من صحتها، لتصبح قاعدة أو قانونا.

وباختصار فقد وضع بيكون مجرد مبادئ وملاحظات، اهتدى بها من جاء بعده من الباحثين مثل جون ستيفارت ميلن وكلود برنارد اللذين نضج على أيديهما المنهج التجريبي وثبتت دعائمه.

جاء بعد بيكون الفيلسوف الفرنسي ديكارت "1005-1060هـ/ 1596-1650م" ورأى أن يضع للعلوم كلها رياضية وطبيعية منهاجا واحدا صوره في مبحثه "مقال في المنهج" وقد هاجم المنطق الأرسطي لعدم أخذه بالشك، وهاجم فرنسيس بيكون لأنه اعتمد التجربة والمشاهدة الحسية في استنباط القوانين الطبيعية، ونفذ من ذلك إلى منهجه الجديد، وهو منهج يعتمد على البراهين الرياضية، ووضع مكان قواعد المنطق الأرسطي القديم شديد التعقيد أربع قواعد هي:

قاعدة اليقين: قاعدة التحليل، قاعدة التركيب، قاعدة الاستقراء.

وقد اتفق جميع من أتى بعد بيكون وديكارت على أن المنطق الأرسطي انتهى زمنه، وأنه ينبغي أن يحل محله المنهج العلمي، الذي ينبغي أن يعتمد على دراسة الظواهر ورصدها مع الجمع بين التفكير النظري وبين الملاحظة والتجربة كلما سنحت الفرصة،

أو سمحت الظواهر الطبيعية باستخدامها، وهو بذلك منهج يجمع بين قوانين العلوم الرياضية وقوانين العلوم الطبيعية التجريبية، ويقدرهما جميعا، وأيضا فإنه يقدر العلوم الإنسانية كعلم الاجتماع والتاريخ والاقتصاد السياسي، وحسبه أن يسجل الأسس التي تقوم عليها الأصول المختلفة التي

تسود فيها، فلكل علم طبيعته ومن الصعب أن يوضع لكل العلوم قوانين عامة مطلقة على نحو ما حاول أرسطو قديما في منطقته.

ولعل مسيرة البحث العلمي الكبرى بخاصة في العلوم الطبيعية، يمكن أن تعود إلى التجارب التي أجراها جاليليو في الفيزياء "Calileo, S. Experimental work" وذلك في أوائل القرن "السابع عشر" ويدعي الغربيون أن هذا العصر تتوج باكتشاف اللوغاريتم<sup>(1)</sup> على يد نابيير عام "1023هـ/1614م" وهناك بحوث هارفي "Harvey" على الدورة الدموية<sup>3</sup>، واستخدام الرموز العشرية على يد بريجز 4 "Briggs" عام "1026هـ/1617م".

تطور الأسلوب العلمي تدريجيا، ومن أبرز الأسماء في تاريخ العلم في إنجلترا: إسحاق نيوتن الذي عاش بين "1502-1140هـ/1642-1727م" ونال شهرة عظيمة، وبدأت الروح العلمية تتغلب على عقيدة الكنيسة، بخاصة في إنكلترا وفرنسة، وبعد ذلك في ألمانيا وأمريكا.

ساد في القرن "الثامن عشر" في أوروبا النظرية العقلية بين الطبقات المتعلمة، وظهر فيه فولتير وروسو وكثير من العظماء والكتاب الفرنسيين الذين كتبوا في كل المواضيع، وأحدثوا ثورة في العقل البشري، وقد سائرت هذه النظرية العقلية النظرة العلمية.

وكان القرن "التاسع عشر" عصر العلم، فقد كان الفضل في قيام الثورة الصناعية والتطور الصناعي والتطور الصناعي والتطور السريع على وسائل النقل راجعا إلى العلم ... وفي عام "1276هـ/1859م" نشر كتاب في إنكلترا، قام على أثر نزاع بين عقيدة الكنيسة والنظرة العلمية، ذلك الكتاب هو "أصل الأنواع لمؤلفه شارلس داروين" لم يكن من أعظم العلماء كما لم يكن قوله جديدا كليا ... وقد سجل طفرة علمية وأوجد اهتماما كبيرا ... وبعد بضع سنوات نشر كتابا آخر بعنوان "أصل الإنسان" طبق فيه نظرياته السابقة على الإنسان ... وأرى بهذه المناسبة أن أسوق بعض ما كتبه في الموضوع أحد الفلاسفة الصينيين قبل حوالي "2500" عام، وهو "تسوني تي" الذي كتب في القرن "السادس عشر قبل الميلاد" أي "عصر بوذا" ... وهو استنتاج قريب من

(1) اللوغاريتم هو عملية رياضية حسابية تقوم بتحديد عدد المرات التي يتم فيها ضرب رقم ما، ويسمى بالأساس، بنفسه للوصول إلى رقم آخر.

نظرية داروين، مما يجعلنا ندهش من وصول عالم بيولوجي صيني إلى ما احتاج العالم لألفين وخمسمائة عام للحاق به.

وكلما تقدم القرن "التاسع عشر" زاد التطور الحاصل في المجتمع ... وما زال العلم في زحفه يزداد تسارعه ولا يعرف الكلل ... واليوم ينغمس عدد كبير من العلماء والخبراء في خضم العلم الواسع، وعلى رأس هؤلاء ألبرت أينشتاين الذي نجح إلى درجة ما في تعديل نظرية نيوتن، ... وقد أذهلت الإضافات والتعديلات في النظرية العلمية، أذهلت العلماء أنفسهم، ولكن التطور الأخير كان من حظ "القرن العشرين".

قبسات منهجية من التراث<sup>(1)</sup> العربي الإسلامي.

اعتاد الكتاب الغربيون أن يرموا الفكر العربي الإسلامي بأنه فكر غيبي، ينقصه الالتزام بالمنهج العلمي، وقد طال الجدل حول هذا الموضوع، فنسب الغربيون غير المنصفين المنهج العلمي الحقيقي إلى فرنسيس بيكون وديكارت في القرن "السابع عشر الميلادي" وجون ستيوارت ميل في القرن "التاسع عشر الميلادي"، في حين أن الدراسات المنصفة انتهت إلى نتيجة مفادها أن تفكير العرب العلمي يعتبر أساسا لهذا المنهج، ولا يختلف كثيرا عن المنهج العلمي الحديث.

تميز الإسلام منذ انطلاخته بمبادئ الأولى منها التوحيد، وتبين للمستشرقين بخاصة الأهمية البالغة لإبعاد هذه الرؤية الإسلامية للإله الواحد، ويتداخل مع موضوع التوحيد موضوع آخر هو الخطاب العقلاني، حيث يستخدم البرهان الذي أفاد منه الفلاسفة الإسلاميون، لقد جعل القرآن العقل أداة أولية في حياة الإنسان، ودعا إلى استخدامه في البحث عن الكون كأحد أركان العبادة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

﴿البقرة:164﴾

(1) التراث لغة هو ما ورث أو ما يخلفه الإنسان لورثته، والتراث اصطلاحاً هو ما خلفه لنا الأجيال السابقة من آثار فكرية مسجلة على الألواح أو أوراق البردي، أو مدونة في بطون الكتب التي خطتها أيديهم قبل أن تعرف الطباعة.

ونرى من خلال آياته أن العلم هو الحق اليقيني الثابت بالحجة القاطعة: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي  
مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [يونس:36].

وهو الطريق العلمي السليم في بحث أسرار الطبيعة.

بأسلوب قائم على البرهان التجريبي، وليس على التخمين والظن ويبني القرآن الكريم العلم على  
المنطق الأساسي في قانونين أساسيين:

1- ثبوت الفطرة واستقلالها: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر:43].

2- لا تناقض مطلقا بين الحقائق: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ﴾ [المالك:3].

كما يؤكد المشاهدة الصحيحة كإحدى وسائل البحث في العلوم الطبيعية ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ

لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء:36]

وتتجمع أصول النظر العلمي السليم والمنهج الاستقرائي التجريبي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ

مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء:36]

لقد أكد الإسلام على استخدام المنهج الاستقرائي في النظرة العلمية والبحث عن كيفية تركيب

الأشياء في هذا الكون، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۖ وَإِلَى

السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۖ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۖ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۖ﴾ [الغاشية:17 -

[20]

فكلمة كيف تعبر عن روح العلم ومنهجه كله، كما أشار القرآن الكريم إلى عدم التوقف في

البحث عند محصولات الخيال، إلا أنه لا بد من أن يأتي يوم يظهر فيه اليقين كما في قوله تعالى:

﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص:88].

لقد حض الإسلام على التقدم المستمر: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:114]

وأن يكون العلم نافعا وقد ورد في الحديث الشريف: " عن عبد الله بن عمرو قال : كان رسول

الله صلى الله عليه و سلم يقول اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ونداء لا يسمع ومن نفس لا

تشبع ومن علم لا ينفع أعوذ بك من هؤلاء الأربع" (1) وهذه إشارة إلى تكريس العلم واستخدامه في خدمة الإنسان ولصالحه وليس للقضاء عليه.

كتب ابن المعتز "ت 296هـ / 908م" في سنة "274-275هـ / 887-888م" "كتاب البديع" وهو فيه على وعي تام بأنه أول من قام بدراسة نظامية لفنون الشعر، وعبر عن أمله في أن يكشف غيره أنواعا أخرى، وبذلك يزيدون عمله تحسينا، وبذا يكون ابن المعتز أول مسلم يفكر في العلم بوصفه واجبا، لا بد من مواصلته للتمكن منه باطراد بوساطة تعاون أجيال متعاقبة من العلماء، أما السكاكي "ت 627هـ / 1229م" فقد جنح أصلا إلى العلم لما شهدته من التشريف الذي كان يحظى به العلماء الكبار، كيف دعم أركان تقليد شريف عندما عاد بعد عرض وجهة نظره في مسألة بيانية ملخص وجهة نظر خصومه وترك للقارئ الحكم.

كانت الاتجاهات السائدة في المجتمع الإسلامي تحبذ أن يكون العالم نموذجا معياريا للأخلاق والأنشطة البشرية، ولقد يلوح أن رجل العلم كان يظن فيه في البداية الإحاطة بكل شيء تقريبا، ونظرا لعدم وجود معايير معترف بها مسلمة فيما يجوز تصديقه عقلا، كان من العسير الفصل بين الإدراك المتولد من العلم ومثيله الذي يجيء عن طريق الإلهام "Inspiration" ونستخلص من التراث العربي ما يلفت النظر في النزعة الكريمة لدى العلماء الأوائل الذين واجهوا بشجاعة أهل الجمهور فيهم باعترافهم بقلة ما لديهم من معلومات مما ذكره السيوطي "ت 911هـ / 1505م" في فصل ثم يتبع فصلا عقده في ذكر "من سئل من علماء العربية عن شيء فقال: لا أدري، بفصل آخر سجل فيه أسماء من سئل عن شيء فلم يعرفه فسأل من هو أعلم منه، ثم يذكر كذلك عددا من الأعلام الثقات الذين جرعوا على الرجوع عن رأيهم بعد طول البحث"، وقد صاغ المبرد (2) "مبدءا يبرر فيه

(1) رواه الترمذي رقم الحديث 3482 ( 519/5 ) وقال الشيخ الألباني : صحيح

(2) المبرّد (210 - 286 هـ = 826 - 899 م)

محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد: إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار. مولده بالبصرة ووفاته ببغداد. من كتبه (الكامل - ط) و(إعراب القرآن) قال الزبيدي في شرح خطبة القاموس: المبرّد بفتح الراء المشددة عند الأكثر وبعضهم يكسر.

اعتراف الإنسان بخطئه فيقول: "إنه يمحو الذنب الذي قد يترتب على الوقوع في الأخطاء ونشرها بين الناس".

وهذا هو الحسن بن الهيثم<sup>(1)</sup> يعترف بأن الدراسة والبحث هما عمله في الحياة، وأنه ليتفق مع جالينوس في اعتبار الصدق أمراً لا ينال إلا بالجهد العلمي، وقد نبه في مقدمة كتابه "الشكوك على بطليموس" إلى أن حسن الظن بالعلماء السابقين مغروس في طبائع البشر، وأنه كثيراً ما يقود الباحث إلى الضلال، وطالب الحق عنده ليس من يستقي حقائقه من المتقدمين، بل عليه أن يشك في إعجابهم بهم، ويتوصل إلى حقائق الأمور، ورغم أنه يقر في كتابه أن بطليموس رجل يشار إليه في العلوم الحقيقية ولكن وجد فيه مواضع شبهة وألفاظاً بشعة ومعاني متناقضة، وهذا أوضح من التعليق.

ورغم حماسة العرب في نقل تراث الأوائل إلى لغتهم، فإن ذلك لا يمنع العقل العربي من أن يكون حراً في نقد الآثار التي تستهويه وتمحيص حقائقها والكشف عما يحتمل أن تتضمنه من زيف وبطلان مستعينا بالملاحظة والمعايينة.

قال ابن الهيثم في كتابه "المناظر": "بأن مراحل المنهج التجريبي تبدأ بملاحظة الظواهر الجزئية الحسية وتحديد صفاتها وخصائصها، ثم يندرج في بحثه مع التمحيص والحذر من الوقوع في الخطأ حتى يبلغ اليقين، يقول ابن الهيثم: "يبدأ البحث باستقراء الموجودات وتصفح أحوال المبصرات، وتميز خواص الجزئيات ويلتقط باستقراءها ما يخص المبصر في حالة الإبصار وما هو مطرد لا يتغير، وظاهر لا يشتبه في كيفية الإحساس، ثم أرقى في البحث والمقاييس على التدرج والتدريب مع انتقاد المقدمات والتحفظ في الغلط في النتائج، ونجعل غرضنا في جميع ما نستقرئه ونتصفح استعمال العدل لا اتباع الهوى، ونتحرى في سائر ما نجيزه وننقده طلب الحق الذي به تتلج الصدور ونصل بالتدرج واللفظ إلى الغاية التي عندها يقع اليقين، وتظهر مع النقد والتحفظ التي يزول معها الخلاف وتتسجم به مواد الشبهات" فهو بهذا لا يختلف عن ديكرت رغم وجود فارق زمن بينهما يصل إلى حوالي "ستة قرون".

(1) ابن الهيثم (354 - نحو 430 هـ = 965 - نحو 1038 م)

محمد بن الحسن بن الهيثم، أبوعلي: مهندس من أهل البصرة، يلقب ببطليموس الثاني. له تصانيف في الهندسة.

قام علم الفلك عند العرب على التجربة، معتمدا على الملاحظة الحسية وآلات الرصد لتعليل حركات الأجرام السماوية وتفسير الظواهر الفلكية، لقد ترجم العرب كتاب بطليموس "النظام الرياضي للنجوم Mathematic Syntaxis" وسموه المجسطي "Al-magistic" "أي الأعظم" ورغم أن كتابه بالغ الأثر في العرب، إلا أن علماء العرب كشفوا في ضوء دراساتهم التجريبية عن الكثير من أخطائه، لهذا قيل: إنه كان عندهم نقطة انطلاق في تفكيرهم العلمي فيما لاحظ ول ديورانت " W. Durant".

1- درج الباحثون العلميون على تقسيم العلوم إلى علوم طبيعية وعلوم اجتماعية، فالعلوم الطبيعية أو العلوم الدقيقة على سبيل المثال: علم الكيمياء، وعلم طبقات الأرض، وعلم الطبيعة، وعلم الفلك، وعلم النبات، وعلم الحيوان، أما العلوم الاجتماعية فقد شاع حصرها في أربعة علوم رئيسة وهي: علم الاجتماع، وعلم النفس الاجتماعي، وعلم الإنسان الاجتماعي والثقافي، وعلم السياسة، وهناك علوم سموها بالعلوم الإنسانية، وعلى رأسها علم التاريخ، الجغرافية، الاقتصاد، واللغة، ولبعض هذه العلوم فروع يرى المختصون فيها عدها مع العلوم الطبيعية: كعلم الإنسان الجسدي "وضعت هذه التسمية بدلا من "الأنثروبولوجية الفيزيائية" وهي تسمية معربة وقد شاعت ترجمتها بعلم الإنسان أو الإنسانية" والجغرافية الطبيعية، كذلك هناك فروع يرى المتخصصون فيها أنها تنتمي إلى العلوم الاجتماعية كالجغرافية البشرية والسياسية والاقتصادية وجغرافية الشعوب التي تتشابه مع علم وصف الشعوب كالتاريخ الاجتماعي وفلسفة التاريخ اللذين كثيرا ما اختلطا بعلم الاجتماع النظري.

2- إن من بلور فكرة اللوغاريتمات هو ابن حمزة المغربي من علماء القرن "العاشر الهجري والسادس عشر الميلادي"، وأتى نابيير فطور فكرة المغربي، ثم ادعى اكتشاف علم اللوغاريتمات، وأدخل عليها هنري برجس الإنكليزي الأصل "1561-1631م" بعض التعديلات على جداول نابيير، فكانت أول الجداول التي ظهرت للنور عام 1033هـ/ 1624م<sup>(1)</sup>.

(1) علي عبد الله الدفاع: روائع الحضارة العربية الإسلامية في العلوم، ط1.

3- سبقه ابن النفيس<sup>(1)</sup> "607-686هـ / 1210-1288م" إلى ذلك فقد قال بالدورة الدموية قبل سرفيتوس بـ "250" عاما، ونذكر في هذا الشأن علي بن العباس، وأبا القاسم المشهور بالزهراوي<sup>(2)</sup>.

4- سبقه إلى ذلك الأزدي "731هـ / 1321م" والكاشي "829هـ / 1425م" نرى مؤلفه يعقد فصلا للقياس، وفي البيان الثاني يعرض للسفسطة، متأثرا بحديث أرسطو، وفي البيان الثالث الخاص بالعبارة فيتسع بالحديث عن الجدل، ويفرد للتناقض حديثا خاصا متأثرا بالمنطق الأرسطي مع ما أضاف إليه من بحوث المتكلمين والفقهاء ومواصفاتهم ومقالات الفلاسفة الإسلاميين وأفكارهم<sup>(3)</sup>.

### ظهور المنهج التجريبي الاستقرائي:

خلال العصور الوسطى، بدأت معالجة قضايا ما يسمى الآن بالعلم. كان هناك تركيز أكبر على الجمع بين النظرية والممارسة في العالم الإسلامي، مما كان عليه في العصور القديمة، وكان من الشائع أن يجمع دارسي العلوم بين العلم والحرف، وهو الأمر الذي كانوا يعتبرونه في العالم القديم انحرافاً. كان العلماء المسلمون في مجالات العلوم في كثير من الأحيان خبراء في صناعة الأجهزة التي تعزز من قدرتهم على الملاحظة والتقدير.

استخدم العلماء المسلمون التجربة والتقدير العددي للتمييز بين النظريات العلمية المتنافسة، وذلك ضمن التوجّه التجريبي بشكل عام، كما يظهر في أعمال جابر بن حيان والكندي.

---

(1) ابن النّفيس (000 - 687 هـ = 000 - 1288 م)

علي بن أبي بالحزم القرشي، علاء الدين الملقب بابن النفيس: أعلم أهل عصره بالطب. أصله من بلدة قرش (بفتح القاف وسكون الراء، في ما وراء النهر) ومولده في دمشق، ووفاته بمصر. له كتب كثيرة، منها " الموجز - ط " في الطب، اختصر به قانون ابن سينا...

(2) الزُّهْرَاوِي (000 - 427 هـ = 000 - 1036 م)

خلف بن عباس الزهراوي الأندلسي، أبو القاسم: طبيب، من العلماء. ولد في الزهراء (قرب قرطبة) وإليها نسبته.

(3) البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية أ. د. رجاء وحيد دويدري.

بحلول القرن الحادي عشر الميلادي، ظهرت العديد من المناهج العلمية في العالم الإسلامي، التي استخدمت كلها التجريبية والتقدير العددي بدرجات متفاوتة.

### ابن الهيثم:

"كيف ينتقل الضوء في الأجسام الشفافة؟ ينتقل الضوء في الأجسام الشفافة في خطوط مستقيمة فقط .... شرحنا ذلك باستفاضة في كتابنا المناظر". ابن الهيثم.

استخدم الفيزيائي المسلم ابن الهيثم التجربة للحصول على النتائج في كتابه «المناظر». «قَرَنَ ابن الهيثم بين الرصد والتجربة والحجج العقلانية لدعم نظريته حول الإبصار، التي زعم فيها أن شعاع الضوء ينبعث من الأجسام وليس من العينين. فاستخدم الحجج لإظهار أن نظرية الانبعاث القديمة التي دعمها بطليموس وإقليدس) أن العينين ينبعث منها أشعة الضوء المستخدم للرؤية)، ونظرية الدخول القديمة التي دعمها أرسطو) أن الأشياء تبعث جسيمات مادية تدخل العين، كلاهما خاطيء.

قدّم ابن الهيثم في كتابه المناظر، الدلائل التجريبية التي تدعم معظم مقترحات حول نظرياته عن الرؤية والضوء والألوان، فضلاً عن أبحاثه في المرايا وانكسار الضوء. ثم نَقَّح كمال الدين الفارسي ما جاء في كتاب ابن الهيثم في كتابه (تنقيح المناظر) كان ابن الهيثم ينظر إلى دراساته العلمية كبحت عن الحقيقة حيث قال: «الحقيقة تُرى لذاتها. وأولئك الذين يسعون من أجل أي شيء لذاته، لا يهتمون بالأمور الأخرى. العثور على الحقيقة أمر صعب، والطريق إلى ذلك وعرة... ..

اعتمد ابن الهيثم أيضاً على الحدس، فقال أن: «الضوء ينتقل في الأجسام الشفافة في خطوط مستقيمة فقط»، وهو ما استطاع إثباته بعد سنوات من الجهد. فقال: «ذلك يبدو واضحاً عند دخول الضوء إلى الغرف المظلمة من خلال الثقوب. ... سيكون الضوء ملاحظاً بوضوح في الغبار الذي يملأ الهواء.

كما برهن أيضاً على حدسه بوضعه لعصا مستقيمة أو خيط مشدود إلى جانب شعاع

ضوء

[https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE\\_%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D9%87%D8%AC\\_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%85%D9%8A](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE_%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D9%87%D8%AC_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%85%D9%8A)

استخدم ابن الهيثم أيضاً منهج التشكيك العلمي، وأكد على دور التجريبية. كما شرح دور الاستقراء في القياس، ونقد أرسطو لقلّة اسهاماته في منهج الاستقراء، الذي اعتبره ابن الهيثم متفوقاً على القياس المنطقي. اعتبر ابن الهيثم أيضاً الاستقراء متطلباً أساسياً للبحث العلمي الصحيح.

تحدث ابن الهيثم في كتاب المناظر عن شيء يشبه نصل أوكام. على سبيل المثال، بعد أن أوضح أن الضوء ينشأ عن أشياء مضيئة وينبعث أو ينعكس في العيون، قال بأنه بالتالي: نظرية الانبعاثات حول أشعة الرؤية غير ضرورية، وبلا

فائدة  
[https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE\\_%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D9%87%D8%AC\\_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%85%D9%8A](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE_%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D9%87%D8%AC_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%85%D9%8A) - cite\_note-37

وربما كان ابن الهيثم أيضاً أول عالم يتبنى الفلسفة الوضعية في نهجه، فكتب أنه: «نحن لا نتجاوز الخبرة، ولا يمكن أن نرضى باستخدام المفاهيم النقية في البحث في الظواهر الطبيعية»، وأنه لا يمكن فهم ذلك بدون الرياضيات. وبعد افتراضه أن الضوء هو مادة، توقّف عن مناقشة طبيعته، ولكن قصر أبحاثه على انتشار الضوء. أما الخاصية الوحيدة للضوء التي أخذها بعين الاعتبار هي تلك التي تُعالج عن طريق الهندسة، وتؤكدّها التجربة.

**البيروني<sup>(1)</sup>:**

استخدم العالم أبو الريحان البيروني مناهجاً علمية في العديد من مجالات البحث خلال عشرينيات وثلاثينيات القرن الحادي عشر الميلادي. على سبيل المثال، في مخطوطته في علم المعادن كتاب «الجواهر»، كان البيروني أدق العلماء في التجربة، وقال في مقدمة كتابه حول دراسة

(1) البيروني (262 - 440 هـ = 973 - 1047 م)

محمد بن أحمد، أبو الريحان البيروني الخوارزمي: فيلسوف رياضي مؤرخ، من أهل خوارزم. أقام في الهند بضع سنين، ومات في بلده، اطلع على فلسفة اليونانيين والهنود، وعلت شهرته، وارتفعت منزلته عند ملوك عصره. وصنف كتباً كثيرة جداً، متقنة، منها " الآثار الباقية عن القرون الخالية - ط " و " الاستيعاب في صناعة الأسطرلاب - خ ...

الهند»: لتنفيذ مشروعنا، لم يكن ممكناً اتباع الأسلوب الهندسي»، وبالتالي أصبح واحداً من رواد علم الاجتماع المقارن بإصراره على العمل الميداني وجمع المعلومات. كما طوّر البيروني منهجاً تجارياً قديماً في الميكانيكا .

تشبه منهجية البيروني المنهج العلمي الحديث، لا سيما في تأكيده على تكرار التجارب. اهتم البيروني بكيفية وضع المفاهيم، واستبعاد كل من خطأ الملاحظة والملاحظات المتحيزة، مثل الأخطاء الناجمة عن استخدام الأدوات الصغيرة والأخطاء البشرية. قال إنه لما كانت الأدوات ينتج عنها أخطاء بسبب عيوب فيها أو عدم قدرتها على التمييز الدقيق، لذا يجب أن تؤخذ قراءات متنوعة، وعلى هذا الأساس، فإنه للوصول إلى «قيمة واحدة بديهية للثوابت»، نعتمد على المتوسط الحسابي أو التقريب الموثوق في منهجه العلمي، جاءت مُسلّماته من تجاربه العملية، وصاغ نظرياته بعد اكتشافاته، كما هو الحال في النهج الاستقرائي.

ابن سينا<sup>(1)</sup>:

في «كتاب الشفاء» ناقش العالم والفيلسوف ابن سينا فلسفة العلوم، ووصف منهجاً علمياً قديماً للبحث. ناقش ابن سينا كتاب البرهان لأرسطو، وخالفه في الكثير من النقاط. ناقش ابن سينا مسألة وضع إجراءات خاصة للبحث العلمي، ومسألة «كيف للفرد أن يكتسب المبادئ الأساسية للعلم؟»، وتساءل كيف يمكن للعالم أن يجد «البديهيات الأولية أو الفرضيات من استنباط العلم دون استقرائها من بعض مصادرها الأساسية؟». وأوضح ابن سينا أن الوضع المثالي هو عندما يقبض العالم على «علاقة بين مصطلحات من شأنها أن تصل به إلى المطلق واليقين العام». كما أوضح ابن سينا أنه هناك طريقتين للوصول إلى المبادئ الأساسية: الطريقة الأرسطية القديمة (الاستقراء)، والطريقة الأحدث (الفحص والتجربة). نقد ابن سينا استقراء أرسطو، فقال: «إنها لا تؤدي إلى المطلق،

(1) الرَّئِيس ابن سينا (370 - 428 هـ = 980 - 1037 م)

الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك: الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعات والالهيّات. أصله من بلخ، ومولده في إحدى قرى بخارى. ونشأ وتعلم في بخارى، وطاف البلاد، وناظر العلماء، واتسعت شهرته، وتقلد الوزارة في همذان، وثار عليه عسكرها ونهبوا بيته، فتوارى. ثم صار إلى أصفهان، وصنف بها أكثر كتبه. وعاد في أواخر أيامه إلى همذان، فمرض في الطريق، ومات بها...

والعام، والمؤكد الذي تهدف للوصول إليه. «وبدلاً منها، دعا إلى استخدام طريقة التجريب كوسيلة للبحث العلمي.

قبل ذلك في كتابه «القانون في الطب»، كان ابن سينا أول من وصف طرق الاتفاق والفرق والاختلافات المصاحبة المعروفة بطرق مل، التي تعتبر بالغة الأهمية في المنهج الاستقرائي والعلمي.

ومع ذلك، خالف ابن سينا طريقة معاصره البيروني العلمية، التي تقول بأن: تأتي المسلمات نتيجة الممارسة والعمل التجريبي»، وأن: النظريات تصاغ بعد الاكتشافات»، حيث وضع ابن سينا إجراءات علمية يطرح فيها الأسئلة العامة والشاملة أولاً، والتي توجّهنا إلى طبيعة العمل التجاري المطلوب؛ ونظرًا للاختلافات بين الأسلوبين، فقد وصف البيروني نفسه بالعالم الرياضي، ووصف ابن سينا بأنه فيلسوف، خلال مناظرة بين العالمين .

### روبرت جروسيتيست:

خلال النهضة الأوروبية في القرن الثاني عشر، انتقلت أفكار المنهجية العلمية بما فيها تجريبية أرسطو ومنهج ابن الهيثم وابن سينا التجريبي، إلى أوروبا العصور الوسطى عن طريق الترجمات اللاتينية في القرن الثاني عشر من النصوص والتعليقات العربية واليونانية. جعل تعليق روبرت جروسيتيست على كتاب البرهان لأرسطو من جروسيتيست أول المفكرين المدرسين في أوروبا الذين سعوا لفهم رؤية أرسطو حول الطبيعة المزدوجة للتفكير العلمي، حيث استخلص القوانين العامة من الملاحظات الخاصة، ومن ثم تتباً بالتفاصيل من القوانين العامة. دعا جروسيتيست ذلك «الانحلال والتكوين». وعلاوة على ذلك، قال جروسيتيست أن كلا المسارين يجب التأكد من صحتها من خلال التجارب للتحقق من المبادئ.

### روجر بيكون:

ألهمت كتابات جروسيتيست روجر بيكون. ففي أعماله، وصف بيكون طريقته التي اعتمد فيها على سلسلة متكررة من الملاحظة والافتراض والتجربة، ثم اللجوء إلى التأكيد المستقل. سجل بيكون طريقته بالتفصيل، ربما لاعتقاده بأن الآخرين يمكنهم تكرارها بأنفسهم للحصول على النتائج. وفي حوالي سنة 1256 م، التحق بيكون بالفرنسيسكانية، وأصبح خاضعاً للقانون الفرنسيكاني الذي يمنع الراهب من نشر الكتب أو النشرات دون موافقة مسبقة. وفي سنة 1265 م، كلفه البابا كليمنت الرابع بأن يكتب له في المسائل العلمية. خلال ثمانية عشر شهراً، أكمل كتابة ثلاث أطروحات كبيرة، بعث بها إلى البابا. وصف الفيلسوف الإنجليزي ويليام ويويل أحد تلك الكتب الثلاثة «Opus Majus»، بأنه موسوعة، وأنه أورغانون القرن الثالث عشر الميلادي. وفيه:

في الجزء الأول (ص 1-22) ناقش بيكون أسباب الخطأ الأربعة: السلطة، والعرف، ورأي غير المتخصصين، وإخفاء الجهل الحقيقي وإدعاء المعرفة.

في الجزء السادس (ص 445-477) ناقش العلم التجريبي، وقال بأن هناك طريقتان للمعرفة: الأولى بالنقاش، والآخر عن طريق التجربة. وأن النقاش المجرد لم يكن أبداً كافياً؛ فبواسطته يمكن طرح الأسئلة، ولكن لن يمنح الرضا أو اليقين إلى العقل، والذي لا يمكن إقناعه إلا عن طريق الفحص المباشر أو التخمين، وهو ما يأتي مع الخبرة.

يمكن تمييز العلم التجريبي الذي ذكره في كتابه «Opus Tertium» ص 46 عن العلوم  
التكهنية، والفنون العملية من خلال نقاط ثلاث يمتاز بها:  
أنه يتحقق من خلال الاستنتاجات من التجربة المباشرة.  
أنه يكتشف الحقائق التي لا يمكن الوصول إليها أبدًا.  
أنه يحقق في أسرار الطبيعة، ويفتح لنا معرفة الماضي والمستقبل.  
أوضح روجر بيكون طريقته في البحث من خلال بحثه حول طبيعة وسبب قوس قزح، كمثال  
على البحث الاستقرائي.<sup>(1)</sup>

---

(1) ويكيبيديا الموسوعة الحرة (تاريخ المنهج العلمي). الرابط:

[https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE\\_%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D9%87%D8%AC\\_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%85%D9%8A](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE_%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D9%87%D8%AC_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%85%D9%8A)

## المبحث الثاني

### الفرق بين الحقيقة العلمية والنظرية

#### - الحقيقة:

الحقيقة حدث أو واقعة أو خبرة أو تغيير تتصف بقدر كبير من الثبات، ويؤيد وجودها أدلة صادقة يمكن حصرها في بحث معين، إن غاية البحث من الملاحظة هي الوصول إلى الوقائع أو الحقائق، والعالم أقل قطعاً بالنسبة إلى الحقائق، وأكثر شكاً في الوقائع، يخضعها جميعها للبحث والتحصيص، ويقف منها موقف الناقد لتحقيقها.

تختلف إمكانية الوصول إلى الحقيقة من حال إلى حال، ومن بحث لآخر، فثمة حقائق شخصية "خاصة" تكمن في أعماق الفرد ولا يستطيع الإنسان الآخر الوصول إليها بسهولة، أو بصورة تامة، وإن كانت حقائق واقعة وبالنسبة لصاحبها "الآمال" ويدهي أن سلوك الفرد كثيراً ما يوحى بآماله، وأمانيه ويعبر عن مخاوفه وأسباب قلقه، ويهدف التوصل إلى مثل هذه الحقائق لا بد من فحص وتحصيص قد يكونا ممزوجين بالظن والتخمين.

نذكر هنا الملاحظة الشخصية وهي الاستبطان "Introspection"، وهي ملاحظة الإنسان لذاته ونظره في خبراته ووصفه لها وتعبيره عنها، وبما أن العلم موضوعي لهذا لا يمكن الاعتماد على الاستبطان من قبل المراقب الخارجي لاختلاف الملاحظة الشخصية بين الأشخاص "الخوف" وفي العلوم السلوكية يغلب العنصر الشخصي على العنصر الموضوعي عكس العلوم الطبيعية، لهذا يسعى علماء العلوم السلوكية لجعل علومهم تجريبية إحصائية كمية، ولقد فرق دالين بين مستويات ثلاثة للحقائق هي:

1- مستوى الحقائق التي يكون الإنسان فيها واعياً لها عن طريق الخبرة الحسية المباشرة، وهي ليست إلا إحساسات، هي خبرات خام، تدرك مباشرة والإحساس بداية الإدراك، وهذا بدوره تفسير الإحساس.

2- مستوى الحقائق التي يتعرف عليها الباحث، بوساطة وصفه خبراته المباشرة وتفسيرها المحس إحساساته في ضوء خبراته الماضية ومعارفه ليحصل على حقائق.

3- مستوى الحقائق التي يتعرف عليها الباحث بوساطة قيامه بالاستقراء والاستنتاج، وعملياتي التجريب والتعميم، وهنا يعمل الباحث عقله، ويستخدم عملياتي التجريد والتعميم، ويقوم بفاعلي الاستقراء والاستنتاج، وحيثما أمكن يلجأ إلى التجريب فيصل إلى الحقائق الموضوعية، وهكذا تأكد الإنسان أن الأرض كروية.

هذا وإن المستويات الثلاثة متكاملة متواصلة، فبدون إحساس لا نصل إلى الحقائق، وبدون إدراك وتفسير لا نصل إلى الحقائق وبدون استدلال لا نصل إلى الحقائق.

#### - النظرية:

تعرف النظرية بأنها: "كل مجرد من المفاهيم يتحد في سياق منطقي تقوم عليه معرفة علمية للظواهر" والمقصود من النظرية في البحث العلمي: توضيح العلاقة بين السبب والأثر " Cause effectrelationship" بين المتغيرات، بهدف الشرح أو التنبؤ بظواهر معينة، وتعبير أوضح: النظرية أفكار مرتبطة ومنظمة تساعدنا على تفسير مجموعة من الظواهر المعروفة أو المرصودة وتصلح أن تكون أساسا للتوقع أو التنبؤ.

إن الباحث الذي يلاحظ والذي يجمع الحقائق ينتهي إلى "نظرية" تنظيم الحقائق، وتربط بين الوقائع، وتعطي تعليلاً أولياً يسميه العلماء "فرضية" يجربونها" فإن ثبتت صحتها قبلت وأصبحت "قانوناً" أو "حقيقة عامة" على الأقل، وإلا رفضت وعمد إلى "نظرية" أو "فرضية" أخرى حيث يعيد الباحث الكرة من التجريب والتمحيص والبحث، ومن العسير أن نرسم خطاً فاصلاً بين كل من الفرض والنظرية، والفرق بينهما هو في الدرجة لا في النوع، فالنظرية في مراحلها الأولى تسمى "الفرض" وعند اختبار الفرض بمزيد من الاختبار يتلاءم الفرض معها، فإن هذا الفرض يصبح نظرية.

ينتهي الباحث الذي يلاحظ الحقائق إلى فرضية أو نظرية مؤقتة "Provisional Theory" قد تشمل شرحاً وتفسيراً فإن كان خطأ تعاد الكرة من جديد من التجريب والتمحيص، وإن صحت فإنها تستمر، وقد تستمر النظرية لفترة طويلة من الزمن، حتى تكتشف طرق أخرى للبحث تؤدي إلى اكتشاف حقائق جديدة تطور الفرضية أو النظرية المؤقتة التي وضعت من قبل الباحث. ويمكننا تشبيه ذلك بنظرية "بطليموس" ومن بعده نظرية "كوبرنيكوس".<sup>1)</sup>

(1) البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية أ. د. رجاء وحيد دويدري.

## الفصل الرابع

القواعد التفسيرية في ضوابط الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مكانة تفسير السلف.

المبحث الثاني: قواعد التفسير.

## المبحث الأول

### مكانة تفسير السلف

يجب أن يعلم أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيَّنَّ لأصحابه معاني القرآن كما بيَّن لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:44]

يتناول هذا وهذا.

وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرؤوننا القرآن . كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً.

ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة، وقال أنس: كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جلَّ في أعيننا. وأقام ابن عمر على حفظ البقرة عدة سنين، قيل: ثمان سنين. ذكره مالك.

وذلك أن الله تعالى قال: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُرَكَّبًا يُدَبَّرُ وَأَنْزَلْنَاهُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص:29].

وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:82].

وقال: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون:68]

وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن.

وكذلك قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف:2]

وعقل الكلام متضمن لفهمه.

ومن المعلوم أن كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه، فالقرآن أولى بذلك.

وأيضاً، فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فن من العلم، كالطب والحساب، ولا يستشرحوه،

فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم، وبه نجاتهم وسعادتهم، وقيام دينهم وديناهم؟!!

ولهذا كان النُّزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلاً جداً، وهو وإن كان في التابعين أكثر منه في الصحابة فهو قليل بالنسبة إلى ما بعدهم، وكلما كان العصر أشرف كان الاجتماع والاتتلاف والعلم والبيان فيه أكثر<sup>(1)</sup>.

ومن التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة، كما قال مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها، ولهذا قال الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به، ولهذا يعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري وغيرهما من أهل العلم وكذلك الإمام أحمد وغيره ممن صنف في التفسير يكرر الطرق عن مجاهد أكثر من غيره.

والمقصود أن التابعين تلقوا التفسير عن الصحابة كما تلقوا عنهم علم السنة، وإن كانوا قد يتكلمون في بعض ذلك بالاستنباط، والاستدلال، كما يتكلمون في بعض السنن بالاستنباط والاستدلال.

هذه المسألة التي يذكرها شيخ الإسلام واضحة؛ لأن علم التفسير كان علماً قائماً بذاته منذ عهد الصحابة، وكان هذا العلم مما تلقاه التابعون عن الصحابة كما تلقوا عنهم علم القراءة والحديث والفقه والسلوك.

وكان بعضهم أبرز من بعض في تلقيه وفي تفسيره، وكان من أبرزهم على الإطلاق إمام التابعين مجاهد بن جبر<sup>(2)</sup> (ت: 104) الذي تلقى التفسير عن ابن عباس (ت: 68)، كما تلقاه عنه

(1) هذه القاعدة العلمية يدخل فيها عموم المسائل العلمية والعملية، فلم يكن الخلاف، وتنتشر الأحزاب البدعية إلا بعد عصرهم رضي الله عنهم.

(2) مجاهد بن جبر (21 - 104 هـ = 642 - 722 م)

مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم: تابعي، مفسر من أهل مكة. قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين. أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات، يقف عند كل آية يسأله: فيم نزلت وكيف كانت؟ وتنتقل في الأسفار، واستقر في الكوفة. ويقال: أنه مات وهو ساجد.

عكرمة<sup>(1)</sup> موله (ت:105)، وأبو الجوزاء أوس بن عبد الله الرّبيعي (ت:83) الذي قال: «جاورت ابن عباس تثنى عشرة سنة في داره، وما من القرآن آية إلا وقد سألته عنها».

وكان ابن عباس (ت:68) من أخصّ الصحابة في علم التفسير، بفضل دعوة الرسول صلّى الله عليه وسلّم له، حيث قال صلّى الله عليه وسلّم: «اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل»<sup>(2)</sup>.

وكان ابن مسعود (ت:35) معلم الكوفة من كبار مفسري الصحابة، وقد تلقّاه عنه تلاميذه في الكوفة، وكذا تلقّاه عن علماء الصحابة في المدينة بعض التابعين؛ كزيد بن أسلم<sup>(3)</sup> ومحمد بن كعب القرظي.

قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله:<sup>(4)</sup>

فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟

فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فُسّر في موضع آخر، وما اختُصر في مكان فقد بُسِطَ في موضع آخر.

فإن أعيانك ذلك، فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له؛ بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: كل ما حكم به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فهو مما فهمه من

(1) عكرمة البربري (25 - 105 هـ = 645 - 723 م)

عكرمة بن عبد الله البربري المدني، أبو عبد الله، مولى عبد الله بن عباس: تابعي، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي. طاف البلدان، وروى عنه زهاء ثلاثمائة رجل، منهم أكثر من سبعين تابعيا. وكانت وفاته بالمدينة هو و " كثير عزة " في يوم واحد فقيل: مات أعلم الناس وأشعر الناس.

(2) رواه أحمد رقم الحديث 2879 (5/65)

(3) زيد بن أسلم (000 - 136 هـ = 753 - 000 م)

زيد بن أسلم العدوي العمري، مولاهم، أبو أسامة أو أبو عبد الله: فقيه مفسر، من أهل المدينة. كان مع عمر بن عبد العزيز أيام خلافته. واستقدمه الوليد ابن يزيد، في جماعة من فقهاء المدينة، إلى دمشق، مستفتيا في أمر. وكان ثقة، كثير الحديث، له حلقة في المسجد النبوي. وله كتاب في (التفسير) رواه عنه ولده عبد الرحمن.

(4) انظر شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية المؤلف مساعد الطيار ص 32/31 ص54.

القرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ حَصِيمًا﴾ [النساء:105].

وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:44].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل:64].

ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»<sup>(1)</sup> يعني: السنة.

والسنة أيضاً تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن؛ لا أنها تتلى كما يتلى، وقد استدل الإمام الشافعي وغيره من الأئمة على ذلك بأدلة كثيرة ليس هذا موضع ذلك.

والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجده فمن السنة، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ». قَالَ أَقْضِي بِكِتَابِ اللَّهِ. قَالَ «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّهِ». قَالَ فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-. قَالَ «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَلَا فِي كِتَابِ اللَّهِ». قَالَ أَجْتَهُدُ رَأْيِي وَلَا أَلُو. فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- صَدْرَهُ وَقَالَ «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ»<sup>(2)</sup>.

وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التي اختصوا بها؛ ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبرائهم؛ كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين؛ مثل: عبد الله بن مسعود، قال الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: حدثنا أبو

(1) رواه أحمد رقم الحديث 17174 (410/28) المكتبة الشاملة ط2 الرسالة

(2) رواه أبو داود 3594 (330/3) المكتبة الشاملة قال الألباني : ضعيف .

كريب، قال: أنبأنا جابر بن نوح، أنبأنا الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق قال: قال عبد الله . يعني: ابن مسعود .: والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته، وقال الأعمش أيضاً: عن أبي وائل، عن ابن مسعود قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن.

ومنهم الحبر البحر عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وترجمان القرآن، ببركة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له حيث قال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل».

وقال ابن جرير<sup>(1)</sup>: حدثنا محمد بن بشار، أنبأنا وكيع، أنبأنا سفيان، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق قال: قال عبد الله . يعني ابن مسعود: «نعم ترجمان القرآن ابن عباس».

ثم رواه عن يحيى بن داود، عن إسحاق الأزرق، عن سفيان، عن الأعمش، عن مسلم بن صبيح؛ أبي الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود أنه قال: «نعم الترجمان للقرآن ابن عباس». ثم رواه عن بNDAR، عن جعفر بن عون، عن الأعمش به كذلك. فهذا إسناد صحيح إلى ابن مسعود أنه قال عن ابن عباس هذه العبارة.

وقد مات ابن مسعود في سنة ثلاث وثلاثين على الصحيح، وعمر بعده ابن عباس سنًا وثلاثين، فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود؟

وقال الأعمش عن أبي وائل: استخلف عليّ عبد الله بن عباس على الموسم، فخطب الناس، فقرأ في خطبته سورة البقرة . وفي رواية: سورة النور . ففسرها تفسيراً لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا.

(1) ابن جرير الطبري (224 - 310 هـ = 839 - 923 م)

محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى. له (أخبار الرسل والملوك - ط) يعرف بتاريخ الطبري، في 11 جزءاً، و (جامع البيان في تفسير القرآن - ط) يعرف بتفسير الطبري، في 30 جزءاً،...

ولهذا غالب ما يرويه إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير في تفسيره عن هذين الرجلين: ابن مسعود وابن عباس، ولكن في بعض الأحيان ينقل عنهم ما يحكونه من أقاويل أهل الكتاب التي أباحها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: «بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَن كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»<sup>(1)</sup>

ولهذا كان عبد الله بن عمرو قد أصاب يوم اليرموك زاملتين<sup>(2)</sup> من كتب أهل الكتاب فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك.

ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد فإنها على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به، ولا نكذبه، وتجاوز حكايته لما تقدم.

وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيرًا، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعدتهم، وعصا موسى من أي الشجر كانت؟ وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى، إلى غير ذلك مما أبهمه الله في القرآن مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم.

ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز، كما قال تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ

(1) رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو رقم الحديث (3461) المكتبة الشاملة.

(2) الزاملة في اللغة مؤنث الزامل، وهي ما يحمل عليه من كتب من الإبل وغيرها.

زاملتين - بمعنى - حمل بعير أو بعيرين كلها كتب من كتب أهل الكتاب.

بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا  
 ﴿الكهف:22﴾

فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام، وتعليم ما ينبغي في مثل هذا، فإنه تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال، ضعَّف القولين الأولين، وسكت عن الثالث، فدل على صحته، إذ لو كان باطلاً لردّه كما ردهما، ثم أرشد إلى أن الاطلاع على عدتهم لا

طائل تحته، فيقال في مثل هذا: ﴿قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾ فإنه ما يعلم بذلك إلا قليل من الناس ممن أطلعه الله عليه؛ فلهذا قال: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا﴾ أي: لا تُجهد نفسك فيما لا طائل تحته، ولا تسألهم عن ذلك، فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب.

فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف: أن تستوعب الأقوال في ذلك المقام، وأن يُنبه على الصحيح منها، ويبطل الباطل، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته؛ لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته، فيشتغل به عن الأهم، فأما من حكى خلافاً في مسألة ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص؛ إذ قد يكون الصواب في الذي تركه، أو يحكي الخلاف ويطلقه، ولا ينبه على الصحيح من الأقوال، فهو ناقص أيضاً، فإن صحَّ غير الصحيح عامداً فقد تعدد الكذب، أو جاهلاً فقد أخطأ.

كذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته، أو حكى أقوالاً متعددة لفظاً ويرجع حاصلها إلى قول أو قولين معنئاً، فقد ضيَّع الزمان، وتكثَّر بما ليس بصحيح، فهو كلابس ثوبي زور، والله الموفق للصواب.

إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين؛ كمجاهد بن جبر، فإنه كان آية في التفسير؛ كما قال محمد بن إسحاق: حدثنا أبان بن صالح، عن مجاهد قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها.

وعن قتادة قال: ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئاً.

وقال مجاهد: لو كنتُ قرأت قراءة ابن مسعود لم أحتج أن أسأل ابن عباس عن كثير من القرآن مما سألت.

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب قال: حدثنا طلق بن غنام، عن عثمان المكي، عن ابن أبي مليكة قال: رأيت مجاهدًا سأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواح، قال: فيقول له ابن عباس: اكتب حتى سأله عن التفسير كله، ولهذا كان سفيان الثوري يقول: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به.

وكسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح<sup>(1)</sup>. والحسن البصري<sup>(2)</sup>، ومسروق بن الأجدع<sup>(3)</sup>، وسعيد بن المسيب<sup>(4)</sup>، وأبي العالية، والربيع بن أنس، وقتادة<sup>(5)</sup>، والضحاك<sup>6</sup> بن مزاحم، وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم.

---

**(1)** ابن أبي رباح (27 - 114 هـ = 647 - 732 م): عطاء بن أسلم بن صفوان: تابعي، من أجلاء الفقهاء.

كان عبداً أسود. ولد في جند (باليمن) ونشأ بمكة فكان مفتي أهلها ومحدثهم، وتوفي فيها.

**(2)** الحسن البصري (21 - 110 هـ = 642 - 728 م): الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان

إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد بالمدينة، وسكن البصرة. وله كلمات سائرة وكتاب في (فضائل مكة - خ) بالأزهرية. توفي بالبصرة.

**(3)** مسروق بن الأجدع (000 - 63 هـ = 683 - 000 م): مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي،

أبو عائشة: تابعي ثقة، من أهل اليمن. قدم المدينة في أيام أبي بكر. وسكن الكوفة. وشهد حروب علي. وكان أعلم بالفتيا من شريح، وشريح أبصر منه بالقضاء.

**(4)** سعيد بن المسيب (13 - 94 هـ = 634 - 713 م): سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي

القرشي، أبو محمد: سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة. جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، وكان يعيش من التجارة بالزيت، لا يأخذ عطاء. وكان أحفظ الناس لأحكام عمر ابن الخطاب وأفضيته، حتى سمي راوية عمر. توفي بالمدينة.

**(5)** قتادة بن دعامة (61 - 118 هـ = 680 - 737 م): قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب

السدوسي البصري: مفسر حافظ ضرير أكمه. قال الإمام أحمد ابن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة. وكان مع علمه بالحديث، رأساً في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب. وكان يرى القدر، وقد يدلس في الحديث. مات بواسط في الطاعون .

**(6)** الضحاك بن مزاحم (000 - 105 هـ = 723 - 000 م)

الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني، أبو القاسم: مفسر. كان يؤدب الأطفال. ويقال: كان في مدرسته ثلاثة آلاف صبي. قال الذهبي: كان يطوف عليهم، على حمار!. له كتاب في (التفسير) توفي بخراسان.

فتذكر أقوالهم في الآية فيقع في عباراتهم تباين في الألفاظ يحسبها من لا علم عنده اختلافًا فيحكيها أقوالاً وليس كذلك، فإن منهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو نظيره، ومنهم من ينص على الشيء بعينه، والكل بمعنى واحد في كثير من الأماكن، فليتنظن اللبيب لذلك، والله الهادي.

وقال شعبة بن الحجاج وغيره: أقوال التابعين في الفروع ليست حجة فكيف تكون حجة في التفسير؟ يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم، وهذا صحيح، أما إذا أجمعوا على الشيء فلا يُرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض، ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن، أو السنة، أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة في ذلك.<sup>(1)</sup>

### تفسير القرآن بأقوال الصحابة:

بين شيخ الإسلام في هذا الفصل بعض مسائل تتعلق بتفسير الصحابة<sup>(2)</sup>، ويمكن إجمالها

فيما يأتي:

- 1 - سبب الرجوع إلى تفسير الصحابة.
- 2 - من اشتهر بالتفسير من الصحابة.
- 3 - الإسرائيليات في تفسير الصحابة، وهذا الموضوع قد تمّ بسطه سابقاً، فلا حاجة لنقاش هذه المسألة هنا.

### أولاً: سبب الرجوع إلى تفسير الصحابة:

ذكر في هذا الموضوع الأسباب باقتضابٍ شديد؛ لأنه لا يكاد يوجد خلاف بين علماء المسلمين في الرجوع إلى تفسير الصحابي، وبعض ما يُكتب من الخلاف نظرياً يخالفه واقع التطبيق.

(1) الكلام لابن تيمية من كتاب شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية المؤلف مساعد الطيار ص 253 - 260.

(2) ينظر في تفسير الصحابة للقرآن فصول في أصول التفسير (ص: 30 . 34)، ومقالات في علوم القرآن وأصول التفسير (ص: 152 . 170)، وتفسير الصحابة للدكتور عبد الله أبو السعود بدر، نشر دار ابن حزم.

ومنزلة الصحابة في الإسلام مما استقرَّ عند المسلمين، ولا يخالف فيها إلا من في قلبه مرض، ولذا لم يُطل شيخ الإسلام في هذا الطريق ولا في الذي قبله، لأنها من أصول المسلمين، بخلاف اليوم الذي ظهر فيه من يستنكر هذه الأصول، ويطعن في الثابت، أسأل الله العافية.

وقد أشار شيخ الإسلام<sup>(1)</sup> إلى بعض أسباب الرجوع إلى تفسير الصحابي بقوله: «وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدري بذلك لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التي اختلفوا بها؛ ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح»، هي:

1 - مشاهدة النُّزول، وتلك خصيصة لا يمكن أن تكون لغيرهم، والذي يحضر هذه التنزلات يدرك ما لا يدركه من لم يكن شاهداً.

يقول الشاطبي . في حجية بيان الصحابة للقرآن .: «وأما الثاني: مباشرتهم للوقائع والنوازل، وتنزيل الوحي بالكتاب والسنة، فهم أقعد في فهم القرائن الحالية، وأعرف بأسباب النُّزول، ويدركون ما لا يدركه غيرهم بسبب ذلك، والشاهد يرى ما لا يراه الغائب. فمتى جاء عنهم تقييد بعض المطلقات، أو تخصيص بعض العمومات، فالعمل عليه على الصواب، وهذا إن لم يُنقل عن أحدهم خلاف في المسألة، فإن خالف بعضهم فالمسألة اجتهادية»<sup>(2)</sup>.

### (1) ابن تيمية (661 - 728 هـ = 1263 - 1328 م)

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام. ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. وطلب إلى مصر فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة 712 هـ واعتقل بها سنة 720 وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلاً بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته. كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين. آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان. وفي الدرر الكامنة أنه ناظر العلماء واستدل وبرع في العلم والتفسير وأفتى ودرّس وهو دون العشرين. أما تصانيفه ففي الدرر أنها ربما تزيد على أربعة آلاف كراسة، وفي فوات الوفيات أنها تبلغ ثلاث مئة مجلد، منها (الجوامع - ط) في السياسة الإلهية والآيات النبوية، ويسمى (السياسة الشرعية) و (الفتاوى - ط) خمس مجلدات... (2) الموافقات. تحقيق: مشهور آل سلمان (4:128).

وهذه مسألة عقلية لا يدخلها إلا الجدل السفسطي<sup>(1)</sup>، فلو افترضت ملكًا له مستشارون هم من خاصته، ألا يكونون أعلم بأحواله وبإشارته وبأوامره من غيرهم، فإذا كان الأمر كذلك، كان الرجوع إليهم لمعرفة أمور الملك مما يتحتم.

وكذا لو تُصوّر عالمٌ له طلابٌ اختصوا به، وتلقوا على يده العلم، ولازموه ملازمة طويلة، فكتب لهم في العلم كتابًا، فإنهم أدرى بأسرار هذا الكتاب من غيرهم، لما لهم من المشاهدة لحال شيخهم، ومعرفتهم بطريقته.

فإذا كان ذلك أمرًا عقليًا بدهيًا، فكيف يعترض معترض على صحة الرجوع إلى تفسير الصحابة، أو يطعن طاعن في فهمهم لكتاب الله، ومعرفتهم به، مع ما عُرف عن بعضهم من الخلوص لهذا الكتاب والاعتناء به.

2 - الأحوال التي اختصوا بها، وهذه الأحوال . كما ترى . مجملة، وهي تشتمل على حالين:

الأولى: الأحوال التي لا يشاركون فيها غيرهم بسبب رؤيتهم للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه ترجع إلى موضع مشاهدة التنزيل، ومعرفة أحوال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتشكّل لهم بذلك أحوالًا خاصّةً لا يشاركون فيها غيرهم، والشاهد يدرك من الأحوال ما لا يدركه الغائب، فإنّ للمشاهدة أثرًا لا يدركه غير المشاهد، ويظهر هذا في طلاب العلم الذين يتلقون العلم في حلق العلم، فيأخذون عن الشيخ مباشرة، حيث يتأثرون به حتى قد يبلغ التأثر بطريقة كلامه وعرضه للدرس.

أما من يأخذه من طريق الكتب أو الأشرطة فإنه لا يدرك هذه المشاهدة التي اختص بها المشاهد.

الثانية: الأحوال المشتركة التي شاركهم فيها غيرهم ممن جاء بعدهم، لكن من بعدهم أقل شأنًا منهم.

ومعرفة هذه الأحوال يُرجع فيها إلى سيرة الصحابة الكرام، لمعرفة علومهم وآثارهم في العلم، فمن قرأ في علومهم ظهر له من هذه الأحوال الشيء الكثير.

(1) فن الجدل والحرص على الغلبة دون التزام بالحق والفضيلة، وأصبحت مرادفة لكلمتي الخداع والتضليل

3 - الفهم التام والعلم الصحيح، وهذا ظاهر باستقراء علمهم، وتتبع دقيق فهمهم، وتلك أيضاً من آثار مشاهدة التنزيل، ومعرفة أحوال النبي صلى الله عليه وسلم، ومعاشرته، والأخذ عنه مباشرة، مع ما لهم من العلم بلغتهم، والاستعداد الفطري للعلم والتعلم.

### تفسير القرآن بأقوال التابعين<sup>(1)</sup>:

طَرَقَ شيخ الإسلام في هذا الموضوع سبب الرجوع إلى تفسير التابعين، وهو رجوع كثير من الأئمة إلى تفسيرهم، وهذا . بلا شك . سبب أكيد، ويضاف إليه ثلاثة أمور:

1 - تلقيهم العلم على يد الصحابة الذين شاهدوا التنزيل، وعرفوا أحوال من نزل فيه الخطاب، وتلقوا علمهم عن النبي صلى الله عليه وسلم.

2 - خلوصهم من البدع والأهواء، فلم يكونوا شيعاً وأحزاباً، بل كانوا متفقين على أصول أهل السنة والجماعة التي أرساها الصحابة.

وقد نشأ عن ذلك سبب ثالث، وهو:

3 - ائتلاف أقوالهم، وقلة الاختلاف في التفسير بالنسبة لمن جاء بعدهم، وهذا يرجع إلى ما ذكره شيخ الإسلام بقوله: «ولهذا كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلاً جداً، وهو وإن كان في التابعين أكثر منه في الصحابة، فهو قليل بالنسبة لمن جاء بعدهم، وكلما كان العصر أشرف كان الاجتماع والائتلاف والعلم والبيان فيه أكثر».

4 - عدم فساد أسنتهم بالعجمة، فكانوا في وقت الاحتجاج اللغوي، بل بعضهم كان من الحُجَجِ اللغوية التي يُرجع إلى قولهم في بيان كلام العرب.

### طبقات مفسري السلف بعد الصحابة:

ذكر شيخ الإسلام عدداً من علماء التابعين من المفسرين، وهم . حسب ورودهم عنده . مجاهد بن جبر (ت:104)، وسعيد بن جبير (ت:95)، وعكرمة (ت:105)، ومسروق بن الأجدع

(1) ينظر: في تفسير القرآن بأقوال التابعين: فصول في أصول التفسير (ص: 39 . 40)، وكتاب تفسير التابعين

عرض ودراسة ومقارنة، للدكتور محمد بن عبد الله بن علي الخضير، نشر دار الوطن.

(ت:63)، وسعيد بن المسيب (ت: بعد 90)، وأبو العالية (ت:93)، والربيع بن أنس (ت:139)، وقتادة (ت:117)، والضحاك بن مزاحم (ت:105).

وبعد ذكره لهم ألحق بهم غيرهم من التابعين ممن لم يذكرهم، وأتباع التابعين، ومن بعد أتباع التابعين. والذي يرجع في التفسير المدون عن السلف يجد أن المنقول يقف عند طبقة أتباع التابعين على رأس المائتين تقريباً، وأما من جاء بعدهم من أتباع أتباع التابعين، فإنه قد كان ناقلاً للتفسير، ولم يكن في عهدهم إلا أقوال مفردة لبعض العلماء، وهي معتمدة على أقوال هذه الطبقات الثلاث.

### عبارات السلف في التفسير:

ذكر أن السلف قد يقع في عباراتهم في تفسير الآية تباين في الألفاظ يحسبها من لا علم عنده اختلافاً فيحكيها أقوالاً وليس كذلك، وذكر أن تعبيراتهم قد تكون:

بالتعبير عن الشيء بلازمه، أو التعبير عنه بنظيره، ومنهم من ينص على الشيء بعينه.

### واللازم نوعان:

الأول: أن يكون لازماً للفظ من جهة المدلول اللغوي، ويدخل في ذلك التنبيه على جزء المعنى عندما يكون اللفظ مشتملاً على أجزاء من المعاني لا يطلق عليه لأجل أحدها بل لوجودها كلها؛ كالإذن يستلزم العلم، إذ كيف يأذن بما لا يعلم، وليس الإذن مجرد العلم فقط، بل هو علمٌ مع إباحة.

الثاني: لازم للمعنى المراد، وفي هذا يشترك مدلول اللفظ مع المعنى السياقي المراد فيتكون منها المعنى الجملي، ومن ذلك تفسير ابن جريج (ت:150) لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:49]

قال: «يسترقون نساءكم»<sup>(1)</sup>. فتعبيره هذا تفسير بلازم المعنى السياقي، إذ هم يستبقونهن أحياء

ليكن رقيقات حال كونهن نساءً.

(1) تفسير الطبري، تحقيق: شاکر (2:46).

وهذا الاختلاف لا يكون اختلافاً محققاً، بل هو يرجع إلى معنى واحد في النهاية.

ويمكن أن يضاف إلى تعبيرات السلف التفسير بالمثال، وتفسير اللفظ بما يقارب معناه نوعان داخلان في طرق السلف في التعبير عن التفسير.

كما يضاف إليها طريقتين في تعبيرهم، وهي: أن يذكروا بعض صفات المفسر أو أن يذكروا بعض أنواعه، قال: «... ثم قول من قال من السلف: هادي السموات والأرض، لا يمنع أن يكون في نفسه نوراً، فإن عادة السلف في تفسيرهم أن يذكروا بعض صفات المفسر من الأسماء أو بعض أنواعه، ولا ينافي ذلك ثبوت بقية الصفات المسمى، بل قد يكونان متلازمين، ولا دخول لبقية الأنواع فيه، وهذا قرناؤه غير مرة في القواعد المتقدمة، ومن تدبره علم أن أكثر أقوال السلف في التفسير متفقة غير مختلفة»<sup>(1)</sup>.

وشيخ الإسلام لم يوضح مراده بهذه المصطلحات، ولا ذكر لها أمثلة توضّحها، ويمكن إجمال هذه التعبيرات فيما يأتي:

1 - بالتعبير عن الشيء بلزومه.

2 - أو التعبير عنه بنظيره.

يحتمل قوله بنظيره بما يشبهه من بعض الوجوه دون بعض، وإذا كان كذلك، فهو يدخل في

رقم (6) الآتي ذكره.

3 - ومنهم من ينص على الشيء بعينه.

4 - أن يذكروا بعض صفات المفسر من الأسماء.

5 - أو بعض أنواعه.

6 - تفسير اللفظ بما يقارب معناه.

7 - التفسير بالمثال.

حجية قول التابعين في التفسير:

(1) تفسير سورة النور، لابن تيمية، نشر دار الوعي بحلب (ص:192).

ذكر شيخ الإسلام قول شعبة بن الحجاج<sup>(1)</sup> (ت:160) في قبول قول التابعين في التفسير، وشرحه بأنها لا تكون حجة حال الاختلاف، فإذا وقع خلاف بين مجاهد (ت:104)، وعكرمة (ت:105)، فلا يكون قول مجاهد حجة على قول عكرمة، لأنه مجاهد (ت:104)، ولا العكس. وهذا التنظير ينطبق على تفسير الصحابة أيضًا، فليس اختيار القول لأنه قول ابن عباس (ت:68) مع وجود المخالف له من الصحابة، وهكذا غيره من الصحابة. لكن إذا اتفقوا على قول كان حجةً لأجل منزلة الإجماع وحُجِّيته، كما لو أجمع الصحابة على قول.

ومن جاء بعدهم فله أن يقول بقول الواحد منهم، لكن اختياره لأحد أقوالهم ليس حجة على القول الثاني، فيسقطه بسبب أنه اختار قول فلان منهم. وإذا لم يرد التفسير إلا عن الواحد منهم، فالأصل قبوله، ما لم يظهر عليه ما يوجب عدم ذلك، وقوله . في مثل هذا الحال . مقدّم على قول من بعده، وعلى هذا المنهج سار إمام المفسرين ابن جرير الطبري (ت:310) حيث يعتمد . في بعض الأحيان . على قول الواحد من التابعين، بل على قول الواحد من أتباع التابعين، إذا لم يكن في الآية إلا قول الواحد منهم. والاعتراض على رأيهم لا يخلو من حالين:

الأولى: أن يكون الاعتراض اعتراضًا علميًا مقتنعًا، بحيث يكون مبنياً على أصول علمية معتبرة، وهذا يجوز الاعتداد به عند الاختلاف، مع ملاحظة أن بعض الاعتراضات . مع ما فيها من أسلوب علمي معتبر . قد تقصُر عن فهم تفسير السلف، ويقع الاعتراض في غير محلّه. الثانية: أن يكون الاعتراض مبنياً على مذهب غير معتبر، ورأي مخالف لرأيهم، أو أن يكون عن علم ناقص، وذلك ما يصدر من بعض المعاصرين الذين لم يدركوا مرامي كلام السلف، كما يقع لبعض من يتعاطون الإعجاز العلمي، فيقع منهم الاعتراض أو التثريب على السلف.

(1) شُعْبَةُ بن الْحَجَّاج (82 - 160 هـ = 701 - 776 م)

شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي، مولاهم، الواسطي ثم البصري، أبو بسطام: من أئمة رجال الحديث، حفظاً ودراية وثبتاً. ولد ونشأ بواسط، وسكن البصرة إلى أن توفي. قال الشافعي: لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق. وكان عالماً بالأدب والشعر، قال الأصمعي: لم نر أحداً قط أعلم بالشعر من شعبة. له كتاب (الغرائب) في الحديث.

وإذا كان الاعتراض ممن هذه صفته، فإنه لا يُقبل؛ لأنه لم تكتمل فيه الشروط العلمية للردّ على الأقوال.

### مسألة في كيفية الترجيح بين أقوال التابعين:

الترجيح بين أقوال المفسرين<sup>(1)</sup> أوسع من الترجيح بين أقوال التابعين.

وما ذكره شيخ الإسلام هنا عربيٌّ عن الأمثلة، ويظهر أنّ كون هذه الرسالة صدرت عن إمام خلت في كثيرٍ من المواضع المهمة من الأمثلة، وقد ذكر في المرجع عند اختلاف التابعين، وأرجع الترجيح بين أقوالهم إلى أمور ثلاثة:

الأمر الأول: لغة القرآن والسنة، ويدخل في هذا نوعان:

الأول: الاستعمال القرآني؛ سواءً أكان أغليبيًا، أم كان مطردًا، والمطردُ يكون مصطلحًا قرآنيًا.

الثاني: المصطلح الشرعي، وهو الاستعمال الوارد للفظ في لغة الشارع، فيكون مبيّنًا ومرجّحًا، إذا وقع الاختلاف.

الأمر الثاني: عموم لغة العرب:

وفي هذا لا يعني أنّ التابعين وأتباعهم قد يفسرون بغير ما يُعرف من لغة العرب، لكنّ الأمر يمكن أن يُحمل على موضوعين في لغة العرب:

الأول: أن يكون القول المذكور هو الاستعمال المشهور للفظ، فيقدّم على غيره مما لا يتّصف بهذا مما يكون هو الأغرّب أو الأقل في الاستعمال.

الثاني: أن يكون الاشتقاق أليق بأحد الأقوال من غيره، فيقدّم هذا القول على غيره مما يبعد عن اشتقاق اللفظ.

الأمر الثالث: أقوال الصحابة:

وهذا المرجّح يفيد فيما يقع فيه الاختلاف من جهة مشاهدة النُزول على وجه الخصوص<sup>(2)</sup>،

فقول الصحابي في النزول مقدّم على قول غيره مطلقًا، إذ الشاهد الذي يرى ويروي أعلم بالحال من الغائب الذي يروي ولم يرَ.

(1) ينظر في الترجيح بين أقوال المفسرين كتاب: قواعد الترجيح عند المفسرين = للدكتور حسين الحربي.

أما إذا كان الأمر يرجع إلى الاجتهاد المعتمد على اللغة أو غيرها، فإنَّ عمل المفسرين على تقديم القول الصحيح، ولو كان في القول غير المختار صحابيًّا، وهذا يظهر باستقراء منهج المفسرين المعبرين أمثال ابن جرير الطبري (ت:310)، والنحاس<sup>(1)</sup> (ت:338)، وأبي المظفر السمعاني<sup>(2)</sup>، والبغوي<sup>(3)</sup>، وابن عطية<sup>(4)</sup> (ت:542)، والقرطبي (ت:661)، وابن كثير<sup>(5)</sup> (ت:771)، وغيرهم من المحققين.

«لله دَرُّ السلف، ما كان أوقفهم على المعاني اللطيفة التي يدأب المتأخرون فيها زمانًا طويلًا ويُفنون فيها أعمارهم، ثم غايتهم أن يحوموا حول الحمى»، وقد تميَّز تفسير السلف بأمر كثيرة، بل إنَّ تفسير كلِّ واحد منهم له سماتٌ خاصَّةٌ به، فأحيانًا يغلب الجانب الوعظي على أحدهم، وأحيانًا

#### (1) النَّحَّاسُ (000 - 338 هـ = 000 - 950 م)

أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، أبو جعفر النحاس: مفسر، أديب. مولده ووفاته بمصر. كان من نظراء نبطويه وابن الأنباري. زار العراق واجتمع بعلمائه. وصنف (تفسير القرآن) و (إعراب القرآن - خ)...

#### (2) أَبُو الْمُظَفَّر (000 - 615 هـ = 000 - 1218 م)

عبد الكريم بن منصور السَّمْعَانِي، أبو المظفر: من العلماء برجال الحديث. له "معجم" في تاريخهم، ثمانية عشر جزءًا.

#### (3) البَغَوِيُّ (436 - 510 هـ = 1044 - 1117 م)

الحسين بن مسعود بن محمد، الفراء، أو ابن الفراء، أبو محمد، ويلقب بمحيي السنَّة، البغوي فقيه، محدث، مفسر. نسبته إلى (بَغَا) من قرى خراسان، بين هراة ومرو. له (التهذيب - خ) في فقه الشافعية، و (شرح السنة - خ) في الحديث، و (الباب التأويل في معالم التنزيل - ط) في التفسير، توفي بمرو الروذ.

#### (4) ابن عَطِيَّة (481 - 542 هـ = 1088 - 1148 م)

عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، ابو محمد: مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة. عارف بالأحكام والحديث، له شعر. ولي قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملمثين. وتوفي بلورقة. له (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - خ) في عشر مجلدات، و (برنامج - خ) في خزانة الرباط (المجموع 1301 ك) في ذكر مروياته وأسماء شيوخه. وقيل في تاريخ وفاته سنة 541 و 546.

#### (5) ابن كَثِير (701 - 774 هـ = 1302 - 1373 م)

إسماعيل بن عمر (2) بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصري ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة 706 هـ ورحل في طلب العلم. وتوفي بدمشق. من كتبه (البداية والنهاية - ط) 14 مجلدا في التاريخ و (تفسير القرآن الكريم - ط) عشرة أجزاء...

يغلب الجانب الفقهي، وأحياناً يغلب تنزيل الآيات على الواقع ومعالجتها له، وغير ذلك من ميزات بحاجة إلى رصد وتتبع وتحليل.

ولكن لو نظرنا نظرة كلية إلى أبرز الملامح التي اشتركوا فيها عموماً وتميزوا بها عمّن بعدهم، فيمكن تلخيص ذلك في النقاط الآتية:

1. جزالة اللفظ مع اتساع المعنى.
2. العناية بالمعنى الإجمالي دون الخوض في التفاصيل.
3. العناية بالمعنى السياقي للآية.
4. قلة العناية بالمعنى اللغوي للآية.
5. سهولة الصياغة وقلة استخدام الألفاظ الغريبة.
6. العناية بملايسات الآية والأحداث التي احتقت بها عند نزولها.
7. استخدام أساليب عديدة لتقريب المعنى؛ نحو أسلوب السؤال، والتكرار، والخطاب، والقسم، والأمر، والتقسيم، والتوكيد، والتمثيل بالأشياء المحسوسة، وغير ذلك من الأساليب التي يمكن تتبعها ودراستها.

تكمن أهمية الإرث التفسيري لجيل السلف في جانبين رئيسين؛ الجانب الأول يتعلق بالحقبة الزمنية التي عاشوا فيها، والجانب الثاني يتعلق بأشخاصهم.

أما الجانب المتعلق بالحقبة الزمنية، فقد خُصّوا بخصائص فريدة لم يشاركهم فيها غيرهم، وإنما مثلهم ومثل من جاء بعدهم كما قال الشاعر:

نزلوا بمكة في قبائل نوفل      ونزلت بالبيداء أبعد من نزل<sup>(1)</sup>

وتتمثل هذه الخصائص عند طبقة الصحابة -رضي الله عنهم- في أمور، منها: وجودهم في عهد النبوة وزمن نزول الوحي، وشهودهم تنزلات القرآن على النبي ﷺ ومعايشتهم للأحداث التي نزل فيها، ومعرفتهم بأحوال من نزل فيهم القرآن.

(1) البيت لعمر بن أبي ربيعة الرابط: <https://www.aldiwan.net/poem41827.html>

وتتمثل هذه الميزات أيضاً عند طبقة التابعين في قُرْبهم من زمن الوحي، وأخذهم للتفسير عن الصحابة -رضي الله عنهم-، ونقلهم لهذه الأحوال عن الصحابة -رضي الله عنهم-؛ وكذا عند طبقة أتباع التابعين في نقلها عن التابعين.

وأما الجانب المتعلق بأشخاص السلف عموماً فيتمثل في أمور، منها: سلامة صدورهم، وحسن قصدهم وفهمهم، ومعرفتهم باللغة التي نزل بها القرآن، وعدم وجود التعصبات المذهبية وأتباع الهوى عندهم، وقلة الخلافات الحقيقية بينهم لصدورهم جميعاً في التفسير والبيان من منبع واحد؛ فمصادرهم واحدة، وقصدهم واحد.

هذه المسألة في الحقيقة مهمة جداً، ومن المعلوم أن الاحتجاج بفهم السلف مسألة قديمة، تشكلت منذ عصر الصحابة -رضي الله عنهم- وتتأقلمها العلماء والأئمة عبر القرون،

وجاءت في ذلك آثار عديدة؛ ومن ذلك قول عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: «إن الله -جل وعلا- نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد -صلى الله عليه وسلم- خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد -صلى الله عليه وسلم-، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيّه، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسناً؛ فهو عند الله حسنٌ، وما رأوا سيئاً؛ فهو عند الله سيئٌ»، وقال عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- في مناظرته للخوارج: «أتيتكم من عند أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ المهاجرين والأنصار، ومن عند ابن عم النبي -صلى الله عليه وسلم-، وعليهم نزل القرآن؛ فهم أعلم بتأويله منكم»، وغير ذلك من آثار عديدة يطول ذكرها، وهي موجودة في مظانها لمن تتبعها.

وذهب العلماء في بيان المقصود بهذه الآثار إلى أن الفهم الصحيح للكتاب والسنة هو الفهم الذي اتفق عليه السلف جميعاً وأجمعوا عليه، لا ما ذهب إليه أفرادهم، وأن كل فهم يخالف ما أجمع عليه السلف فهو فهم خاطئ، وحكموا على من خالف إجماعهم بالضلال والانحراف، فهذه قاعدة جليّة وعظيمة.

وتفسير القرآن تشمله هذه القاعدة التي ضبط العلماء بها فهم هذه الآثار، ولكن عند التأمل يقف الناظر على آثار أخرى تدعو للتأمل في كتاب الله -عز وجل-، وتدلل على أن له وجوهاً أخرى يفقهها المرء حسبما حباه الله من العلم والفهم في كتابه، ومن ذلك ما قاله أبو جحيفة السوائي -رضي الله عنه- لعلي بن أبي طالب -رضي الله عنه- يوماً: «هل عندكم شيء مما ليس في

القرآن؟ -أو: ما ليس عند الناس؟- فقال له عليٌّ رضي الله عنه:- والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن، إلا فهمًا يُعطى رجلٌ في كتابه، وما في الصحيفة. قال: وما في الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يُقتل مسلم بكافر»، وقال أبو الدرداء رضي الله عنه:- «لا تفقه كلُّ الفقه حتى ترى للقرآن وجوهًا كثيرة»، وغير ذلك من النصوص الواردة بالحثّ على تثوير القرآن، واحتمالية استخراج وجوه أخرى منه، وهذه النصوص بحاجة إلى جمع وتدبر.

وبناءً على ذلك فإذا كان القول الجديد في التفسير معتبرًا ولكنه يناقض ويُبطل إجماع السلف واتفاقهم؛ فلا يصح القول به، أمّا إذا كان معتبرًا ولم يناقض ويبطل إجماع السلف واتفاقهم؛ فلا بأس بالقول به.

وقد أشار الطبري (ت: 310هـ) إلى هذا في مقدمة تفسيره، فقال: «فأحقُّ المفسرين بإصابة الحقِّ في تأويل القرآن الذي إلى علم تأويله للعباد السبيلُ =أوضحهم حُجة فيما تأوّل وفسّر... كائنًا من كان ذلك المتأوّل والمفسّر، بعد أن لا يكون خارجًا تأويله وتفسيره ما تأوّل وفسّر من ذلك عن أقوال السلف من الصحابة والأئمة والخلف من التابعين وعلماء الأمة».<sup>(1)</sup>

قال شيخ الإسلام رحمه الله في الفتاوى<sup>(2)</sup>: (وقد تبين بذلك أنّ من فسّر القرآن أو الحديث وتأوّلَهُ على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين فهو مُفترٍ على الله مُلحدٌ في آياتِ الله مُحرّفٌ للكلم عن مواضعه وهذا فتحٌ لباب الزندقة والإلحاد وهو معلومُ البطلان بالاضطرار من دين الإسلام).

وقال في (مقدمة التفسير): من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك، كان مخطئاً في ذلك، بل مبتدعاً، وإن كان مجتهداً مغفوراً له خطؤه، ثم قال: فمن خالف قولهم وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم، فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعاً

(1) مقتبس من حوار مع الدكتور عبد الرحمن المشد على موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية، عنوان الحوار (تفسير السلف مفهومه وأهميته وبعض القضايا المتعلقة به).

(2) الفتاوى (13/243)

3- وقال<sup>(1)</sup>: وَأَمَّا إِنْ أَرَادَ بِإِجْرَائِهِ عَلَى الظَّاهِرِ الَّذِي هُوَ الظَّاهِرُ فِي عُرْفِ سَلَفِ الأُمَّةِ لَا يُحَرَّفُ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَلَا يُلْحَدُ فِي أَسْمَاءِ اللّهِ تَعَالَى وَلَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ بِمَا يُخَالِفُ تَفْسِيرَ سَلَفِ الأُمَّةِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ؛ بَلْ يَجْرِي ذَلِكَ عَلَى مَا اقْتَضَتْهُ التُّصَوُّصُ وَتَطَابَقَ عَلَيْهِ دَلَائِلُ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ فَهَذَا مُصِيبٌ فِي ذَلِكَ وَهُوَ الْحَقُّ. وَهَذِهِ جُمْلَةٌ لَا يَسَعُ هَذَا المَوْضِعُ تَفْصِيلَهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قال ابن القيم<sup>(2)</sup> عن تفسير الصحابة<sup>3</sup>: هم أعلم الأمة بمراد الله عز وجل من كتابه فعليهم نزل وهم أول من خوطب به من الأمة وقد شاهدوا تفسيره من الرسول ﷺ علماً وعملاً وهم العرب الفصحاء على الحقيقة فلا يعدل عن تفسيرهم ما وجد إليه سبيل . ا.هـ.<sup>(4)</sup>

(1) المصدر نفسه (13/380)

(2) ابن قيم الجوزية، (691 - 751 هـ = 1292 - 1350 م)، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرعيّ، الدمشقيّ، مولده ووفاته في دمشق. تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شئ من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه. وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه، وطيف به على جمل مضروبا بالعصى. وأطلق بعد موت ابن تيمية. وكان حسن الخلق محبوبا عند الناس، أغري بحب الكتب، فجمع منها عددا عظيما، وألف تصانيف كثيرة منها (إعلام الموقعين - ط) و (إغاثة اللهفان - ط) (3) إغاثة اللهفان 3 (1-240)

(4) مقتبس من مقال بعنوان كلام شيخ الإسلام حول الرجوع إلى تفسير السلف من موقع ملتقى أهل التفسير.

## المبحث الثاني

### قواعد التفسير

#### قواعد التفسير:

القواعد هي: الأمور الكلية المنضبطة التي يستخدمها المفسر في تفسيره، ويكون استخدامه لها إما ابتداءً، ويبني عليها فائدة في التفسير، أو ترجيحاً بين الأقوال<sup>(1)</sup>.

ويمكن استنباط هذه القواعد من كتب التفسير، وكتب اللغة، والبلاغة، والأصول. وتنقسم هذه القواعد إلى قسمين: القواعد العامة، والقواعد الترجيحية، وبينهما تداخل ظاهر عند التأمل.

#### أولاً: القواعد العامة

المراد بهذه القواعد: القواعد التي يمكن أن يعملها المفسر عندما يفسر آية من القرآن. ويبدو على بعض هذه القواعد أنها بمثابة الفوائد، ومنها ما يكون لغوياً، ومنها ما يكون أصولياً، ومنها ما يكون بلاغياً...

1 - قال ابن القيم: «المعهود من ألفاظ القرآن أنها تكون دالة على جملة معان»<sup>(2)</sup>.

2 - قال الشنقيطي: «تقرّر عند العلماء أن الآية إن كانت تحتل معاني كلها صحيح تعيّن حملها على الجميع، كما حققه بأدلة الشيخ تقي الدين أبو العباس ابن تيمية في رسالته في علوم القرآن»<sup>(3)</sup>.

3 - ما أبهم في القرآن فلا فائدة في بحثه.

قال الشنقيطي: «ففي القرآن العظيم أشياء كثيرة لم يبينها الله لنا ولا رسوله، ولم يثبت في بيانها شيء، والبحث عنها لا طائل تحته ولا فائدة فيه»<sup>(1)</sup>.

(1) يرجع في هذه القواعد إلى كتاب الدكتور حسين الحربي «قواعد الترجيح عند المفسرين» وكتاب الدكتور خالد السبب «قواعد التفسير».

(2) جلاء الأفهام (ص308).

(3) أضواء البيان (124/3)؛ وانظر: التحرير والتنوير (93/1، 100).

4 - إذا عرف تفسير القرآن من جهة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا حاجة إلى قول من بعده<sup>(2)</sup>.

5 - قول الصحابة مقدم على غيرهم في التفسير، وإن كان ظاهر السياق لا يدل عليه؛ لأنهم أعلم بمعاني القرآن، والسبب الذي فيه نزل، وما أريد به.

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِءَ وَشَهِدَ شَهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِءَ فَمَأْمَنَ وَأَسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأحقاف:10]

قال مسروق: والله ما نزلت في عبد الله بن سلام، وما نزلت إلا بمكة، وما أسلم عبد الله إلا بالمدينة، ولكنها خصومة خاصم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها قومه، قال فنزلت: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِءَ وَشَهِدَ شَهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِءَ فَمَأْمَنَ وَأَسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأحقاف:10]

قال: فالتوراة مثل القرآن، وموسى مثل محمد ﷺ فأمنا بالتوراة وبرسولهم، وكفرتم به. وقال سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن سلام وابن عباس: الشاهد عبد الله بن سلام، وبه قال مجاهد، وقتادة، والضحاك، والحسن، وابن زيد.

قال الطبري: «والصواب من القول في ذلك عندنا أن الذي قاله مسروق في تأويل ذلك أشبه بظاهر التنزيل؛ لأن قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِءَ وَشَهِدَ شَهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِءَ فَمَأْمَنَ وَأَسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأحقاف:10]

في سياق توبيخ الله . تعالى ذكره . مشركي قريش احتجاجاً عليهم لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه الآية نظيرة سائر الآيات قبلها، ولم يجر لأهل الكتاب ولا لليهود قبل ذلك ذكر، فتوجه هذه الآية إلى أنها فيهم نزلت، ولا دلّ على انصراف الكلام عن قصص الذين تقدم الخبر عنهم معنى، غير أن الأخبار قد وردت عن جماعة من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن ذلك عني به عبد الله بن سلام وعليه أكثر أهل التأويل، وهم كانوا أعلم بمعاني القرآن، والسبب التي نزل فيه،

(1) أضواء البيان (43/4).

(2) التفسير الكبير لابن تيمية (119/1).

وما أريد به، فتأويل الكلام إذ كان ذلك كذلك، وشهد عبد الله بن سلام وهو الشاهد من بني إسرائيل على مثله، يعني على مثل القرآن، وهو التوراة، وذلك شهادته أن محمداً مكتوب في التوراة أنه نبيّ تجده اليهود مكتوباً عندهم في التوراة، كما هو مكتوب في القرآن أنه نبيّ<sup>(1)</sup>.

**6 -** إعراب القرآن ينبغي أن يكون على أفصح الوجوه، ولا يفسر بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي الذي يحتمله تركيب الكلام، ويكون الكلام به له معنى ما.

مثال: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:56]

ذكر ابن القيم قول من قال: إنه من باب حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه؛ كأنه قال: إن رحمة الله شيء قريب من المحسنين، ثم رد على هذا القول من وجوه وذكر أحدها، وهو: «أن الشيء أعم من المعلومات، فإنه يشمل الواجب والممكن، فليس في تقديره ولا في اللفظ به زيادة فائدة يكون الكلام بها فصيحاً بليغاً، فضلاً عن أن يكون بها في أعلى مراتب الفصاحة والبلاغة، فأى فصاحة وبلاغة في قول القائل في حائض وطامث وطالق: شيء حائض، وشيء طامث، وشيء طالق؟ وهو لو صرح بهذا لاستهجنه السامع. فكيف يقدر في الكلام مع أنه لا يتضمن فائدة أصلاً؟»

إذ كونه شيئاً أمر معلوم عام لا يدل على مدح ولا ذم، ولا كمال ولا نقصان.

وينبغي أن يتفطن ههنا لأمر لا بد منه، وهو أنه لا يجوز أن يحمل كلام الله عزّ وجل ويفسر بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي الذي يحتمله تركيب الكلام، ويكون الكلام به له معنى ما، فإن هذا مقام غلط فيه أكثر المعربين للقرآن، فإنهم يفسرون الآية ويعربونها بما يحتمله تركيب تلك الجملة، ويفهم من ذلك التركيب أي معنى اتفق، وهذا غلط عظيم يقطع السامع بأن مراد القرآن غيره، وإن احتمل ذلك التركيب هذا المعنى في سياق آخر وكلام آخر، فإنه لا يلزم أن يحتمله القرآن، مثل قول بعضهم في قراءة من قرأ: ﴿وَأَنْقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:1] بالجر: إنه قسم. ومثل قول بعضهم في قوله تعالى: ﴿وَصَدُّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرُ بِهِءَ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة:217] إن المسجد مجرور بالعطف على الضمير

المجرور في به، ومثل قول بعضهم في قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الرِّسْحُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ  
وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ  
وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 162]

إن {المقيمين} مجرور بواو القسم. ونظائر ذلك أضعاف أضعاف ما ذكرنا، وأوهى بكثير؛ بل  
للقرآن عرف خاص ومعان معهودة لا يناسبه تفسيره بغيرها، ولا يجوز تفسيره بغير عرفه والمعهود  
من معانيه، فإن نسبة معانيه إلى المعاني كنسبة ألفاظه إلى الألفاظ، بل أعظم، فكما أن ألفاظه  
ملوك الألفاظ وأجلها وأفصحها، ولها من الفصاحة أعلى مراتبها التي يعجز عنها قدر العالمين،  
فكذلك معانيه أجل المعاني وأعظمها وأفخمها، فلا يجوز تفسيره بغيرها من المعاني التي لا تليق  
به، بل غيرها أعظم منها وأجل وأفخم، فلا يجوز حمله على المعاني القاصرة بمجرد الاحتمال  
النحوي الإعرابي.

فتدبر هذه القاعدة ولتكن منك على بال، فإنك تنتفع بها في معرفة ضعف كثير من أقوال  
المفسرين وزيفها، وتقطع أنها ليست مراد المتكلم تعالى بكلامه.

مثال آخر:

في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2]

قال أبو حيان: «وقد ركبوا وجوهاً من الإعراب في قوله: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى

لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2]

والذي نختاره منها أن قوله: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ [البقرة: 2]

جملة مستقلة من مبتدأ وخبر؛ لأنه متى أمكن حمل الكلام على غير إضمار ولا افتقار كان  
أولى أن يسلك به الإضمار والافتقار؛ وهكذا تكون عادتنا في إعراب القرآن لا نسلك فيه إلا الحمل  
على أحسن الوجوه وأبعدها من التكلف وأسوغها في لسان العرب، ولسنا كمن جعل كلام الله تعالى  
كشعر امرئ القيس وشعر الأعشى يُحمّله جميع ما يحتمله اللفظ من وجوه الاحتمالات، فكما أن

كلام الله من أفصح كلام فكذلك ينبغي إعرابه أن يحمل على أفصح الوجوه، هذا على أنما نذكر كثيراً مما ذكره لينظر فيه، فربما يظهر لبعض المتأملين ترجيح شيء منه<sup>(1)</sup>.

### قواعد في العموم:

أ. حذف المتعلق يفيد العموم النسبي<sup>(2)</sup>؛ أي: يفيد تعميم المعنى المناسب له، ويدخل في ذلك العموم ما كان سياق الكلام جاء من أجله، وهو فرد من أفراد هذا المعنى العام.

ومن أمثله قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183]

فالمتعلق بالفعل «تتقون» محذوف، ويمكن تقدير عدة متعلقات؛ مثل: تتقون الله، تتقون النار، تتقون المحارم<sup>(3)</sup>.

ب. إذا دخلت (ال) على الأوصاف، وأسماء الأجناس، فإنها تفيد استغراق من يشمله هذا الوصف أو الاسم.

مثال الوصف: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ إلى قوله:

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 35] يدخل في هذه الأوصاف كل ما تناوله معاني الإسلام، والإيمان، والقنوت، والصدق ... إلخ.

مثال اسم الجنس: قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: 2]

فيشمل البر جميع أنواع الخير، وتشمل التقوى كل ما يلزم اتقاؤه<sup>(4)</sup>.

ج. النكرة في سياق النفي، والنهي، والشرط، والاستفهام، تفيد العموم.

(1) البحر المحيط (36/1).

(2) لا يلزم أن حذف المتعلق يراد به العموم، بل له أغراض أخرى غير هذا.

(3) القواعد الحسان (ص46، 47)، وراجع: «إرشاد الفحول» (ص132).

(4) القواعد الحسان (ص9 - 13).

مثال سياق النفي: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: 19] يعم كل نفس، وكل شيء.

مثال سياق النهي: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 22] تشمل أي ند جعل الله.

مثال سياق الشرط: قوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: 53] تشمل أي نعمة عند العبد.

مثال سياق الاستفهام: قوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: 3] تشمل أي خالق غير الله<sup>(1)</sup>.  
د . المفرد المضاف يفيد العموم.

ومن أمثله قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: 11] وقوله: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: 34] فإنها تشمل كل نعمة أنعمها الله على عبده.

ومن أمثله: قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَحْدَةً كَلِمَةٍ بِالْبَصْرِ﴾ [القمر: 50] فالأمر، يشمل كل أمر كوني قدرتي<sup>(2)</sup>.  
هـ. الفعل المضارع إذا جُزم أو نُفي بـ (لا) فإنه يفيد العموم.

مثاله: قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنْفِقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: 195] قال الطاهر بن عاشور: «ووقوع فعل «تلقوا» في سياق النهي يقتضي عموم كل إلقاء باليد إلى التهلكة...»<sup>(3)</sup>.

(1) القواعد الحسان (ص13، 14)؛ وانظر: مذكرة أصول الفقه (ص106).

(2) القواعد الحسان (ص14).

(3) التحرير والتنوير (215/2).

و. ومن صيغ العموم وألفاظه الواردة في القرآن، وهي كثيرة:

كل، وجميع، وأجمعون، وكافة، ومن وما الشرطية والاستفهامية، والموصولة والمصدرية، والجمع المضاف، واسم الجمع، كالقوم، والذي، والتي ... إلخ.

فهذه الألفاظ إذا جاءت فإنها تدل على العموم، وذكر شواهدا يطول.

إنَّ المشددة المكسورة تفيد التعليل:

مثل قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْقُورًا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: 1]

والمعنى: اتقوا ربكم؛ لأن زلزلة الساعة شيء عظيم<sup>(1)</sup>.

الفاء تفيد التعليل:

مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ أَدَى فَأَعْتَزَلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: 222]

وقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: 38]

ففي الأولى: لعل كون المحيض أذى.

وفي الثانية: لعل سرقتهما<sup>(2)</sup>.

الجملة الاسمية تدل على الثبوت<sup>(3)</sup>.

الجملة الفعلية تدل على التجدد<sup>(4)</sup>. مثل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

يُنْفِقُونَ﴾ [الأنفال: 3].

قال الطاهر بن عاشور: «وجيء بالفعلين المضارعين في «يقيمون» و«ينفقون»، للدلالة على

تكرار ذلك وتجديده»<sup>(1)</sup>.

(1) أضواء البيان (14/5، 60).

(2) أضواء البيان (238/5).

(3) معترك الأقران (614/3)، حاشية محيي الدين شيخ زاده (31/1، 32).

(4) معترك الأقران (614/3)، حاشية محيي الدين شيخ زاده (31/1، 32).

مجيء الفعل الماضي بصيغة المضارع لإفادة تصوير الحال الواقع عند حدوث الحدث. مثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج:63].

قال الطاهر بن عاشور: «وإنما عبر عن مصير الأرض خضراء بصيغة «تصبح مخضرة» مع أن ذلك مفرع على فعل «أنزل من السماء ماء» الذي هو بصيغة الماضي؛ لأنه قصد من المضارع استحضار تلك الصورة العجيبة الحسنة»<sup>(2)</sup>.

فائدة اسم الموصول الدلالة على علية الحكم؛ أي: قرن الأمر بعلته.

فمثلاً، قوله تعالى: ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [سبأ:42]

علة القول لهم هو أنهم ظلموا.

وأخيراً؛ فهذه الأمثلة غيض من فيض، وبالمطالعة ستجد أكثر من هذه.

### ثانياً: القواعد الترجيحية:

المراد بالقواعد الترجيحية: القواعد التي نعملها عند الترجيح بين أقوال المفسرين.

ويكون استعمال هذه القواعد في حالتين:

الأولى: ترجيح أحد الأقوال على غيره.

الثانية: رد أحد الأقوال.

متى يكون الترجيح؟

التفسير المنقول إما أن يكون مجمعاً عليه، أو لا.

فإن كان مجمعاً عليه؛ فلا حاجة إلى الترجيح. والإجماعات في التفسير كثيرة، ومنها:

1 - تفسير اليوم الموعود بيوم القيامة في قوله تعالى: ﴿وَالْيَوْمَ الْمَوْعُودِ﴾ [البروج:2]<sup>(3)</sup>.

(1) التحرير والتنوير (260/9).

(2) التحرير والتنوير (318/17)، (40/10)؛ وانظر: روح المعاني (90/9).

(3) انظر: زاد المسير (216/8).

2 - تفسير المغضوب عليهم باليهود، والضالين بالنصارى<sup>(1)</sup>.

وإن كان مختلفاً فيه، فالاختلاف نوعان:

الأول: اختلاف تضاد: مثل تفسير قوله تعالى: ﴿يُجِدُّوْكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ [الأنفال:6]

قيل: المجادل هم المسلمون، وقيل: هم الكفار.

وفي مثل هذا النوع يعمل بقواعد الترجيح لبيان القول الصواب في الآية.

الثاني: اختلاف تنوع: وقد سبق بيان أمثلته.

وفي هذا النوع يعمل بقواعد الترجيح لبيان القول الأولى إن احتاج الأمر إلى ذلك وإن كانت

الآية تحتل المرجوح.<sup>(2)</sup>

هذا ما تيسر جمعه في قواعد التفسير.

---

(1) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (23/1)؛ النكت والعيون (61/1).

(2) فصول في أصول التفسير مساعد بن سليمان الطيار.

## القسم الثاني

# دراسة تطبيقية لضوابط الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وطرق تأصيلها

الفصل الأول: ضوابط الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

الفصل الثاني: نماذج من الآيات التي توفرت فيها الضوابط

الفصل الثالث: نماذج من الآيات التي لم تتوفر فيها الضوابط

## الفصل الأول

### ضوابط الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ضوابط الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

المبحث الثاني: ضوابط الإعجاز العلمي في القرآن الكريم للدكتور مصطفى مسلم

## المبحث الأول

### ضوابط الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

#### (الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة)

ذكر العلماء ضوابط كثيرة للإعجاز العلمي في القرآن الكريم ومن ذلك ما أصطلته الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

#### ضوابط الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:

- علم الله هو العلم الشامل المحيط الذي لا يعتره خطأ، ولا يشوبه نقص، وعلم الإنسان محدود، وقابل للزيادة، ومعرض للخطأ.
- هناك نصوص من الوحي قطعية الدلالة، كما أن هناك حقائق علمية كونية قطعية.
- في الوحي نصوص ظنية في دلالتها، وفي العلم نظريات ظنية في ثبوتها.
- لا يمكن أن يقع صدام بين قطعي من الوحي وقطعي من العلم التجريبي، فإن وقع في الظاهر فلا بد أن هناك خلافاً في اعتبار قطعية أحدهما، وهذه قاعدة جليلة قررها علماء المسلمين، وقد ألف غير واحد من العلماء كتباً تؤكد حتمية توافق العقل مع النقل.
- إذا وقع التعارض بين دلالة قطعية للنص، وبين نظرية علمية رفضت هذه النظرية؛ لأن النص وحي من الذي أحاط بكل شيء علماً، وإذا وقع التوافق بينهما كان النص دليلاً على صحة تلك النظرية، وإذا كان النص ظنياً والحقيقة العلمية قطعية يؤول النص بها.
- ألا يفسر القرآن إلا باليقين الثابت من العلم، لا بالفروض والنظريات التي ما تزال موضع فحص وتمحيص، أما الحدسيات والظنيات فلا يجوز أن يفسر بها القرآن، لأنها عرضة للتصحيح والتعديل، بل للإبطال في أي وقت.
- تمكن الباحث من العلوم الشرعية واللغوية والقواعد التفسيرية.
- خضوع التفسير لدلالات اللغة العربية وقواعدها التي لا خلاف عليها.

- خضوعه لقواعد تفسير النصوص المتفق عليها كأحكام العموم والخصوص والإطلاق والتقييد والمنطوق والمفهوم وما إلى ذلك من قواعد.
- ألا يتعارض التفسير معارضة حادة مع مضمون أي آية أخرى في القرآن بحيث لا يمكن الجمع بينهما بحال تحت ظل أي قاعدة من قواعد تفسير النصوص.
- أن تراعى معاني المفردات كما كانت في اللغة إبان نزول الوحي، وأن تراعى القواعد النحوية ودلالاتها، وأن تراعى القواعد البلاغية وخصائصها، ولاسيما قاعدة: "ألا يخرج اللفظ من الحقيقة إلى المجاز إلا بقريضة كافية".
- البعد عن التأويل في النصوص المتعلقة بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ودلالة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم.
- ألا تجعل حقائق القرآن موضع نظر، بل أن تجعل الحقائق هي الأصل: فما وافقها قبل، وما عارضها رفض.
- الاقتصار على الحقائق فقط دون النظريات .
- عدم الاعتساف في فهم الإعجاز ولي أعناق النصوص.
- ثبوت الحقيقة العلمية ثبوتاً قاطعاً، وتوثيق ذلك توثيقاً علمياً متجاوزة مرحلة الفرض والنظرية إلى القانون العلمي.
- وجود الإشارة إلى الحقيقة العلمية في النص القرآني بشكل واضح لا مرية فيه.
- مراعاة قواعد التفسير المتعلقة بالآية.
- جمع النصوص القرآنية المتعلقة بالموضوع وردّ بعضها إلى بعض للخروج بنتيجة صحيحة لا يعارضها شيء من تلك النصوص بل يؤيدها.
- جمع القراءات الصحيحة المتعلقة بالموضوع.
- معرفة ما يتعلق بالموضوع من سبب نزول ونسخ، وهل يوجد شيء من ذلك أو لا ؟
- محاولة فهم النص الواقع تحت الدراسة على وفق فهم العرب إبان نزول الوحي .
- إظهار وجه الإعجاز، والربط بين الحقيقة العلمية والشرعية بأسلوب واضح مختصر.

- هناك أمور من قبل المتشابه لا مجال لفهمها أو تناولها بالبحث.
- عدم البحث في الأمور الغيبية كموعود قيام الساعة وبداية الخلق والجنة والنار .. إلخ<sup>(1)</sup>.
- عدم الاعتماد على الإسرائيليات .
- الاعتماد على المصادر المعتبرة في ذلك دون غيرها كأهات التفسير، وغريب القرآن، مع الإشارة إلى جهود الدراسات السابقة إن وجدت.
- الابتعاد عن تسفيه آراء السلف من علماء التفسير، ورميهم بالجهل.
- كلام الله هو الكلام الحق، ولا يمكن بحال من الأحوال أن تخلف حقيقة علمية مع نص قرآني قطعي الدلالة ؛ لأن منزل القرآن هو الخالق العالم بأسرار الكائنات.
- ينبغي أن تحصر الدراسة فيما تمكن القدرة عليه، فالأفراد يمكن أن يحصروا بحوثهم فيما يتعلق بالاكتشافات العلمية الخاضعة لتجارهم المخبرية ليصلوا من خلال ذلك إلى الحق، وللجامعات والمراكز والدول مجالات أكثر وأكبر.
- أن تكون القضية العلمية المفسر بها صحيحة، وصحتها تظهر بالتالي:
  - صحتها من جهة الوقوع .
  - دلالة اللغة عليها .
  - عدم مناقضتها للشرع.
  - ألا تناقض قول السلف.
  - أن تحتل الآية القضية المفسر بها.
  - ألا يقصر معنى الآية على التفسير المعاصر.
  - القرآن كتاب هداية.
  - ترك الإفراط والتفريط .

---

(1) الدين و العلوم العقلية، عبدالباري الندوي، ص10.

- مرونة الأسلوب القرآني.
- الحقائق العلمية مناط الاستدلال.
- عدم حصر دلالة الآية على الحقيقة الواحدة.
- استحالة التصادم بين الحقائق القرآنية والحقائق العلمية .
- اتباع المنهج القرآني في طلب المعرفة.

## المبحث الثاني

### ضوابط الإعجاز العلمي في القرآن الكريم للدكتور مصطفى مسلم

سنقتصر في دراستنا على أهم هذه الضوابط وهي ما ذكره الدكتور مصطفى مسلم في كتابه إعجاز القرآن ثم نذكر نماذج من آيات الإعجاز التي انطبقت عليها الضوابط ونماذج من الآيات التي لم تنطبق عليها ضوابط الإعجاز.

ضوابط في مبحث الإعجاز العلمي وتفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم عند

الدكتور مصطفى مسلم:

- 1 - القرآن كتاب هداية.
- 2 - ترك الإفراط والتفريط.
- 3 - مرونة الأسلوب القرآني.
- 4 - الحقائق العلمية مناط الاستدلال.
- 5 - عدم حصر دلالة الآية على الحقيقة الواحدة.
- 6 - استحالة التصادم بين الحقائق القرآنية والحقائق العلمية.
- 7 - اتباع المنهج القرآني في طلب المعرفة.<sup>(1)</sup>

---

(1) من كتاب مباحث في إعجاز القرآن لمصطفى مسلم ص ( 160 - 163 )

## الفصل الثاني

نماذج من الآيات التي أنطبقت عليها الضوابط

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: النموذج الأول: البرزخ بين البحرين والحجر المحجور:

المبحث الثاني: النموذج الثاني: (كانتا رتقا ففتقناهما)

المبحث الثالث: النموذج الثالث: كروية الأرض:

المبحث الرابع: النموذج الرابع: مراحل خلق الإنسان

المبحث الخامس: النموذج الخامس (كأنما يصعد في السماء)

## المبحث الأول

### النموذج الأول: البرزخ بين البحرين والحجر المحجور:

آيتان في القرآن الكريم، واحدة في سورة الرحمن، والثانية في سورة الفرقان،

الأولى: قوله: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن]

ورد في تفسير الطبري: حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال، قال ابن زيد، في قوله: (لا يبغيان) قال: لا يبغي أحدهما أن يلتقي مع صاحبه.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله وصف البحرين اللذين ذكرهما في هذه الآية أنهما لا يبغيان، ولم يخصص وصفهما في شيء دون شيء، بل عم الخبر عنهما بذلك، فالصواب أن يعم كما عم جل ثناؤه، فيقال: إنهما لا يبغيان على شيء، ولا يبغي أحدهما على صاحبه، ولا يتجاوزان حد الله الذي حده لهما. (1)

والثانية: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَّحْجُوراً﴾ [الفرقان: 53].

ورد في تفسير الطبري:

عن ابن عباس، قوله: ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ يعني أنه خلع أحدهما على الآخر، فليس يفسد العذب المالح، وليس يفسد المالح العذب، وقوله: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً﴾ قال: البرزخ: الأرض بينهما ﴿وَحِجْراً مَّحْجُوراً﴾ يعني: حجر أحدهما على الآخر بأمره وقضائه، وهو مثل قوله ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً﴾.

عن مجاهد ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً﴾ قال: محبسا، قوله: ﴿وَحِجْراً مَّحْجُوراً﴾ قال: لا يختلط البحر بالعذب.

(1) تفسير الطبري ص 32 المكتبة الشاملة.

عن مجاهد ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً ﴾ قال: حاجزا لا يراه أحد، لا يختلط العذب في البحر. قال ابن جريج: فلم أجد بحرا عذبا إلا الأنهار العذاب، فإن دجلة تقع في البحر، فأخبرني الخبير بها أنها تقع في البحر، فلا تمر فيه بينهما مثل الخيط الأبيض، فإذا رجعت لم ترجع في طريقها من البحر، والنيل يصب في البحر.

عن مجاهد ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً ﴾ قال: البرزخ أنهما يلتقيان فلا يختلطان، وقوله ﴿ وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾: أي لا تختلط ملوحة هذا بعذوبة هذا، لا يبغى أحدهما على الآخر.

قال أبو جعفر: وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في معنى قوله: ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً ﴾ وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿﴾ دون القول الذي قاله من قال معناه: إنه جعل بينهما حاجزا من الأرض أو من اليبس، لأن الله تعالى ذكره أخبر في أول الآية أنه مرج البحرين، والمرج: هو الخلط في كلام العرب على ما بينت قبل، فلو كان البرزخ الذي بين العذب الفرات من البحرين، والملح الأجاج أرضا أو يبسا لم يكن هناك مرج للبحرين، وقد أخبر جل ثناؤه أنه مرجهما، وإنما عرفنا قدرته بحجزه هذا الملح الأجاج عن إفساد هذا العذب الفرات، مع اختلاط كل واحد منهما بصاحبه. فأما إذا كان كل واحد منهما في حيز عن حيز صاحبه، فليس هناك مرج، ولا هناك من الأعجوبة ما ينبه عليه أهل الجهل به من الناس، ويذكرون به، وإن كان كل ما ابتدعه ربنا عجيبا، وفيه أعظم العبر والمواعظ والحجج البوالغ<sup>(1)</sup>.

لقد حار العلماء في تفسير هذا البرزخ، أين هو؟ أهو بين البحر الأحمر والبحر الهندي؟ أم بين البحر الأبيض والبحر الأسود؟ أم بين البحر الأبيض والمحيط الأطلسي، عند جبل طارق، أين هذا البرزخ؟

الشيء الذي يلفت النظر أن لكل بحر درجة ملوحة ثابتة، لا تنقص، ولا تزيد، مع أن البحرين متصلان، وله كثافة لا تنقص ولا تزيد، وله حرارة لا تنقص ولا تزيد، وله لون لا يتغير، فلو ركب الإنسان طائرة، وحلقت به في الجو، فوق باب المندب، أو فوق اليوسفور، أو فوق مضيق جبل طارق لَرَأَى أَنَّ هذا البحر شيء، وذلك شيء آخر.

(1) تفسير الطبري ص 284 المكتبة الشاملة.

لقد وجدَ علماء البحارِ أنّ ذراتِ الماءِ في البحرِ الأحمرِ إذا وصلتْ في أثناءِ حركتها إلى خطِّ وهميٍّ عند بابِ المنذب تعودُ إلى البحرِ الأحمرِ، وأنّ ذراتِ المحيطِ الهندي إذا اتجهت إلى البحرِ الأحمرِ تتخفّضُ نحو الأسفلِ عندَ هذا البرزخِ، وتعاودُ الكَرَّةَ نحو المحيطِ الهندي، فلا يطغى المحيطُ الهنديُّ على البحرِ الأحمرِ، وأنّ البحرَ الأحمرَ لا يختلطُ بالمحيطِ الهندي، لأن: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: 20].

ولكلٍ منهما كثافةٌ، وحرارةٌ، ومُلوحةٌ، لا تزيدُ، ولا تنقصُ، كذلك البحرُ الأبيضُ، مع البحرِ الأسودِ، والبحرُ الأبيضُ مع المحيطِ الأطلسيِّ.

قال تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: 19/20]

لكنّ هذا البرزخُ ليس جداراً، إنه مرنٌ، وهذا الالتقاءُ المذكورُ في الآية: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الرحمن: 19] يكون على شكلِ تماوُجٍ.

أما الآيةُ الثانيةُ التي في سورة الفرقانِ ففيها شيءٌ آخر: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٍ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٍ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَّحْجُوراً﴾ [الفرقان: 53].

إنّ بين البحرين؛ العذبِ والمالحِ؛ برزخاً وحجراً محجوراً، حيث تزيد غزارةُ بعضِ أنهارِ أمريكا على ثلاثمئة ألف مترٍ مكعبٍ في الثانية، وتصبُّ في المحيطِ الأطلسيِّ، ويمتدُّ مسيرها في البحرِ ثمانين كيلو متراً، هذا الماءُ العذبُ يسيرُ داخلَ الماءِ المالحِ، ومع ذلك لا يختلطانِ، ولا يتمازجانِ، لأن: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: 20].

فهناك بين الماءِ العذبِ، والماءِ المالحِ حجرٌ محجورٌ، والحجرُ المحجورُ يعني أنّ معظمَ أسماكِ المياهِ العذبةِ لا تدخلُ في المياهِ المالحَةِ، وأسماكُ المياهِ المالحَةِ لا تدخلُ في المياهِ العذبةِ، ففي الحجرِ المحجورِ حجْرٌ على هذه الأسماكِ مِنْ أَنْ تَنْتَقِلَ إِلَى الْمَاءِ الْمَالِحِ، وَحَجْرٌ عَلَى تِلْكَ الْأَسْمَاكِ أَنْ تَنْتَقِلَ إِلَى الْمَاءِ الْعَذْبِ، بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ، وَحَجْرٌ مَحْجُورٌ: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٍ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٍ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَّحْجُوراً﴾ [الفرقان: 53].

هذا من آياتِ اللهِ الدالةِ على عظمتِهِ، أي إنّ البحارَ لا تختلطُ، مع أنها متصلةٌ، فهل تستطيعُ أن تَضَعَ في وعاءٍ كأساً من الماءِ المالحِ، وكأساً من الماءِ العذبِ ولا يختلطانِ؟ هل تستطيعُ أن

تفصلهما بعد ذلك؟ هل لك أن تشرب القِسَمَ العذب من هذا الوعاء؟ هذا شيءٌ فوقَ طاقةِ الإنسان: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۚ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ۚ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 21]

وحيثما اطلع بعض هؤلاء العلماء، وهم في نشوة اكتشافهم هذا، على أن في القرآن الكريم إشارة إلى هذا الكشف العلمي، وهي قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۚ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: 20/19].

أخذتهم الدهشة، وقد اكتشفوا أيضاً أن بين البحرين الملح الأجاج، والعذب الفرات شيين.. حاجزاً يمنع مياه كل بحر أن تطغى على الآخر، كما هو بين البحرين المالحين، وحاجزاً يمنع أسماك المياه العذبة أن تنتقل إلى المياه المالحة، ويمنع أسماك المياه المالحة أن تنتقل إلى المياه العذبة، فلا يبغي بحر على بحر، بل يحافظ كل بحر على كثافة مياهه، ودرجة ملوحته، ومكوناته، وهذا الحاجز بين البحرين ليس ثابتاً، بل هو متحرك بفعل الرياح، وحركة المد والجزر، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الكشف العلمي الثاني، فسمى الحاجز الأول برزخاً، وسمى الحاجز الثاني حجراً، فقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٍ وَهَذَا مِلْحٌ أجاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَّحْجُوراً﴾ [الفرقان: 53].

أما طبيعة هذين الحاجزين فما تزال موضع دراسة<sup>(1)</sup>.

فلاحظ من خلال ما سبق من تفسير الأولين ومن كتب المتأخرين أنه لا تعارض وأن معايير وضوابط الإعجاز تنطبق على هذه الآيات:

- فالقرآن كتاب هداية والتأمل في هذه الآيات يدعو غير المؤمن للإيمان بل ويزيد الذين آمنوا إيماناً عندما يجدوا هذه الحقائق العلمية قد ذكرت في كتاب الله تعالى قبل آلاف السنين.  
- ترك الإفراط والتفريط.

فلاحظ أن هذا الإعجاز ليس فيه تكلف ولا تعسف بل يحتمل قول الأولين من المفسرين ولا ننكر هذا الإعجاز فيعد ذلك تفريطاً.

(1) الكتاب: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المؤلف: محمد راتب النابلسي، الناشر: دار المكتبي -

سورية - دمشق - الحلبيوني - جادة ابن سينا، الطبعة: الثانية 1426 هـ - 2005 م، عدد الأجزاء: 2.

- مرونة الأسلوب القرآني.

فاللفظ القرآني يحتمل ما قاله الأولون ولا يتعارض مع ما قاله المتأخرون بل حتى في تفسير السلف نجد عدة أقوال بسبب مرونة الأسلوب القرآني.

- الحقائق العلمية مناط الاستدلال.

وقد ثبتت هذه الحقيقة العلمية كما أسلفنا بما لا يدع مجالاً للشك.

- عدم حصر دلالة الآية على الحقيقة الواحدة.

فلا نحكر اللفظ على معنى واحد بل نجد في تفسير السلف عدة أقوال ولا ندعي أن هذا القول هو الأوحد.

- استحالة التصادم بين الحقائق القرآنية والحقائق العلمية.

فالنص القرآني واضح بوجود الحاجز (البرزخ) بين البحرين.

والحقائق العلمية أثبتت ذلك .

- اتباع المنهج القرآني في طلب المعرفة.

وقد وجدنا الباحثين في الإعجاز قد سلكوا بفضل الله تعالى المنهج القرآني في البحث حتى وصلوا لهذه الحقيقة وهذا الاستدلال.

## المبحث الثاني

### النموذج الثاني: (كانتا رتقا ففتقناهما)

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: 30]

ورد في تفسير ابن كثير:

يَقُولُ تَعَالَى مُنَبِّهًا عَلَى قُدْرَتِهِ التَّامَّةِ وَسُلْطَانِهِ الْعَظِيمِ، فِي خَلْقِهِ الْأَشْيَاءِ وَقَهْرِهِ لِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ فَقَالَ: {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا} أَيِ الْجَاهِدُونَ لِإِلَهِيَّتِهِ الْعَابِدُونَ مَعَهُ غَيْرُهُ، أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسْتَقِلُّ بِالْخَلْقِ الْمُسْتَبَدُّ بِالتَّدْبِيرِ، فَكَيْفَ يَلِيقُ أَنْ يَعْبُدَ مَعَهُ غَيْرَهُ أَوْ يَشْرِكَ بِهِ مَا سِوَاهُ؟ أَلَوْ يَرَوْنَ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ {كَانَتَا رَتْقًا} أَيِ كَانِ الْجَمِيعُ مُتَّصِلًا بَعْضُهُ بِبَعْضٍ مُتَلَاصِقٌ مُتَرَكَمٌ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ فِي ابْتِدَاءِ الْأَمْرِ، فَفَتَّقَ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ فَجَعَلَ السَّمَاوَاتِ سَبْعًا وَالْأَرْضَ سَبْعًا، وَفَصَلَ بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالْأَرْضِ بِالْهَوَاءِ، فَأَمْطَرَتِ السَّمَاءُ وَأَنْبَتَتِ الْأَرْضُ؛ وَلِهَذَا قَالَ: {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ} أَيِ وَهُمْ يُشَاهِدُونَ الْمَخْلُوقَاتِ تَحَدُّثَ شَيْءٍ فَشَيْئًا عَيَانًا، وَذَلِكَ كُلُّهُ دَلِيلٌ عَلَى وُجُودِ الصَّنَاعِ الْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ الْقَادِرِ عَلَى مَا يَشَاءُ:

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَّهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ

عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ، سَأَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ: اللَّيْلُ كَانَ قَبْلَ أَوْ النَّهَارُ؟ فَقَالَ: أَرَأَيْتُمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حِينَ كَانَتَا رَتْقًا هَلْ كَانَ بَيْنَهُمَا إِلَّا ظُلْمَةٌ؟ ذَلِكَ لِتَعَلُّمُوا أَنَّ اللَّيْلَ قَبْلَ النَّهَارِ. وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَجُلًا أَتَاهُ يَسْأَلُهُ عَنِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا؟ قَالَ: أَذْهَبُ إِلَى ذَلِكَ الشَّيْخِ، فَاسْأَلْهُ، ثُمَّ تَعَالَ فَأَخْبِرْنِي بِمَا قَالَ لَكَ، قَالَ، فَذَهَبَ إِلَيَّ ابْنُ عَبَّاسٍ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: نَعَمْ، كَانَتِ السَّمَاوَاتُ رَتْقًا لَا تُمَطَّرُ وَكَانَتِ الْأَرْضُ رَتْقًا لَا تُنْبِتُ، فَلَمَّا خَلَقَ لِلْأَرْضِ أَهْلًا فَتَقَّ هَذِهِ بِالْمَطَرِ وَفَتَّقَ هَذِهِ بِالنَّبَاتِ، فَرَجَعَ الرَّجُلُ إِلَيَّ ابْنِ عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ، قَدْ كُنْتُ أَقُولُ: مَا يُعْجِبُنِي جَرَاءَ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ فَالآنَ عَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ أُوتِيَ فِي الْقُرْآنِ عِلْمًا، وَقَالَ عَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ: كَانَتِ هَذِهِ رَتْقًا تُمَطَّرُ فَأَمْطَرَتْ وَكَانَتِ هَذِهِ رَتْقًا لَا تُنْبِتُ فَأَنْبَتَتْ، وَقَالَ سَعِيدٌ

بن جبير: كَانَتِ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ مُلْتَزِقَتَيْنِ فَلَمَّا رَفَعَ السَّمَاءَ وَأَبْرَزَ مِنْهَا الْأَرْضَ كَانَ ذَلِكَ فَتَقَهُمَا  
الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ،<sup>(1)</sup>

يقول الدكتور زغلول النجار: "العلوم المكتسبة شواهد تؤيد مفهوم الانفجار العظيم، منها ما

يلي:

ومن عجائب القدر بهؤلاء الجاحدين لحقيقة الخلق، المتكبرين لجلال الخالق سبحانه، المنادين  
كذبًا بأزلية العالم أن يكون أحد زعمائهم وهو "فريد هويل" الذي حمل لواء الادعاء بثبات الكون  
واستقراره، وأزليته لسنوات طويلة هو الذي يعلن بنفسه في سخريةٍ لاذعةٍ تعبير الانفجار الكبير  
للكون، وذلك في سلسلة أحاديث له عبَّرَ الإذاعة البريطانية في سنة 1950 م كان ينتقد فيها ظاهرة  
تمدد الكون، ويحاول إثبات بطلانها، ثم جاء بعد ذلك بسنوات ليكون من أشد المدافعين لها. وكانت  
نظرية خلق الكون من جرم أولي واحد عالي الكثافة قد توصل إليها البلجيكي "جورج لوميتر" وذلك  
في رسالة تقدم بها إلى معهد "مساوشوسيشي" للتقنية دافع فيها، وفي عدد من بحوثه التالية عن  
حقيقة تمدد الكون، ولم تلقَ أبحاثه أي انتباه إلى أن جاء "إيدينجيتن" في سنة 1930 م ليلفت إليها  
الأنظار ومن هنا أطلق على "لوميتر" لقب صاحب فكرة الانفجار الكبير في صورتها الأولى".

تصور بقايا الدخان الكوني دليل على عملية الانفجار العظيم، في سنة 1989 م أرسلت  
مؤسسة ناسا الأمريكية إلى الفضاء مركبة فضائية لجمع المعلومات حول الإشعاع الحراري الكوني،  
أطلق عليها اسم مكتشف الخلفية الإشعاعية، وزود بأجهزة فائقة الحساسية أثبتت وجود تلك الأشعة  
الأثرية المتبقية عن عملية الانفجار العظيم. وكان في هذا الاكتشاف التفسير المنطقي لسبب الأريز  
اللاسلكي المنتظم الذي يعج به الكون، والذي يأتي إلينا من مختلف.

أطراف الكون المدركة، والذي بقي على هيئة صدى لعملية الانفجار الكبير، وقد قامت هذه  
المركبة الفضائية بإرسال ملايين الصور إلى الأرض عن بقايا الدخان للأول الذي نتج عن عملية  
الانفجار العظيم من على مسافة تقدر بعشرة مليارات من السنين الضوئية.  
وقد منح كل من "بنزياس" و"ويسلون" جائزة نوبل سنة 1978 م على اكتشافهما الذي كان فيه  
الدليل المادي الملموس لدعم نظرية الانفجار الكبير والارتقاء بها إلى مقام الحقيقة شبه المؤكدة،

(1) تفسير ابن كثير ص 506 المكتبة الشاملة.

ودفع بالغالبية الساحقة من علماء الفلك، والفيزياء الفلكية إلى الاعتقاد بصحتها، وسبحان الخالق الذي أنزل في محكم كتابه من قبل ألف وأربعمائة سنة قوله الحق: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾. وبدء خلق الكون بعملية انفجار كبرى هو من دلائل القدرة الإلهية؛ لأنه من المعروف أن الانفجار بطبيعته يؤدي إلى تناثر المادة وبعثرتها، ولا يخلف وراءه إلا الدمار.

أما هذا الانفجار الكوني الفتح بعد الرتق، فقد أدى إلى إبداع نظامي كوني له تصميم دقيق محكم الأبعاد والعلاقات، والتفاعلات، منضبط الكتل، والأحجام والمسافات، منتظم الحركة والجري، والتداخلات، مبني على الوتيرة نفسها من أدق دقائقه إلى أكبر وحداته على الرغم من تعاضد أبعاده، وكثرة أجرامه وتعقيد علاقاته، وانفجار هذه نتائجه لا يمكن أن يكون قد تمّ بغير تدبير حكيم وتقدير مسبق عظيم، لا يقدر عليه إلا رب العالمين<sup>(1)</sup>.

ومن هنا نلاحظ عدم تصادم النص القرآني مع الحقيقة العلمية وبدون تعسف ولا تكلف وبدون تفریط ولا إفراط.

---

(1) الكتاب: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، كود المادة: GUQR5313 و GAQD5133، المرحلة:

ماجستير

المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية، عدد الأجزاء: 1.

## المبحث الثالث

### النموذج الثالث: كروية الأرض

في قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات:30]

ورد عن السلف في تفسير هذه الآية قولان:

الأول: بسطها، وهو مروى عن قتادة والسدي وسفيان الثوري.

الثاني: إخراجها ماءها ومرعاها، وهو مروى عن ابن عباس وابن جريج وابن زيد.

وهذان الاختلافان يعودان إلى قولين متغايرين غير متضادين، ويمكن اجتماعهما في معنى دحو الأرض؛ لأن بسطها لا يعارض إخراج مائها ومرعاها منها، فكلاهما محتمل، وإن كان الأول أشهر.

وذهب بعض المعاصرين إلى أن الدحو هنا بمعنى جعل الأرض كُرَّةً، وهذا المعنى له أصل في اللغة، وهو حقيقة كونية دلت عليها آيات قرآنية غير هذه الآية، وبهذا يكون قد تحقق في هذه القضية صحتها من جهة اللغة، وصحتها من جهة الواقع.

لكن هذا لا يلزم من كونها كذلك أن يكون المراد بالدحو كون الأرض كُرَّةً، ويكون المعنى: (والأرض بعد ذلك كَوَّرَها)؛ أي: جعلها كُرَّةً.

ولو ذهب مفسر إلى هذا المعنى لكان له وجه، وكان معنى ثالثاً.

غير مناقض للأولين، وإن غايرهما. وبهذا تكون لفظة (دحاها) قد دلت على هذه المعاني الثلاثة، فإله سبحانه كَوَّرَ الأرض، وجعلها منبسطةً لكِبْرِ تكويرها، وأخرج منها الماء والمرعى، فتجتمع هذه المعاني الثلاثة في وصف الأرض، وليس بينها أي تناقض كما ترى. وفي هذا المثال تلاحظ أن اختلاف السلف كان على سبيل التنوع المتعدد المعاني، وأن بعض

المعاصرين زادوا تفسيراً آخر يدخل في التنوع أيضاً، ولم يكن في اختلاف السلف ما يشكل على إضافة قول جديد.<sup>(1)</sup>

قال الأستاذ الشهيد سيد قطب عند تفسير قوله تعالى: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ (الزمر:5): (وهو تعبير عجيب يقسر الناظر فيه قسراً على الالتفات إلى ما كشف حديثاً عن كروية الأرض، ومع أنني في هذه الظلال حريص على أن لا أحمل القرآن على النظريات التي يكشفها الإنسان) ... مع هذا الحرص، فإن هذا التعبير يقسرنى قسراً على النظر في موضوع كروية الأرض ... إلخ<sup>(2)</sup>.<sup>(3)</sup>

إن القرآن كلام الله المتعبد بتلاوته إلى يوم القيامة . ومعنى ذلك أنه لا يجب أن يحدث تصادم بينه وبين الحقائق العلمية في الكون .. لأن القرآن الكريم لا يتغير ولا يتبدل ولو حدث مثل هذا التصادم لضاعت قضية الدين كلها .. ولكن التصادم يحدث من شيئين عدم فهم حقيقة قرآنية أو عدم صحة حقيقة علمية .. فإذا لم نفهم القرآن جيداً وفسرناه بغير ما فيه حدث التصادم .. وإذا كانت الحقيقة العلمية كاذبة حدث التصادم .. ولكن كيف لا نفهم الحقيقة القرآنية ؟ .. سنضرب مثلاً لذلك ليعلم الناس أن عدم فهم الحقيقة القرآنية قد تؤدي إلى تصادم مع حقائق الكون .. الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَا﴾ [الحجر: 19]. المد معناه البسط .. ومعنى ذلك أن الأرض مبسطة .. ولو فهمنا الآية على هذا المعنى لا تهمنا كل من تحدت عن كروية الأرض بالكفر خصوصاً أننا الآن بواسطة سفن الفضاء والأقمار الصناعية قد استطعنا أن نرى الأرض على هيئة كرة تدور حول نفسها .. نقول إن كل من فهم الآية الكريمة (وَالأَرْضَ مَدَدْنَا) بمعنى أن الأرض مبسطة لم يفهم الحقيقة القرآنية التي ذكرتها هذه الآية الكريمة .. ولكن المعنى يجمع الإعجاز اللغوي والإعجاز العلمي معا ويعطي الحقيقة الظاهرة للعين والحقيقة العلمية

(1) الكتاب: الإعجاز العلمي إلى أين؟ مقالات تقييمية للإعجاز العلمي. المؤلف: د مساعد بن سليمان بن ناصر

الطيبار، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الثانية، 1433 هـ، عدد الأجزاء: 1، الكتاب إهداء من مؤلفه - جزاه الله خيراً - للمكتبة الشاملة، ص 91/90.

(2) في ظلال القرآن، 12/24 - 13.

(3) الإعجاز العلمي بين الحقيقة والوهم، احمد محمد فتحي ص 22.

المخفية عن العقول في وقت نزول القرآن . عندما قال الحق سبحانه وتعالى: (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا) أي بسطانها .. أقال أي أرض ؟ لا.. لم يحدد أرضا بعينها .. بل قال الأرض على إطلاقها .. ومعنى ذلك أنك إذا وصلت إلى أي مكان يسمى أرضا تراها أمامك ممدودة أي منبسطة .. فإذا كنت في القطب الجنوبي أو في القطب الشمالي .. أو في أمريكا أو أوروبا أو في إفريقيا أو آسيا .. أو في أي بقعة من الأرض .. فأنتك ترها أمامك منبسطة .. ولا يمكن أن يحدث ذلك إلا إذا كانت الأرض كروية .. فلو كانت الأرض مربعة أو مثلثة أو مسدسة أو على أي شكل هندسي آخر .. فإنك تصل فيها إلى حافة .. لا ترى أمامك الأرض منبسطة .. ولكنك ترى حافة الأرض ثم الفضاء .. ولكن الشكل الهندسي الوحيد الذي يمكن أن تكون فيه الأرض ممدودة في كل بقعة تصل إليها هي أن تكون الأرض كروية .. حتى إذا بدأت من أي نقطة محددة على سطح الكرة الأرضية ثم ظللت تسير حتى عدت إلى نقطة البداية .. فإنك طوال مشوارك حول الأرض ستراها أمامك دائما منبسطة .. وما دام الأمر كذلك فإنك لا تسير في أي بقعة على

الأرض إلا وأنت تراها أمامك منبسطة وهكذا كانت الآية الكريمة (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا) لقد فهمها بعض الناس على أن الأرض مبسوطة دليل على كروية الأرض .. وهذا هو الإعجاز في القرآن الكريم .. يأتي باللفظ الواحد ليناسب ظاهر الأشياء ويدل على حقيقتها الكونية . ولذلك فإن الذين أساءوا فهم هذه الآية الكريمة وأخذوها على أن معناها أن الأرض منبسطة .. قالوا هناك تصادم بين الدين والعلم .. والذين فهموا معنى الآية الكريمة فهما صحيحا قالوا إن القرآن الكريم هو أول كتاب في العالم ذكر أن الأرض كروية وكانت هذه الحقيقة وحدها كافية بأن يؤمنوا .. ولكنهم لا يؤمنون.

وهكذا نرى الإعجاز القرآني .. فالقائل هو الله .. والخالق هو الله .. والمتكلم هو الله .. فجاء في جزء من آية قرآنية ليخبرنا إن الأرض كروية وأنها تدور حول نفسها .. ولا ينسجم معنى هذه الآية الكريمة إلا بهاتين الحقيقتين معا .. هل يوجد أكثر من ذلك دليل مادي على أن الله هو خالق هذا الكون ؟ ثم يأتي الحق سبحانه وتعالى ليؤكد المعنى في هذه الحقيقة الكونية لأنه سبحانه وتعالى يريد أن يري خلقه آياته فيقول: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّورُ

وهكذا يصف الحق سبحانه وتعالى بأن الليل والنهار خلقا على هيئة التكوير .. وبما أن الليل والنهار وجدا على سطح الأرض معا فلا يمكن أن يكونا على هيئة التكوير .. إلا إذا كانت الأرض نفسها كروية . بحيث يكون نصف الكرة مظلما والنصف الآخر مضيئا وهذه حقيقة قرآنية أخرى تذكر لنا أن نصف الأرض يكون مضيئا والنصف الآخر مظلما .. فلو أن الليل والنهار وجدا على سطح الأرض غير متساويين في المساحة . بحيث كان أحدهما يبدو شريطا رفيعا .. في حين يغطي الآخر معظم المساحة ، ما كان الاثنان معا على هيئة كرة .. لأن الشريط الرفيع في هذه الحالة سيكون في شكل مستطيل أو مثلث أو مربع .. أو أي شكل هندسي آخر حسب المساحة التي يحتلها فوق سطح الأرض .. وكان من الممكن أن يكون الوضع كذلك باختلاف مساحة الليل والنهار .. ولكن قوله تعالى: (يَكْوَرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكْوَرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ) دليل على أن نصف الكرة الأرضية يكون ليلا والنصف الآخر نهارا وعندما تقدم العلم وصعد الإنسان إلى الفضاء ورأى الأرض وصورها .. وجدنا فعلا أن نصفها مضئ ونصفها مظلم كما أخبرنا الله

## المبحث الرابع

### النموذج الرابع: مراحل خلق الإنسان

ورد في تفسير القرطبي: في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبُعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأُنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۗ﴾ [الحج:5].

(فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ) أي خلقنا أباكم الذي هو أصل البشر، يعني آدم عليه السلام (مِّن تُّرَابٍ). (ثُمَّ) خلقنا ذريته. (مِن نُطْفَةٍ) وهو المنى، سمي نطفة لقلته، وهو القليل من الماء، وقد يقع على الكثير منه، ومنه الحديث "حتى يسير الراكب بين النطفتين لا يخشى جوراً"<sup>(1)</sup>. أراد بحر المشرق وبحر المغرب. والنطف: القطر. نطف ينطف وينطف. وليلة نطوفة دائمة القطر. (ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ) وهو الدم الجامد. والعلق الدم العبيط، أي الطري. وقيل: الشديد الحمرة. (ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ) وهي لحمة قليلة قدر ما يمضغ، ومنه الحديث "ألا وإن في الجسد مضغة". وهذه الأطوار أربعة أشهر.

قوله تعالى: (مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ) قال الفراء: "مخلقة" تامة الخلق، "وغير مخلقة" السقط. وقال ابن الأعرابي: "مُخَلَّقَةٍ" قد بدأ خلقها، "وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ" لم تصور بعد. ابن زيد: المخلقة التي خلق الله فيها الرأس واليدين والرجلين، "وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ" التي لم يخلق فيها شي. قال ابن العربي: إذا رجعنا إلى أصل الاشتقاق فإن النطفة والعلقة والمضغة مخلقة، لأن الكل خلق الله تعالى، وإن رجعنا إلى التصوير الذي هو منتهى الخلقة كما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ [المؤمنون: 14] فذلك ما قال ابن زيد. قلت: التخليق من الخلق، وفيه معنى الكثرة، فما تتابع عليه

(1) في دلائل النبوة للمستغفري بلفظ: "وحتى يسير الراكب ما بين النطفتين لا يهمه أن يضل الطريق" رقم الحديث

الأطوار فقد خلق خلقا بعد خلق، وإذا كان نطفة فهو مخلوق، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ [المؤمنون: 14]<sup>(1)</sup>.

**قصة إسلام كيث مور:** عالم الأجنة الشهير الذي انبهر من دقة الإعجاز القرآني في خلق الإنسان، فما قصة إسلامه؟

البروفيسور كيث مور Keith Moore من أكبر علماء التشريح والأجنة في العالم في عام 1984، تسلّم الجائزة الأكثر بروزاً في حقل علم التشريح في كندا جي. سي. بي جائزة جراننت من الجمعية الكندية لاختصاصيي التشريح.. فما قصة كيث مور عالم الأجنة الشهير؟

البروفيسور كيث مور من أكبر علماء التشريح والأجنة في العالم في عام 1984م، تسلّم الجائزة الأكثر بروزاً في حقل علم التشريح في كندا (جي. سي. بي) جائزة جراننت من الجمعية الكندية لاختصاصيي التشريح، وترأس العديد من الجمعيات الدولية مثل الجمعية الكندية والأمريكية لاختصاصيي التشريح، ومجلس اتحاد العلوم الحيوية.

ويحكي عنه الدكتور زغلول النجار في كتابه "الذين هدى الله":

دُعيت مرة لحضور مؤتمر عقد للإعجاز في موسكو، فكرهت في بادئ الأمر أن أحضره؛ لأنه يعقد في بلد كانت هي عاصمة الكفر والإلحاد لأكثر من سبعين سنة، وقلت في نفسي: ماذا يعلم هؤلاء الناس عن الله حتى ندعوهم إلى ما نادى به القرآن الكريم؟! فقيل لي: لا بد من الذهاب، فإن الدعوة قد وُجِّهت إلينا من قِبَل الأكاديمية الطبية الروسية.

فذهبنا إلى موسكو، وفي أثناء استعراض بعض الآيات الكونية، وبالتحديد عند قول الله تعالى: ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: 5].

وقف أحد العلماء المسلمين وقال: إذا كانت ألف سنة تساوي قدرين من الزمان غير متكافئين، دلّ ذلك على اختلاف السرعة.

(1) تفسير القرطبي المكتبة الشاملة بتصرف.

ثم بدأ يحسب هذه السرعة فقال: ألف سنة.. لا بد وأن تكون ألف سنة قمرية؛ لأن العرب يعرفون السنة الشمسية، والسنة القمرية اثنا عشر شهرا قمريا، ومدة الشهر القمري هي مدار القمر حول الأرض، وهذا المدار محسوب بدقة بالغة، وهو 2.4 بليون كم. فقال: 2.4 بليون مضروب في 12 - وهو عدد شهور السنة- ثم في ألف سنة، ثم يُقسم هذا الناتج على أربع وعشرين (وهو عدد ساعات اليوم) ثم على ستين (الدقائق) ثم على ستين (الثواني)، فتوصل هذا الرجل إلى سرعة أعلى من سرعة الضوء. فوقف أستاذ في الفيزياء -وهو عضو في الأكاديمية الروسية- وهو يقول: لقد كنت أظنني -قبل هذا المؤتمر- من المبرزين في علم الفيزياء، وفي علم الضوء بالذات، فإذا بعلم أكبر من علمي بكثير. ولا أستطيع أن أعتذر عن تقصيري في معرفة هذا العلم إلا أن أعلن أمامكم جميعاً أنني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

ثم تبعه في ذلك أربعة من المترجمين، الذين ما تحدثنا معهم على الإطلاق وإنما كانوا قابعين في غرفهم الزجاجية يترجمون الحديث من العربية إلى الروسية والعكس، فجاءونا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ليس هذا فحسب وإنما علمنا بعد ذلك أن التلفاز الروسي قد سجّل هذه الحلقات وأذاعها كاملة، فبلغنا أن أكثر من 37 عالماً من أشهر العلماء الروس قد أسلموا بمجرد مشاهدتهم لهذه الحلقات.

ليس هذا فحسب، وإنما كان معنا أيضاً كيث مور وهو من أشهر العلماء في علم الأجنة، ويعرفه تقريبا كل أطباء العالم، فهو له كتاب يُدرّس في معظم كليات الطب في العالم، وقد تُرجم هذا الكتاب لأكثر من 25 لغة، فهو صاحب الكتاب الشهير (The Developing Human). فوقف هذا الرجل في وسط ذلك الجمع قائلاً: "إن التعبيرات القرآنية عن مراحل تكون الجنين في الإنسان لتبلغ من الدقة والشمول ما لم يبلغه العلم الحديث، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون إلا كلام الله، وأن محمداً رسول الله".

فقيل له: هل أنت مسلم؟! قال: لا، ولكني أشهد أن القرآن كلام الله، وأن محمداً مرسل من عند الله. فقيل له: إذن فأنت مسلم. قال: أنا تحت ضغوط اجتماعية تحول دون إعلان إسلامي الآن، ولكن لا تتعجبوا إذا سمعتم يوماً أن كيث مور قد دخل الإسلام. ولقد وصلنا في العام الماضي أنه قد أعلن إسلامه فعلاً، فله الحمد والمنة.

وفي مؤتمر الإعجاز العلمي الأول للقرآن الكريم والسنة المطهرة والذي عُقد في القاهرة عام 1986م، وقف الأستاذ الدكتور كيث مور (Keith Moore) في محاضرته قائلاً: "إنني أشهد بإعجاز الله في خلق كل طور من أطوار القرآن الكريم، ولست أعتقد أن محمداً صلى الله عليه وسلم أو أي شخص آخر يستطيع معرفة ما يحدث في تطور الجنين؛ لأن هذه التطورات لم تكتشف إلا في الجزء الأخير من القرن العشرين، وأريد أن أؤكد على أن كل شيء قرأته في القرآن الكريم عن نشأة الجنين وتطوره في داخل الرحم ينطبق على كل ما أعرفه كعالمٍ من علماء الأجنة البارزين".

علمًا أن مراحل خلق الإنسان (بني آدم) التي ذكرها القرآن هي سبع مراحل، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۚ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۚ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ۚ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۝﴾ [المؤمنون: 12/14].

وقد أثبت علم الأجنة هذه المراحل وصحتها وتطابقها مع المراحل المذكورة في القرآن، وهذه المراحل هي:

- 1- أصل الإنسان (سلالة من طين). 2- النطفة. 3- العلقة. 4- المضغة. 5- العظام. 6- الإكساء باللحم. 7- النشأة.

وقد اعتبر المؤتمر الخامس للإعجاز العلمي في القرآن والسنة الذي عقد في موسكو (سبتمبر/أيلول 1995م) هذا التقسيم القرآني لمراحل خلق الجنين وتطوره صحيحاً ودقيقاً، وأوصى في مقرراته على اعتماده كتصنيف علمي للتدريس، علمًا أنَّ الأستاذ الدكتور كيث مور Keith Moore وهو من أشهر علماء التشريح وعلم الأجنة في العالم ورئيس هذا القسم في جامعة تورنتو بكندا (الذي كان أحد الباحثين المشاركين في المؤتمر المذكور)، أَلَفَ كتاباً يعدُّ من أهم المراجع الطبية في هذا الاختصاص (مراحل خلق الإنسان - علم الأجنة السريري)، وضمنه ذكر هذه المراحل المذكورة في القرآن، وربط بين كل فصل من فصول الكتاب التي تتكلم عن تطور خلق الجنين وبين الحقائق

العلمية والآيات والأحاديث المتعلقة بها، وشرحها وعلق عليها بالتعاون مع الشيخ الزنداني وزملائه.<sup>(1)</sup>

حوار فضيلة الشيخ عبد المجيد الزنداني مع البروفيسور "كيث ل. مور"

## (ب) أطوار خلق الإنسان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وبعد:

فهذا كتاب : (The Developing Human) (أطوار خلق الإنسان) وهو مرجع علمي عالمي

مترجم بثمان لغات مؤلفه هو البروفيسور كيث مور .

عندما كونت لجنة في أمريكا لاختيار أحسن كتاب في العالم ألفه مؤلف واحد كان هذا الكتاب هو الفائز عند تلك اللجنة. صاحب هذا الكتاب التقينا به وعرضنا عليه كثيراً من الآيات والأحاديث المتعلقة بمجال تخصصه في علم الأجنة فافتتح بما عرضنا عليه وقلنا له: إنك ذكرت في كتابك القرون الوسطى وقلت إن هذه القرون لم يكن فيها تقدم لعلم الأجنة بل لم يعلم فيها إلا الشيء القليل وفي هذه العصور عندكم كان القرآن ينزل عندنا وكان محمد صلى الله عليه وسلم يعلم الناس الهدي الذي جاء من عند الله سبحانه وتعالى وفيه الوصف الدقيق لخلق الإنسان ولأطوار خلق الإنسان. وأنت رجل عالمي فلماذا لم تتصف وتضع في كتابك هذه الحقائق؟ فقال: الحجة عندكم وليست عندي قدموها لنا ففعلنا فكان هو كذلك عالماً شجاعاً. فوضع إضافة في الطبعة الثالثة وهي الآن منتشرة في العالم بثمان لغات يقرأها أكابر العلماء في العالم الذين ينطقون باللغة الإنجليزية والروسية والصينية واليابانية والألمانية والإيطالية واليوغوسلافية والبرتغالية. أكابر العلماء في العالم الناطقون بهذه اللغات يقرؤون ما أضافه البروفيسور كيث مور في هذا الباب.

يقول البروفيسور كيث مور في كتابه تحت عنوان: العصور الوسطى:

كان تقدم العلوم في العصور الوسطى بطيئاً ولم نعلم عن علم الأجنة إلا الشيء القليل وفي القرآن الكريم الكتاب المقدس لدى المسلمين ورد أن الإنسان يخلق من مزيج من الإفرازات من الذكر والأنثى وقد وردت عدة إشارات بأن الإنسان يخلق من نطفة من المنى وبين أيضاً أن النطفة

(1) من موقع قصة الإسلام. <https://islamstory.com>

الناجحة تستقر في المرأة كبذرة بعد ستة أيام، والمعروف أن البيضة الملقحة بعد أن تكون قد بدأت في الانقسام تبدأ في النمو بعد ستة أيام من الإخصاب ويقول القرآن الكريم أيضاً: إن النطفة (المني) تتطور لتصبح قطعة من دم جامد (علقة) وأن البيضة الملقحة بعد أن تكون قد بدأت في الانقسام أو أن البيضة الملقحة التي بدأت بالانقسام أو الحمل المجهض تلقائياً يمكن أن تشبه العلقه ويمكن رؤية مظهر الجنين في تلك المرحلة يشبه العلقه.

ويكون مظهر الجنين في هذه المرحلة يشبه شيئاً ممضوغاً كاللبان أو الخشب ويظهر في (الشكل): وكان فيها آثار الأسنان التي مضغتها، ولقد اعتبر الجنين في الشكل الإنساني بعد مضي أربعين أو اثنين وأربعين يوماً ولا يشبه بعدها جنين الحيوان. لأن الجنين البشري يبدأ باكتساب مميزات الإنسان في هذه المرحلة،

ولنتأمل هناقاله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ [الزمر، الآية:6].

تدل هذه الآية على أن الجنين يتطور داخل ثلاثة حجب مظلمة. وهذا قد يشير إلى:

1- جدار البطن الخارجي للمرأة.

2- جدار الرحم.

3- الغشاء الداخلي الذي يحيط بالجنين مباشرة، ولا يتسع المجال لمناقشة موضوعات هامة أخرى مشوقة وردت في القرآن الكريم وتتعلق بتطور الإنسان في مرحلة ما قبل ولادته.

هذا الذي كتبه د. كيث مور وأصبح منتشرًا في العالم اليوم والله الحمد هذا ما أملاه عليه البحث العلمي. لقد اقتنع الأستاذ كيث مور أيضاً بأن التقسيم الذي تقسم إليه أطوار الجنين في بطن أمه الآن في العالم كله تقسيم صعب غير مفهوم ولا ينفع في فهم مراحل تطور الجنين، ذلك لأنه يقسم المراحل تقسيماً رقمياً أي المرحلة 1، 2، 3، 4، أو المرحلة رقم 5 وهكذا.

والتقسيم الذي جاء بالقرآن لا يعتمد على الأرقام بل يعتمد على الأشكال المتميزة الجلية فكانت التقسيمات في كتاب الله "نطفة-علقه-مضغة-عظام-كساء العظام باللحم-النشأة خلقاً آخر ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٣٠﴾ جَعَلْنَاهُ نَافِثَةً فِي قَرَارِ مَكِينٍ ﴿١٣١﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ

عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ  
فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ [المؤمنون: 14/12].

وهناك تفاصيل متفاوتة في كل منها.

وعن هذه التقسيمات القرآنية التي تعتمد على الشكل المحدد المتميز عن الشكل الآخر قال البروفيسور كيث مور: هي تقسيمات علمية دقيقة، وتقسيمات سهلة ومفهومة ونافعة، ووقف في أحد المؤتمرات يعلن هذا فقال: الدكتور كيث مور: "يحمي الجنين في رحم الأم ثلاثة أحجبه أو طبقات موضحة في الشريحة التالية:

أ- الجدار البطني.

ب- الجدار الرحمي.

ج- الغشاء.

لأن مراحل تطور الجنين البشري معقدة وذلك بسبب التغيرات المستمرة التي تطرأ عليه فإنه يصبح بالإمكان تبني نظام جديد في التصنيف باستخدام الاصطلاحات والمفاهيم التي ورد ذكرها في القرآن والسنة، ويتميز النظام الجديد بالبساطة والشمولية إضافة إلى انسجام مع علم الأجنة الحالي.

لقد كشفت الدراسات المكثفة للقرآن والحديث خلال السنوات الأربعة الأخيرة جهاز تصنيف الأجنة البشرية الذي يعتبر مدهشاً حيث إنه سجل في القرن السابع بعد الميلاد فيما يتعلق بما هو معلوم من تاريخ علم الأجنة لم يكن يعرف شيء عن تطور وتصنيف الأجنة البشرية حتى حلول القرن العشرين ولهذا السبب فإن أوصاف الأجنة البشرية في القرآن الكريم لا يمكن بناؤها على المعرفة العلمية للقرن السابع. الاستنتاج الوحيد المعقول هو أن هذه الأوصاف قد أوحيت إلى محمد صلى الله عليه وسلم من الله. إذ ما كان له أن يعرف مثل هذه التفاصيل لأنه كان أمياً ولهذا لم يكن قد نال تدريباً علمياً.

**الشيخ الزندانى:** وقلنا للدكتور مور: إن هذا الذي قلته صحيح ولكنه أقل مما عرض عليك من حقائق الكتاب والسنة في مجال علم الأجنة فلم لا تكون منصفاً وتقسح المجال لبيان جميع الآيات والأحاديث التي وردت في القرآن المتعلقة بمجال اختصاصك.

قال: لقد كتبت القدر المناسب في المكان المناسب في كتاب علمي متخصص ولكني أسمح لك أن تضيف إلى كتابي إضافات إسلامية تجمع فيها جميع الآيات والأحاديث التي تحدثنا عنها وناقشناها وتضعها في مواضعها المناسبة من كتابي هذا وبعد ذلك تقدم وتبين أوجه الإعجاز في هذا الكتاب، ففعلت ذلك. ثم بعد ذلك وضع الدكتور كيث مور مقدمة هذه الإضافات الإسلامية فكان هذا الكتاب هو الذي اقترحه البروفيسور كيث مور مع الإضافات الإسلامية كما يراه القارئ بين يديه. لقد رجعنا إلى كل صفحة من الصفحات التي فيها حقائق من علم الأجنة فوضعنا في مقابلها الآيات والأحاديث النبوية التي تبين وجه الإعجاز.

إننا اليوم بإذن الله تعالى على موعد مع الإسلام في فتح جديد للعقول البشرية المنصفة:  
﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ  
الْحَمِيدِ﴾ [سبأ: 6]<sup>(1)</sup>.

---

(1) موقع رابطة العالم الإسلامي وكالة الشؤون

## المبحث الخامس

### النموذج الخامس (كأنما يصعد في السماء)

ورد في تفسير ابن كثير: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: 125].

قُرِيءَ بِفَتْحِ الضَّادِ وَتَسْكِينِ الْيَاءِ، وَالْأَكْثَرُونَ: {ضَيِّقًا} بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ وَكَسْرِهَا، وَهُمَا لُغَتَانِ: كَهَيْنِ وَهَيْنِ. وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ: {حَرَجًا} بِفَتْحِ الْحَاءِ وَكَسْرِ الرَّاءِ، قِيلَ: بِمَعْنَى آتَمٍ. وَقَالَ السُّدِّيُّ. وَقِيلَ: بِمَعْنَى الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَى {حَرَجًا} بِفَتْحِ الْحَاءِ وَالرَّاءِ، وَهُوَ الَّذِي لَا يَتَّسِعُ لِشَيْءٍ مِنَ الْهُدَى، وَلَا يَخْلُصُ إِلَيْهِ شَيْءٌ مَا يَنْفَعُهُ مِنَ الْإِيمَانِ وَلَا يَنْفَعُهُ فِيهِ.

وَقَدْ سَأَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ مِنْ مُدَلِّجٍ: مَا الْحَرَجَةُ؟ قَالَ: هِيَ الشَّجَرَةُ تَكُونُ بَيْنَ الْأَشْجَارِ لَا تَصِلُ إِلَيْهَا رَاعِيَةٌ، وَلَا وَحْشِيَّةٌ، وَلَا شَيْءٌ. فَقَالَ عُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَذَلِكَ قَلْبُ الْمُتَأَفِّقِ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْخَيْرِ<sup>(1)</sup>.

وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: يَجْعَلُ اللَّهُ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ ضَيِّقًا، وَالْإِسْلَامَ وَاسِعًا. وَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78]، يَقُولُ: مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ ضَيِّقٍ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَالسُّدِّيُّ: {ضَيِّقًا حَرَجًا} شَاكًا. وَقَالَ عَطَاءُ الْخُرَّاسَانِيُّ: {ضَيِّقًا حَرَجًا} لَيْسَ لِلْخَيْرِ فِيهِ مَنَفَعٌ. وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ {ضَيِّقًا حَرَجًا} بِلَا إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ، حَتَّى لَا تَسْتَطِيعَ أَنْ تَدْخُلَهُ، كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ مِنْ شِدَّةِ ذَلِكَ عَلَيْهِ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: يَجْعَلُ صَدْرَهُ {ضَيِّقًا حَرَجًا} قَالَ: لَا يَجِدُ فِيهِ مَسْلَكًا إِلَّا صُعْدًا.

وَقَالَ السُّدِّيُّ: {كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ} مِنْ ضَيِّقِ صَدْرِهِ.

(1) رواه الطبري في تفسيره (104/12).

وَقَالَ عَطَاءُ الْخُرَّاسَانِيُّ: {كَأَنَّهَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ} يَقُولُ: مِثْلُهُ كَمَثَلِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصْعَدَ فِي السَّمَاءِ. وَقَالَ الْحَكَمُ بْنُ أَبَانَ عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: {كَأَنَّهَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ} يَقُولُ: فَكَمَا لَا يَسْتَطِيعُ ابْنُ آدَمَ أَنْ يَبْلُغَ السَّمَاءَ، فَكَذَلِكَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْخُلَ التَّوْحِيدَ وَالْإِيمَانَ قَلْبَهُ، حَتَّى يُدْخِلَهُ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ.

وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: {كَأَنَّهَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ} كَيْفَ يَسْتَطِيعُ مَنْ جَعَلَ اللَّهُ صَدْرَهُ ضَيْقًا أَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ جَرِيرٍ: وَهَذَا مِثْلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ لِقَلْبِ هَذَا الْكَافِرِ فِي شِدَّةِ تَضْيِيقِهِ إِيَّاهُ عَنْ وُصُولِ الْإِيمَانِ إِلَيْهِ. يَقُولُ: فَمِثْلُهُ فِي امْتِنَاعِهِ مِنْ قَبُولِ الْإِيمَانِ وَضَيْقِهِ عَنْ وُصُولِهِ إِلَيْهِ، مِثْلُ امْتِنَاعِهِ مِنَ الصُّعُودِ إِلَى السَّمَاءِ وَعَجْزِهِ عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي وَسْعِهِ وَطَاقَتِهِ.

وَقَالَ فِي قَوْلِهِ: {كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} يَقُولُ: كَمَا يَجْعَلُ اللَّهُ صَدْرَ مَنْ أَرَادَ إِضْلَالَهُ ضَيْقًا حَرَجًا، كَذَلِكَ يُسَلِّطُ اللَّهُ الشَّيْطَانَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَمْثَالِهِ مِمَّنْ أَبِي الْإِيمَانَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَيُغْوِيهِ وَيَصُدُّهُ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ (1).

قَالَ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: الرَّجْسُ: الشَّيْطَانُ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الرَّجْسُ: كُلُّ مَا لَا خَيْرَ فِيهِ. وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: الرَّجْسُ: الْعَذَابُ. (2)

### الضغط الجوي وآثاره:

قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّهَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: 125]

هذه الآية من دلائل الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ومن دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام، فقد أثبت علم طب الطيران والفضاء أن تعرض الإنسان للارتفاعات العالية عندما يصعد من سطح الأرض إلى الطبقات العلوية في السماء يحدث له أعراضاً عضوية، تتدرج من الشعور بالضيق الذي يتركز في منطقة الصدر حتى يصل إلى المرحلة الحرجة التي ذكرها القرآن الكريم:

(1) تفسير الطبري (110/12).

(2) تفسير ابن كثير ص 337/336 المكتبة الشاملة

﴿يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ﴾ ، وذلك أنه كلما استمرَّ في الارتفاع انخفضَ الضغطُ الجوي، ونقصَ الأكسجينُ.

إنَّ الإنسانَ إذا ارتفعَ عن مستوى سطحِ البحرِ إلى عشرةِ آلافِ قدمٍ لم يشعُرْ بشيءٍ من أعراضِ نقصِ الأكسجينِ، وخفضِ الضغطِ، أمَّا إذا تجاوزَ عشرةَ آلافِ قدمٍ إلى ستةِ عشرَ ألفَ قدمٍ، فإننا نجدُ عندئذٍ ما زوَّدَ اللهُ به الجسمَ من أجهزةٍ تتكافأُ مع هذا التبدُّلِ في الضغطِ، وفي نقصِ الأكسجينِ، فإذا بقيَ في هذا المكانِ بين عشرةِ آلافِ قدمٍ وستةِ عشرَ ألفَ قدمٍ يزدادُ نبضُ قلبه، ووجيب رثتيه، ويرتفعُ ضغطه من أجل أن توفَّرَ هذه الأجهزةُ للجسمِ حاجتها من الأكسجينِ، أمَّا إذا تجاوزَ الإنسانُ ستةِ عشرَ ألفَ قدمٍ إلى خمسةِ وعشرينَ فإنَّ أجهزةَ الجسمِ عندئذٍ لا تفي بغرضها في هذا الارتفاعِ المفاجئِ، فما الذي يحصلُ؟ تظهرُ أعراضٌ، في مقدمتها ضيقُ الصدرِ، ﴿يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ﴾ .

أمَّا إذا ارتفعَ خمسةِ وعشرينَ ألفَ قدمٍ فأكثرَ فإنه يفقدُ الوعيَ عندئذٍ تماماً، لذلك فإنَّ الطائرةَ التي تحلِّقُ على ارتفاعِ أربعينَ ألفَ قدمٍ تكونُ مضغوطةً ثمانيةَ أمثالِ الهواءِ الذي عليها حين تكون على سطحِ الأرضِ، من أجل أن يكونَ الضغطُ الجويُّ في الطائرةِ موافقاً لما هو عليه حين يكون على سطحِ الأرضِ، وإلا غابَ الرُّكَّابُ عن الوعيِ تماماً، وهذه الآيةُ من أدلةِ الإعجازِ العلميِّ في القرآنِ الكريمِ، ومن أدلةِ نبوةِ النبيِّ عليه الصلاة والسلامِ.

هذه أعراضُ نقصِ الأكسجينِ، فماذا عن أعراضِ انخفاضِ الضغطِ؟

قال العلماءُ: "إنَّ كلَّ الغازاتِ في الجسمِ تتمدَّدُ مع انخفاضِ الضغطِ، ومع تمدُّدها تتمرَّقُ الأنسجةُ والأجهزةُ، وتتهتكُ الرئتان، ويتهتكُ القولون، وتهتكُ الأذنُ الوسطى، فإنَّ انخفاضَ الضغطِ له آثارٌ خطيرةٌ، منها آلامُ البطنِ التي لا تُحتمَلُ، ولا سيَّما آلامُ القولونِ، وكذا آلامُ الرئتين، وآلامُ الأذنِ، وآلامُ المفاصلِ، هذه كلها أعراضُ نقصِ الضغطِ، فهل صعدَ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم إلى السماءِ فقال هذا الكلامُ؟ هل صعدَ أحدٌ في حياته؟ هل ركبَ الطائرةَ أحدٌ في حياته حتى وصفَ هذه الأعراضَ؟ يقول اللهُ عز وجل: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام:125]

لذلك قال سيدنا علي رضي اللهُ عنه: (في القرآنِ الكريمِ آياتٌ لما تُفسَّرُ).

بعَدَ أَنْ تَقَدَّمَ الْعِلْمُ، وَرَكِبَ الْإِنْسَانُ الطَّائِرَةَ وَالْمُنطَادَ، وَصَعَدَ بِهِمَا فِي طَبَقَاتِ الْجَوِّ الْعُلْيَا كَشَفَتْ هَذِهِ الْحَقَائِقَ، وَحِينَمَا تَرَكِبُ الطَّائِرَةَ لَا تَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، لِأَنَّ أَجْهَزَةَ الطَّائِرَةِ قَدْ ضَعَطَتْ الْهَوَاءَ ثَمَانِيَةَ أَمْثَالٍ، لِيَكُونَ الضَّغْطُ الْجَوِّيُّ وَنِسْبَةُ الْأَكْسِجِينِ مُوَافِقَةً لِمَا هِيَ عَلَيْهِ فِي سَطْحِ الْأَرْضِ، فَلَوْ تَعَطَلَتْ أَجْهَزَةُ الضَّغْطِ فَجَاءَتْ فِي الْجَوِّ فَلَا بَدَّ لِلطَّيَارِ أَنْ يَهْبِطَ اضْطِرَارًا لئَلَّا يَمُوتَ الرُّكَّابُ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّهَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾.

وَقَدْ عُرِضَ بَحْثٌ عَنْهُ: الضَّغْطُ الْعَالِيَةُ، وَبَدَأَ بِتَعْرِيفِ وَحْدَةِ الضَّغْطِ، وَهُوَ الضَّغْطُ الْجَوِّيُّ الَّذِي يَسَاوِي أَلْفًا وَثَلَاثَةً وَثَلَاثِينَ غَرَامًا عَلَى السَّنْتِمِترِ الْمُرَبَّعِ، وَهُوَ وَزْنُ سِتَّةِ وَسَبْعِينَ سَنْتِمِترًا مَكْعَبًا مِنَ الزُّبُقِ، هَذَا الضَّغْطُ الْجَوِّيُّ هُوَ وَحْدَةُ قِيَاسِ الضَّغْطِ، وَنَعْلَمُ أَنَّ مَسَاحَةَ جِسْمِ الْإِنْسَانِ مِنْ مِترٍ إِلَى مِترَيْنِ، حَيْثُ يَتَحَمَّلُ ضَغْطًا فَوْقَهُ مِنْ عَشْرَةٍ إِلَى عَشْرِينَ طَنًا دُونَ أَنْ يَشْعَرَ، وَنَحْنُ جَمِيعًا فِي قَاعِ بَحْرِ مَلُوءِ الْهَوَاءِ، وَكُلُّ مَنْ يَحْمَلُ فَوْقَهُ مِنْ عَشْرَةٍ إِلَى عَشْرِينَ طَنًا مِنَ الضَّغْطِ الْجَوِّيِّ، هَذِهِ وَحْدَةُ الضَّغْطِ.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّ ضَغْطَ بَاطِنِ الْأَرْضِ ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَسِتْمِئَةَ مِليُونِ ضَغْطِ جَوِّيٍّ، كَمَا أَنَّ ضَغْطَ بَاطِنِ الشَّمْسِ مِئَةَ بِلْيُونِ ضَغْطِ جَوِّيٍّ، وَهَنَّاكَ نَجْمٌ نَتْرَوِيٌّ كَانَ بِحِجْمِ الشَّمْسِ فَصَارَ قُطْرُهُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ كِيلُو مِترًا، ضَغْطُهُ مِليُونِ مِليُونِ بِلْيُونِ ضَغْطِ جَوِّيٍّ، هَذِهِ هِيَ الضَّغْطُ الْعَالِيَةُ. إِنَّ أَوْسَى عَنصرٍ مَضْغُوطٍ فِي الْأَرْضِ هُوَ الْمَاسُ، فَإِنَّهُ مَضْغُوطٌ أَرْبَعَةَ مِلايينِ ضَغْطِ جَوِّيٍّ، بَلْ هُوَ أَكْثَرُ مِنَ الضَّغْطِ مَرَكِزِ الْأَرْضِ، لَكِنَّ بَعْضَ الْهَيْئَاتِ الْعِلْمِيَّةِ اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَضْغَطَ الْفَحْمَ الْعَادِيَّ خَمْسَةَ آلَافِ ضَغْطِ جَوِّيٍّ بِحَرَارَةِ أَلْفِي دَرَجَةٍ، فَجَعَلَتْهُ مَاسًا صِنَاعِيًّا، وَالْمَاسُ الصِنَاعِيُّ الَّذِي فِي الْأَسْوَاقِ هُوَ فَحْمٌ ضَغْطُ خَمْسَةَ آلَافِ ضَغْطِ جَوِّيٍّ بِحَرَارَةِ أَلْفِي دَرَجَةٍ.

وَقَدْ اكْتَشَفَ عُلَمَاءُ الطَّبِّ أَنَّ الْأَدْوِيَةَ السَّائِلَةَ أَنْفَعُ مِنَ الْأَدْوِيَةِ الْمَضْغُوطَةِ، لِأَنَّ الضَّغْطَ قَدْ يُوَثِّرُ عَلَى بُنْيَةِ الْمَادَةِ.

ثَمَّةَ حَقِيقَةٌ أَضْعَفُهَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ، نَسْتَفِيدُ مِنْهَا فِي الْأُمُورِ النَّفْسِيَّةِ، وَهِيَ أَنَّ أَكْبَرَ جَوْهَرَةٍ فِي الْعَالَمِ ثَمْنُهَا مِئَةُ وَأَرْبَعُونَ مِليُونِ دُولَارٍ، لَوْ جُنَّتْ بِفَحْمَةٍ فِي حَجْمِهَا، وَوَازَنْتْ بَيْنَهُمَا وَجَدْتَ أَنَّ الضَّغْطَ الْعَالِيَةَ تُحِيلُ الْفَحْمَ إِلَى مَاسٍ.

إذا آمنَ المؤمنُ بالله، وآمنَ برسوله، وعاشَ لقضيةٍ كبرى، وتحملَ ضغوطاً عاليةً؛ فإنَّ هذه الضغوطُ تُحيلُه إلى إنسانٍ مُتألِّقٍ.

هذا فحمٌ عاديٌّ، لا تساوي القطعةُ منه قرشاً واحداً، تصبحُ بالضغطِ العاليةِ قطعةً ماسٍ لا تُقدَّرُ بثمنٍ.

إنَّ الاسترخاءَ، والاستجمامَ، والانسياقَ وراءَ الشهواتِ واللذاتِ هذه لا تصنعُ إيماناً، ولا بطولةً، ولا تقوُّقاً، ولكنَّ الضغوطَ في سبيلِ الله تجعلُ الإنسانَ متألِّقاً.

يمكن بهذا أن نستفيدَ من هذا المثالِ الفيزيائيِّ في علاقاتنا مع الله عز وجل، فإنَّ النبي عليه الصلاة والسلام عاش حياةً مفعمةً بالضغطِ، فقد هاجرَ، وذاقَ ألوانَ العذابِ، وكلما ذاقَ منها شيئاً ازدادَ قريباً من الله عز وجل، وإنَّ الأمرَ لا يتَّسعُ إلا إذا ضاقَ، وإنَّ الصبحَ لا يتنفَّسُ إلا بعدَ ليلٍ حالِكٍ، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ<sup>ط</sup>﴾ [البقرة: 216]<sup>(1)</sup>.

ومن خلال عرض تفسير الآيات من كتب المتقدمين وأقوال المتأخرين في إعجاز هذه الآيات يتبين لنا أن لا تعارض بين التفسيرين وأن الاكتشاف العلمي لا يلغي تفسير السابقين ولكن له وجه دلالة واضحة في الإعجاز العلمي.

(1) الكتاب: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المؤلف: محمد راتب النابلسي، الناشر: دار المكتبي-

سورية - دمشق - الحلبيوني - جادة ابن سينا، الطبعة: الثانية 1426 هـ - 2005 م. عدد الأجزاء: 2

## الفصل الثالث

نماذج من الآيات التي لم تنطبق عليها الضوابط:<sup>(1)</sup>

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: النموذج الأول: (السموات السبع هي المجموعة الشمسية التي تتكون من سبعة كواكب).

المبحث الثاني: النموذج الثاني: (الطير الأبائيل وحجارة السجيل)

المبحث الثالث: النموذج الثالث: (نظرية التطور)

المبحث الرابع: النموذج الرابع: ﴿لَتَرَكُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق:19]

المبحث الخامس: النموذج الخامس: (بيت العنكبوت)

---

(1) منقول بتصرف من مقال للدكتور خالد بن عثمان السبت من موقعه على الشبكة العنكبوتية (نماذج من التفسير

## المبحث الأول

### النموذج الأول: (السموات السبع هي المجموعة الشمسية التي تتكون من سبعة كواكب)

النظرة التي تقول أن المجموعة الشمسية، مجموعتنا الشمسية، تتكون من سبع كواكب، وفسروا بذلك السماوات السبع، كيف يكون هذا؟ ثم جاء علماء الفلك بعد ذلك، واكتشفوا عدداً آخر من الكواكب، فأصبحت عشراً، فهل السماوات عشر سماوات؟ وهنا واضح عدم توفر ضابط الحقيقة العلمية حيث انبنى هذا القول على نظرية غير ثابتة لم تلبث أن دحضت بحقيقة أخرى.

ورد في تفسير الطبري: في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [نوح:15].

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل نوح صلوات الله وسلامه عليه، لقومه المشركين بربهم، محتجاً عليهم بحجج الله في وحدانيته: (أَلَمْ تَرَوْا) أيها القوم فتعجبوا (كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا) بعضها فوق بعض، والطباق: مصدر من قولهم: طبقت مطابقة وطباقاً. وإنما عني بذلك: كيف خلق الله سبع سموات، سماء فوق سماء مطابقة.

## المبحث الثاني

### النموذج الثاني: (الطير الأبايل وحجارة السجيل)

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الفيل:4]

الطير الأبايل: الذباب، أو البعوض أو الميكروبات.

وحجارة السجيل: هي الجراثيم التي تنقل الأمراض الفتاكة.

كذلك جاء من يقول: بأن الطير الأبايل يمكن أن تكون من جنس الذباب، أو البعوض أو

الميكروبات، والحجارة المذكورة بقوله: ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الفيل:4]، هي الجراثيم التي تنقل الأمراض الفتاكة.

الإمام محمد عبده رحمه الله الذي يبدي بعض التحفظ ويقول: ينبغي التريث في التفسير

العلمي، يقول: فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض، أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض، وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذي تحمله الرياح، فيعلق بأرجل هذه الحيوانات فإذا اتصل بجسد دخل في مسامه، فأثار فيه تلك القروح التي تنتهي بفساد الجسم وتساقط لحمه: ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ .

وهذا قاله أيضًا بعض من يتحفظ إزاء التفسير العلمي مثل المراغي، وقاله آخرون مثل محمد

فريد وجدي، والفراهي.

ولا يخفى ما في هذا القول من التعسف والتكلف وتحميل الألفاظ ما لا تحتمل.

ورد في تفسير الطبري: وقوله: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ يقول تعالى ذكره: وأرسل

عليهم ريك طيرا متفرقة، يتبع بعضها بعضا من نواح شتي؛ وهي جماع لا واحد لها، مثل الشمايط والعباديد ونحو ذلك. وزعم أبو عبيدة معمر بن المثنى، أنه لم ير أحدا يجعل لها واحدا. وقال الفراء: لم أسمع من العرب في توحيدها شيئا. قال: وزعم أبو جعفر الرؤاسي، وكان ثقة، أنه سمع أن واحدها: إبالة. وكان الكسائي يقول: سمعت النحويين يقولون: إبول، مثل العجول. قال: وقد سمعت بعض النحويين يقول. واحدها: أبيل.

وينحو الذي قلنا في الأبايل: قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا سوار بن عبد الله، قال: ثنا يحيى بن سعيد، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن عاصم بن بهدلة، عن زر، عن عبد الله، في قوله: ﴿طَيْرًا أَبَائِيلَ﴾ قال: فرق.

عن ابن عباس، في قوله: ﴿طَيْرًا أَبَائِيلَ﴾ قال: يتبع بعضها بعضها.

عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل، أنه قال في: ﴿طَيْرًا أَبَائِيلَ﴾ قال: هي الأفاطيع، كالإبل المؤبلة.

عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي ﴿طَيْرًا أَبَائِيلَ﴾ قال: متفرقة.

عن الحسن ﴿طَيْرًا أَبَائِيلَ﴾ قال: الكثيرة.

عن مجاهد في قول الله: ﴿أَبَائِيلَ﴾ قال: هي شتى متتابعة مجتمعة.

عن قتادة قال: الأبايل: الكثيرة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد؛ في قوله: ﴿طَيْرًا أَبَائِيلَ﴾ قال:

الأبايل: المختلفة، تأتي من ها هنا، وتأتي من ها هنا، أتتهم من كل مكان.

وذكر أنها كانت طيرا أخرجت من البحر. وقال بعضهم: جاءت من قبل البحر.

ثم اختلفوا في صفتها، فقال بعضهم: كانت بيضاء.

وقال آخرون: كانت سوداء.

وقال آخرون: كانت خضراء، لها خرطوم كخرطوم الطير، وأكف كأكف الكلاب.

وقوله: ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾: يقول تعالى ذكره: ترمي هذه الطير الأبايل التي

أرسلها الله على أصحاب الفيل، بحجارة من سجيل.

ذكر من قال ذلك:

عن ابن عباس ﴿بِحِجَارَةٍ مِّن سَجِيلٍ﴾ قال: طين في حجارة.

عن شرقي، قال: سمعت عكرمة يقول: ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سَجِيلٍ﴾ قال: سنك وكل.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن عكرمة، قال: كانت ترميهم بحجارة معها، قال: فإذا أصاب أحدهم خرج به الجدي، قال: كان أول يوم روى فيه الجدي؛ قال: لم ير قبل ذلك اليوم، ولا بعده.

عن موسى بن أبي عائشة، قال: كانت الحجارة التي رموا بها أكبر من العدسة؛ وأصغر من الحمصة.

عن عكرمة، عن ابن عباس: سجيل بالفارسية: سنك وكل، حجر وطين.

عن جابر بن سابط، قال: هي بالأعجمية: سنك وكل.

عن قتادة، قال: كانت مع كل طير ثلاثة أحجار: حجران في رجليه، وحجر في منقاره، فجعلت ترميهم بها.

عن قتادة، قال: هي طير بيض، خرجت من قبل البحر، مع كل طير ثلاثة أحجار: حجران في رجليه، وحجر في منقاره، ولا يصيب شيئاً إلا هشمه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا عمرو بن الحارث بن يعقوب أن أباه أخبره أنه بلغه أن الطير التي رمت بالحجارة، كانت تحملها بأفواهها، ثم إذا ألقتهما نفض لها الجلد.

وقال آخرون: معنى ذلك: ترميهم بحجارة من سماء الدنيا.

\* نكر من قال ذلك:

قال ابن زيد، في قوله: ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سَجِيلٍ﴾ قال: السماء الدنيا، قال: والسماء الدنيا

اسمها سجيل، وهي التي أنزل الله جل وعز على قوم لوط.

عن سعيد بن أبي هلال، أنه بلغه أن الطير التي رمت بالحجارة، أنها طير تخرج من البحر، وأن سجيل: السماء الدنيا. وهذا القول الذي قاله ابن زيد لا نعرف لصحته وجها في خبر ولا عقل، ولا لغة، وأسماء الأشياء لا تترك إلا من لغة سائرة، أو خبر من الله تعالى ذكره.<sup>(1)</sup>

يقول سيد قطب رحمه الله بعد أن أورد ما ذكرناه سابقا من تفسير الإمام محمد عبده رحمه الله:

ونحن لا نرى أن هذه الصورة التي افترضها الأستاذ الإمام - صورة الجدي أو الحصبة من طين ملوث بالجراثيم - أو تلك التي جاءت بها بعض الروايات من أن الحجارة ذاتها كانت تخرق الرؤوس والأجسام وتتفذ منها وتمزق الأجساد فتدعها كفتات ورق الشجر الجاف وهو «العصف» .. لا نرى أن هذه الصورة أو تلك أدل على قدرة الله، ولا أولى بتفسير الحادث. فهذه كتلك في نظرنا من حيث إمكان الوقوع. ومن حيث الدلالة على قدرة الله وتدبيره، ويستوي عندنا أن تكون السنة المألوفة للناس، المعهودة المكشوفة لعلمهم، هي التي جرت فأهلكت قوما أراد الله إهلاكهم. أو أن تكون سنة الله قد جرت بغير المألوف للبشر، وغير المعهود المكشوف لعلمهم، فحققت قدره ذاك.

إن سنة الله ليست فقط هي ما عهده البشر وما عرفوه. وما يعرف البشر من سنة الله إلا طرفا يسيرا يكشفه الله لهم بمقدار ما يطيقون، وبمقدار ما يتهيأون له بتجاربههم ومداركهم في الزمن الطويل، فهذه الخوارق - كما يسمونها - هي من سنة الله. ولكنها خوارق بالقياس إلى ما عهدوه وما عرفوه! ومن ثم فنحن لا نقف أمام الخارقة مترددين ولا مؤولين لها - متى صحت الرواية - أو كان في النصوص وفي ملابسات الحادث ما يوحي بأنها جرت خارقة، ولم تجر على مألوف الناس ومعهودهم. وفي الوقت ذاته لا نرى أن جريان الأمر على السنة المألوفة أقل وقعا ولا دلالة من جريانه على السنة الخارقة للمألوف. فالسنة المألوفة هي في حقيقتها خارقة بالقياس إلى قدرة البشر .. إن طلوع الشمس وغروبها خارقة - وهي معهودة كل يوم - وإن ولادة كل طفل خارقة - وهي تقع كل لحظة، وإلا فليجرب من شاء أن يجرب! وإن تسليط طير - كائنا ما كان - يحمل حجارة مسحوقة ملوثة بميكروبات الجدي والحصبة وإلقائها في هذه الأرض، في هذا الأوان، وإحداث هذا الوباء في الجيش، في اللحظة التي يهيم فيها باقتحام البيت .. إن جريان قدر الله على هذا النحو

(1) ينظر تفسير الطبري ص 605-609 المكتبة الشاملة.

خارقة بل عدة خوارق كاملة الدلالة على القدرة وعلى التقدير. وليست بأقل دلالة ولا عظمة من أن يرسل الله طيرا خاصا يحمل حجارة خاصة تفعل بالأجسام فعلا خاصا في اللحظة المقررة.. هذه من تلك..

هذه خارقة وتلك خارقة على السواء..

فأما في هذا الحادث بالذات، فنحن أميل إلى اعتبار أن الأمر قد جرى على أساس الخارقة غير المعهودة، وأن الله أرسل طيرا أبابيل غير معهودة- وإن لم تكن هناك حاجة إلى قبول الروايات التي تصف أحجام الطير وأشكالها وصفا مثيرا، نجد له نظائر في مواضع أخرى تشي بأن عنصر المبالغة والتهويل مضاف إليها! - تحمل حجارة غير معهودة، تفعل بالأجسام فعلا غير معهود..

نحن أميل إلى هذا الاعتبار. لا لأنه أعظم دلالة ولا أكبر حقيقة. ولكن لأن جو السورة وملابسات الحادث تجعل هذا الاعتبار هو الأقرب. فقد كان الله- سبحانه- يريد بهذا البيت أمرا. كان يريد أن يحفظه ليكون مثابة للناس وأمنا وليكون نقطة تجمع للعقيدة الجديدة تزحف منه حرة طليقة، في أرض حرة طليقة، لا يهيمن عليها أحد من خارجها، ولا تسيطر عليها حكومة قاهرة تحاصر الدعوة في محضنها. ويجعل هذا الحادث عبرة ظاهرة مكشوفة لجميع الأنظار في جميع الأجيال، حتى ليتمن بها على قريش بعد البعثة في هذه السورة، ويضربها مثلا لرعاية الله لحرماته وغيرته عليها.. فمما يتناسق مع جو هذه الملابسات كلها أن يجيء الحادث غير مألوف ولا معهود، بكل مقوماته وبكل أجزائه ولا داعي للمحاولة في تغليب صورة المألوف من الأمر في حادث هو في ذاته وبملابساته مفرد فذ..

وبخاصة أن المألوف في الجدي أو الحصبة لا يتفق مع ما روي من آثار الحادث بأجسام الجيش وقائده، فإن الجدي أو الحصبة لا يسقط الجسم عضوا عضوا وأنملة أنملة، ولا يشق الصدر عن القلب..

وهذه الصورة هي التي يوحى بها النص القرآني: «فجعلهم كعصف مأكول» .. إحياء مباشرا قريبا.

ورواية عكرمة وما حدث به يعقوب بن عتبة ليست نسا في أن الجيش أصيب بالجدي. فهي لا تزيد على أن تقول: إن الجدي ظهر في الجزيرة في هذا العام لأول مرة. ولم ترد في أقوالهما أية

إشارة لأبرهة وجيشه خاصة بالإصابة بهذا المرض.. ثم إن إصابة الجيش على هذا النحو وعدم إصابة العرب القريبين بمثله في حينه تبدو خارقة إذا كانت الطير تقصد الجيش وحده بما تحمل. وما دامت المسألة خارقة فعلام العناء في حصرها في صورة معينة لمجرد أن هذه الصورة مألوفة لمدارك البشر! وجريان الأمر على غير المألوف أنسب لجو الحادث كله؟!<sup>(1)</sup>.

وفي رد سيد رحمه الله بيان شاف لبطلان ذلك القول.

---

(1) في ظلال القرآن المجلد السادس ص 3977 - 3979 المكتبة الشاملة.

## المبحث الثالث

### النموذج الثالث: (نظرية التطور)

يقول الدكتور مصطفى محمود رحمه الله في كتابه القرآن محاولة لفهم عصري:

وفي سورة الأعراف يروي بتفصيل أكثر: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ

أَسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ۗ﴾ [الأعراف:11]

وفي هذه الآية يحدد أن خلق الإنسان تم على مراحل زمنية ﴿... خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ

قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ أَسْجُدُوا لِآدَمَ ...﴾ [الأعراف:11].

والزمن بالمعنى الإلهي طويل جدا: ﴿... وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ

﴾ [الحج:47]

وفي مكان آخر: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ

سَنَةٍ﴾ [المعارج:4].

هذه إذن أيام الله وهي شيء كالآباد والأحقاب بالنسبة لنا، فإذا قال الله خلقناكم ثم صورناكم ..

ثم الصورة بتخليق آدم فقلنا للملائكة اسجدوا لآدم معنى هذا أن آدم جاء عبر مراحل من التخليق والتصوير والتسوية استغرقت ملايين السنين بزماننا وأياما بزمن الله الأبدي.

﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ أَطْوَارًا ۗ﴾ [نوح:14].

ومعناها أنه كانت هناك قبل آدم صور وصنوف من الخلائق جاء هو ذر لها.

ويقول في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَّةٍ مِّنْ طِينٍ ۗ﴾ [المؤمنون:12].

وهي إشارة صريحة إلى أن الانسان لم يخلق من الطين ابتداء، وإنما خلق من سلالات جاءت

من الطين، هناك مرحلة متوسطة بين الانسان والطين هي سلالات عديدة متلاحقة كانت تمهيدا لظهور نوع الانسان المتفوق.

تعليق الدكتور خالد السبب على كلام الدكتور مصطفى محمود رحمه الله:

"وهذا مصطفى محمود له كتاب اسمه: "القرآن محاولة لفهم عصري"، يتكلم عن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ [الأعراف:11]

يتكلم عن خلق الإنسان وأطوار خلق الإنسان، ويقول: بأن عملية الخلق والتصوير لآدم استمرت ملايين السنين، ملايين السنين، نحن نعرف أن الله خلقه في يوم الجمعة، في آخر ساعةٍ منها، يقول: ملايين السنين، وأن هذا الخلق لآدم عليه السلام المقصود بقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح:14]

يقول: بأن الإنسان مرّ بمراحل في التطور في الخلق، نظرية التطور يقول: دل عليه القرآن بقوله -تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح:14]<sup>(1)</sup>.

وهذا القول يصادم حقيقة شرعية وهي خلق الإنسان من طين ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم مرحلة العظام التي تكسى باللحم كما نصت على ذلك الآيات الكريمة. لذا فإن هذا القول مرفوض ومناقض للضوابط التي تحكم الإعجاز كي لا ينحرف عن مسار الهداية التي أنزل من أجلها الكتاب العزيز.

#### ملاحظة مهمة:

لعل الدكتور مصطفى محمود قد تراجع عن قوله هذا أو أنه فهم عنه غير ما قصده، وله توضيح في مقطع فيديو على اليوتيوب يبين فيه معارضته لنظرية داروين<sup>(2)</sup>.

ورد في تفسير الطبري: وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح:14]

يقول: وقد خلقكم حالا بعد حال، طورا نطفة، وطورا علقة، وطورا مضغة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

(1) منقول بتصرف من مقال للدكتور خالد بن عثمان السبت من موقعه على الشبكة العنكبوتية (نماذج من

التفسير العلمي) <https://khaledalsabt.com/lectures>

(2) رابط المقطع [https://www.youtube.com/watch?v=RteOjTTA\\_bY](https://www.youtube.com/watch?v=RteOjTTA_bY)

\* ذكر من قال ذلك:

عن ابن عباس، قوله: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ يقول: نطفة، ثم علقة، ثم مضغة.

عن مجاهد ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ قال: من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم ما ذكر حتى يتم خلقه.

عن قتادة: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ طورا نطفة، وطورا علقة، وطورا عظاما، ثم كسا العظام لحما، ثم أنشأه خلقا آخر، أنبت به الشعر، فتبارك الله أحسن الخالقين.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ قال: طورا النطفة، ثم طورا أمشاجا حين يمشج النطفة الدم، ثم يغلب الدم على النطفة، فتكون علقة، ثم تكون مضغة، ثم تكون عظاما، ثم تكسى العظام لحما.

عن مجاهد، في قوله: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ قال: نطفة، ثم علقة، شيئا بعد شيء.<sup>(1)</sup>

ونلاحظ أن تفسير آيات مراحل خلق الإنسان وفق نظرية التطور مجانبا للتفسير الصحيح ومخالف لحقيقة شرعية مقررة.

(1) تفسير الطبري ص 635/636 المكتبة الشاملة.

## المبحث الرابع

### النموذج الرابع: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: 19]

وفي قوله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: 19]، هذه الآيات ظاهرها والسياق كله في اليوم الآخر، هؤلاء يقولون: بأن هذا يدل على المحاولات الحديثة لاكتشاف القمر والصعود إليه، والوصول إلى النجوم وما أشبه ذلك، ويتكلمون عن المراكب الفضائية التي تحمل الإنسان .. إلخ، وأن السلطان المقصود بالآية: ﴿لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾، يعني: هو العلم، وأن العلم عند الناس حاضر الآن، الشيخ محمد أمين الشنقيطي صاحب كتاب: "أضواء البيان" رد على هؤلاء في هذه القضية وقال: "كذلك ما يزعم ما لا علم عنده بمعنى كتاب الله -جل وعلا- من أنه تعالى أشار إلى أن أهل الأرض سيصعدون إلى السماوات واحدةً بعد أخرى بقوله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ زاعماً أن معنى الآية الكريمة: لتركبن أيها الناس طبقاً أي سماءً عن طبقٍ أي بعد سماء حتى تصعدوا فوق السماوات فهو أيضاً جهل بكتاب الله وحمل له على غير ما يراد به".

وهنا يتبين بعد هذا القول عن أقوال السلف ومحاولة التكلف بما يوافق رأي من يزعم ذلك من غير برهان واضح.

### ورد في تفسير الطبري: وقوله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: 19]

اختلفت القراء في قراءته، فقرأه عمر بن الخطاب وابن مسعود وأصحابه وابن عباس وعامة قراء مكة والكوفة (لَتَرْكَبُنَّ) بفتح التاء والباء. واختلف قارئو ذلك كذلك في معناه، فقال بعضهم: لتركبن يا محمد أنت حالا بعد حال، وأمرًا بعد أمر من الشدائد.

\* نكر من قال ذلك:

عن مجاهد، أن ابن عباس كان يقرأ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ يعني نبيكم صلى الله عليه وسلم حالا بعد حال.

عن أبي إسحاق، عن رجل حدثه، عن ابن عباس في ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ قال: منزلاً بعد منزل.

قال ثنا وكيع، عن نصر، عن عكرمة، قال: حالا بعد حال.

عن مجاهد، قوله ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ قال: لتركبن الأمور حالا بعد حال.

عن قتادة، قوله ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ يقول: حالا بعد حال، ومنزلا عن منزل.

عن مجاهد ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ قال: أمرا بعد أمر.

وقال آخرون ممن قرأ هذه المقالة، وقرأ هذه القراءة عني بذلك: لتركبن أنت يا محمد سماء بعد

سماء.

\* ذكر من قال ذلك:

قال الحسن وأبو العالية ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾

السموات.

عن مسروق ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ قال: أنت يا محمد سماء عن سماء.

عن الشعبي، قال: سماء بعد سماء.

عن علقمة، عن عبد الله، قال: سماء فوق سماء.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لتركبن الآخرة بعد الأولى.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾

قال: الآخرة بعد الأولى.

وقال آخرون ممن قرأ هذه القراءة: إنما عني بذلك أنها تتغير ضروريا من التغيير، وتشقق

بالغمام مرة وتحمر أخرى، فتصير وردة كالدهان، وتكون أخرى كالمهل.

ذكر من قال ذلك:

عن ابن مسعود ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ قال: السماء مرة كالدهان، ومرة تشقق.

عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عبد الله في قوله ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ قال: هي السماء تغبر وتحمر وتشقق.

عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عبد الله، قال: هي السماء تغير لونا بعد لون.

وقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ بالتاء، وبضم الباء على وجه الخطاب للناس كافة أنهم يركبون أحوال الشدة حالا بعد حال. وقد ذكر بعضهم أنه قرأ ذلك بالياء وبضم الباء، على وجه الخبر عن الناس كافة، أنهم يفعلون ذلك.

وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب: قراءة من قرأ بالتاء وبفتح الباء،

لأن تأويل أهل التأويل من جميعهم بذلك ورد وإن كان للقراءات الأخر وجوه مفهومة. وإذا كان الصواب من القراءة في ذلك ما ذكرنا فالصواب من التأويل قول من قال ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ أنت يا محمد حالا بعد حال، وأمر بعد أمر من الشدائد. والمراد بذلك - وإن كان الخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم موجهاً - جميع الناس، أنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأهواله أحوالا.

وإنما قلنا: عني بذلك ما ذكرنا أن الكلام قبل قوله ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ جرى بخطاب الجميع، وكذلك بعده، فكان أشبه أن يكون ذلك نظير ما قبله وما بعده.

وقوله: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ من قول العرب: وقع فلان في بنات طبق: إذا وقع في أمر

شديد<sup>(1)</sup>.

(1) ينظر تفسير الطبري ص 322 - 326 المكتبة الشاملة.

## المبحث الخامس

### النموذج الخامس: ( بيت العنكبوت )

انظر إلى هذا يتكلم عن قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: 41].

يقول لاحظ أنه قال: ﴿أَوْهَنَ الْبُيُوتِ﴾ ما قال: أوهن الخيوط، يقول: لأن خيوط العنكبوت أقوى من الفولاذ التي تنسج الخيوط أقوى من الفولاذ، لكنه قال: أوهن البيوت، فيقول: بأن هذه الخيوط تعدل الصلب، أقوى من الصلب أربع مرات، فالوهن، طبعاً لا أدري هذا الصلب يعني نظيرها لا بد أن يكون دقيق مثلها فالوهن إذاً في البيت لا في الخيط ثم يقول: أن العلم اكتشف أيضاً الآن أشياء أن بيت العنكبوت أسوأ ملجأ لمن أراد أن يلجأ إليه من الحشرات أو غيرها، لماذا؟ يقول: لأنه مصيدة لمن يقع فيه من الزوار الغرياء، وهو مقتل حي لأهله، فالعنكبوت الأنثى تفترس زوجها بعد التلقيح كما أنها تأكل أولادها عند الفقس، كما أن الأولاد يأكل بعضهم بعضاً، فتأمل هذه الرابطة الأسرية الواهنة لتجد أن العلاقة العائلية معدومة وأنها إن وجدت فهي تتصف بالوحشية والافتراس والعدوان ومن هنا قال: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ هذه ما يبغي لها هذا كله، بيت العنكبوت معروف، ضعيف جداً، والعرب تفهم المراد<sup>(1)</sup>.

قلت والله أعلم: والذي ينكر في هذا القول ادعاء قوة خيط العنكبوت وأن الوهن المذكور ينحصر في العلاقات الأسرية نقول وإن كان قد اكتشف فرضاً ضعف العلاقات في بيت العنكبوت فهذا لا ينفي ضعف بيت العنكبوت بل الشاهد القرآني أن بيت العنكبوت لا يغني شيئاً عنه لوهونه كما لا تغني الآلهة عن من يعبدها شيئاً.

(1) منقول بتصرف من مقال للدكتور خالد بن عثمان السبت من موقعه على الشبكة العنكبوتية (نماذج من التفسير

ورد في تفسير الطبري: "القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: 41]

يقول تعالى ذكره: مثل الذين اتخذوا الآلهة والأوثان من دون الله أولياء يرجون نصرها ونفعها عند حاجتهم إليها في ضعف احتيالهم، وقبح رواياتهم، وسوء اختيارهم لأنفسهم، (كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ) في ضعفها، وقلة احتيالها لنفسها، (اتَّخَذَتْ بَيْتًا) لنفسها، كيما يكنها، فلم يغن عنها شيئاً عند حاجتها إليه، فكذلك هؤلاء المشركون لم يغن عنهم حين نزل بهم أمر الله، وحل بهم سخطه أولياؤهم الذين اتخذوهم من دون الله شيئاً، ولم يدفعوا عنهم ما أحل الله بهم من سخطه بعبادتهم إياهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

عن ابن عباس، قوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا...﴾ إلى آخر الآية، قال: ذلك مثل ضربه الله لمن عبد غيره، إن مثله كمثل بيت العنكبوت.

عن قتادة، قوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ﴾ قال: هذا مثل ضربه الله للمشرك مثل إلهه الذي يدعو من دون الله كمثل بيت العنكبوت واهن ضعيف لا ينفعه.

قال ابن زيد، في قوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ قال: هذا مثل ضربه الله، لا يغني أولياؤهم عنهم شيئاً، كما لا يغني العنكبوت بيتها هذا.

وقوله: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: لو كان هؤلاء الذين اتخذوا من دون الله أولياء، يعلمون أن أولياءهم

الذين اتخذوهم من دون الله في قلة غنائهم عنهم، كغناء بيت العنكبوت عنها، لكنهم يجهلون ذلك، فيحسبون أنهم ينفعونهم ويقربونهم إلى الله زلفى<sup>(1)</sup>.

وبهذا نكون قد سلطنا الضوء على الضوابط والمعايير الخاصة بإعجاز القرآن الكريم، وضربنا لذلك أمثلة، وعرضناها على تلك الضوابط، فما انطبق من تلك الضوابط عليها قبل وما لم تنطبق عليه لم يقبل في رأي الباحث.

ولولا أن يطول البحث لاستعرضنا جل الآيات التي ذكر فيها الإعجاز وعرضناها على تلك الضوابط لكن المقصود هو أخذ عينة فقط وعليها يقاس والله تعالى أجل وأعلم.

---

(1) ينظر تفسير الطبري ص 39/38 المكتبة الشاملة

## الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات

## الخاتمة

### النتائج:

من خلال هذه الدراسة خلصنا إلى النتائج الآتية:

- 1- ينبغي التوسط في مسألة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم من غير إفراط ولا تفريط.
- 2- يجب على الباحثين في مجال الإعجاز العلمي التحري عن الحقائق العلمية قبل ربطها بمسألة الإعجاز القرآن الكريم.
- 3- لا بد أن يكون الباحث في الأعجاز على علم كاف بعلوم الإعجاز.
- 4- عدم الاعتماد على النظريات العلمية حتى تثبت حقيقتها.
- 5- معرفة مكانة تفسير السلف وعدم الانتقاص منه.
- 6- الإعجاز العلمي وسيلة مهمة من وسائل الدعوة إلى الله في هذا العصر يجب الاستفادة منه.

### التوصيات:

- 1- استقصاء أمثلة الإعجاز العلمي من كتبه وموسوعاته وتطبيق الضوابط عليه.
- 2- أفراد بحوث خاصة بالضوابط المنهجية مع الأمثلة عليها.
- 3- تعويد الضوابط وجمع أدلتها من الكتاب والسنة.
- 4- مواكبة الاكتشافات الحديثة مع الالتزام بمعايير الإعجاز العلمي.
- 5- إنشاء أقسام متخصصة في الجامعات لدراسة الإعجاز العلمي.
- 6- تأهيل الدارسين في هذا المجال في العلوم المتعلقة بالإعجاز (العلوم الشرعية والعلوم الحديثة)

## الفهارس العامة

## فهرس الآيات القرآنية

م	الآية	رقمها	الصفحة
سورة البقرة			
1	﴿الَمْ ذَلِكِ الْكَتُبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾	2	70
2	﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	22	193
3	﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ مِثْلِهِ وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	23	23
4	﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾	24	23
5	﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾	49	179
6	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ .....﴾	146	152
7	﴿فَمَنْ أَضْطَرُّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾	173	21
8	﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ...﴾	177	35
9	﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾	179	17
10	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾	183	20
11	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	183	192
12	﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ...﴾	185	32
13	﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾	187	21
14	﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾	189	21
15	﴿يَسْطُلُونَكَ مِنَ الْأَهْلِ قُلٌّ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجُّ وَلَيْسَ الْبِرُّ﴾	189	123

م	الآية	رقمها	الصفحة
	بَانَ تَأْتُوا النَّبِيُّتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا النَّبِيُّتَ مِنْ أَدْبَارِهَا وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾		
16	﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾	195	193
17	﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾	216	229
18	﴿ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾	217	190
19	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ﴾	220	21
20	﴿ قُلْ هُوَ أَذَى فَاعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ﴾	222	194
21	﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَى وَآءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾	248	45
22	﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ... ﴾	274	45
23	﴿ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ... ﴾	285	32
<b>سورة آل عمران</b>			
24	﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١١٦﴾	12	24
25	﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَابِئًا بِأَلْقَاسٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨٠﴾	18	45
26	﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾	27	145
27	﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَمَهُمْ أَبْيَهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿١٤٤﴾	44	27
28	﴿ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ..... ﴾	49	58
29	﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢١﴾	62	27
30	﴿ وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾	97	21

م	الآية	رقمها	الصفحة
31	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾	190	47
32	﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾	191	100
<b>سورة النساء</b>			
33	﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾	1	190
34	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾	19	21
35	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾	58	20
36	﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾	82	167
37	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾	105	170
38	﴿لَكِنِ الرَّسُخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾	162	191
<b>سورة المائدة</b>			
39	﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةٌ﴾	1	21
40	﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾	2	192
41	﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	3	32
42	﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾	6	32
43	﴿فَاعْسَلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾	6	140
44	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ...﴾	15	1

م	الآية	رقمها	الصفحة
45	﴿ قَالَ يُوَيْلَتَى أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ ﴾	31	54
46	﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾	38	194
<b>سورة الأنعام</b>			
47	﴿ وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا آيَةً لَا يُؤْمِنُوهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾	25	65
48	﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾	38	48
49	﴿ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾	59	86
50	﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	109	53
51	﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾	125	225
52	﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾	134	54
53	﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرِ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ ... ﴾	141	34
54	﴿ فَمَنْ أَضَطَّرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾	145	33
55	﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيَّكُمْ عَلَيَّكُمْ إِلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرِزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ... ﴾	151	33
<b>سورة الأعراف</b>			
56	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾	11	238
57	﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾	31	34

م	الآية	رقمها	الصفحة
	أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ... ﴿٥٧﴾		
58	﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٨﴾	54	136
59	﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٩﴾	56	190
60	﴿قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴿٦٠﴾	73	53
<b>سورة الأنفال</b>			
61	﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٦١﴾	3	194
62	﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ ﴿٦٢﴾	6	196
63	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴿٦٣﴾	24	134
64	﴿وَلَا يَحْسِنَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِتْمَانَهُمْ لَا يُعْجِرُونَ ﴿٦٤﴾	59	54
65	﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ ۗ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مَن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٥﴾	60	49
<b>سورة التوبة</b>			
66	﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٦﴾	103	35
<b>سورة يونس</b>			
67	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۗ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾	5	97
68	﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٦٨﴾	36	153
69	﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ ﴿٦٩﴾	101	46

م	الآية	رقمها	الصفحة
	لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾		
سورة هود			
70	﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَاحِبًا قَالَ يُقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾	61	49
71	﴿قَالَتْ يَوَيْلَتَى ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾﴾	72	55
سورة يوسف			
72	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾	2	167
73	﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ... ﴿٨٠﴾﴾	80	17
74	﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَتَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾	102	27
سورة الرعد			
75	﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾	3	116
سورة إبراهيم			
76	﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾	1	38
77	﴿قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ- مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَنٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾﴾	10	53
78	﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَرَْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾	21	55
79	﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴿٢٣﴾﴾	23	193
سورة الحجر			
80	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾	9	1

م	الآية	رقمها	الصفحة
81	﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾	19	214
82	﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ فَاَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُمْ بِخَازِنِينَ﴾	22	113
83	﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾	29	98
84	﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ...﴾	94	17
<b>سورة النحل</b>			
85	﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾	44	170
86	﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾	53	193
87	﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾	64	170
88	﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾	89	102
89	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ...﴾	90	17
90	﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	97	35
91	﴿وَلَقَدْ تَعَلَّمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾	103	27
92	﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	106	33
<b>سورة الإسراء</b>			
93	﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾	9	36
94	﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ﴾	-23	33

م	الآية	رقمها	الصفحة
	عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَقْ وَلَا تَنْهَرَهُمَا ..... ﴿٤٠﴾	24	
95	﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ﴿٤١﴾	36	153
96	﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ ﴿٤٢﴾	41	31
97	﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ ﴿٤٣﴾	82	31
98	﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ ﴿٤٤﴾	88	23
<b>سورة الكهف</b>			
99	﴿تَحَنُّنٌ نَّقْضُ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾	13	28
100	﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ ﴿٤٥﴾	22	172
<b>سورة مريم</b>			
101	﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾	4	18
<b>سورة طه</b>			
102	﴿فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ﴿١١٤﴾	114	45
<b>سورة الأنبياء</b>			
103	﴿أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١١٥﴾	30	109
104	﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿١١٦﴾	69	58

م	الآية	رقمها	الصفحة
<b>سورة الحج</b>			
105	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾	1	194
106	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ...﴾	5	217
107	﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾	27	35
108	﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفَعَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَنَّمَا اللَّهُ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾	28	35
109	﴿... وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾	47	238
110	﴿الَّذِينَ تَرَىٰ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾	63	225
111	﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾	78	225
<b>سورة المؤمنون</b>			
112	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أُنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾	12	220
113	﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾	68	167
114	﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوزِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	101	35
<b>سورة النور</b>			
115	﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾	29	103
116	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَقَّعَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾	39	18

م	الآية	رقمها	الصفحة
	الْحِسَابِ ﴿٣٦﴾		
117	﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٤﴾﴾	40	135
118	﴿الَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوُدَّ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ...﴾	43	135
119	﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾	55	23
سورة الفرقان			
120	﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٍ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٧﴾﴾	35	111
121	﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٢٧﴾﴾	67	85
سورة الشعراء			
122	﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنُّظُرِينَ ﴿٢٣﴾﴾	32	58
123	﴿فَأَلْقَى مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا ءَأَمْنَا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾	-45 47	58
124	﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾	80	84
سورة النمل			
125	﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾	14	143
سورة القصص			
126	﴿تَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾﴾	3	27

م	الآية	رقمها	الصفحة
127	﴿قَدْ نَكَرَ بُرْهَنَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾ <sup>٣٢</sup>	32	53
128	﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَّذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ <sup>٤٦</sup>	46	27
129	﴿قُلْ فَاتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ <sup>٤٩</sup>	49	60
130	﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ <sup>٥٦</sup>	56	143
131	﴿وَأَتَّبِعْ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۗ وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۗ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ <sup>٧٧</sup>	77	34
<b>سورة العنكبوت</b>			
132	﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ <sup>٤١</sup>	41	244
133	﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ <sup>٤٥</sup>	45	35
134	﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ ۚ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ بِيَمِينِكَ إِذًا ۗ لِأَرْتَابِ الْمُبْطِلُونَ﴾ <sup>٤٨</sup>	48	27
<b>سورة الروم</b>			
135	﴿غُلِبَتِ الرُّومُ ۗ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۗ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۗ بِنَصْرِ اللَّهِ ۗ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ <sup>٥</sup>	5-2	25
136	﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُنْفِثُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۗ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ <sup>٥</sup>	48	113

م	الآية	رقمها	الصفحة
<b>سورة لقمان</b>			
137	﴿الَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةَ وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجْدِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ﴾	20	48
<b>سورة السجدة</b>			
138	﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾	5	218
<b>سورة الأحزاب</b>			
139	﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾	35	192
<b>سورة سبأ</b>			
140	﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾	6	224
141	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	28	59
<b>سورة فاطر</b>			
142	﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾	3	193
143	﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾	43	153
<b>سورة يس</b>			
144	﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلَمُونَ﴾	37	145
145	﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ هَآذَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾	38	116
146	﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾	40	108
<b>سورة ص</b>			
147	﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾	29	167
148	﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَاهُ بَعْدَ حِينٍ﴾	88	142
<b>سورة الزمر</b>			

م	الآية	رقمها	الصفحة
149	﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝﴾	5	145
150	﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۝﴾	6	222
151	﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مّتَابِرًا تَقَشَعُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ۚ مَنْ يَشَاءْ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۝﴾	23	31
سورة غافر			
152	﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾	57	100
سورة فصلت			
153	﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ۝﴾	11	108
154	﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝﴾	13	30
155	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ ۝﴾	26	32
156	﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَو لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝﴾	53	44
سورة الجاثية			
157	﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝﴾	13	127
سورة الأحقاف			
158	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ ۚ فَاْمَنْ وَأَسْتَكَرَّ بَيْنَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝﴾	10	189

م	الآية	رقمها	الصفحة
سورة الفتح			
159	﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّسُلَ بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُخْلِقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾	27	24
سورة ق			
160	﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾	6	99
سورة الذاريات			
161	﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾	21	49
162	﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾	47	114
سورة الطور			
163	﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾	6	140
164	﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۖ أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾	-35 36	29
سورة النجم			
165	﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾	4-3	41
سورة القمر			
166	﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾	1	109
167	﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾	45	24
168	﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَحْدَةً كَلَمَحٍ بِالْبَصْرِ﴾	50	193
سورة الرحمن			
169	﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾	5	84
170	﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۚ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾	20-19	112
سورة الحديد			
171	﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾	25	49

م	الآية	رقمها	الصفحة
<b>سورة المجادلة</b>			
172	﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ...﴾	8	78
173	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجْلِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾	11	45
<b>سورة الحشر</b>			
174	﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَهُمْ خَشعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾	21	31
<b>سورة الممتحنة</b>			
175	﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوْلَوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾	9	21
<b>سورة الصف</b>			
176	﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِأَهْدَىٰ دِينٍ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾	9	14
<b>سورة الجمعة</b>			
177	﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾	2	120
178	﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۚ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾	6-7	25
<b>سورة الطلاق</b>			
179	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾	12	109

م	الآية	رقمها	الصفحة
<b>سورة التحريم</b>			
180	﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾	4	20
<b>سورة الملك</b>			
181	﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ﴾	3	153
182	﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾	14	38
<b>سورة المعارج</b>			
183	﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾	4	238
184	﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾	20	55
<b>سورة نوح</b>			
185	﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ أَطْوَارًا﴾	14	238
186	﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾	15	231
<b>سورة المدثر</b>			
187	﴿ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا... إلى قوله تعالى... أَذْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾	-13 25	31
<b>سورة النبأ</b>			
188	﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾	7-6	41
<b>سورة النازعات</b>			
189	﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾	30	213
<b>سورة عبس</b>			
190	﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ... أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا... ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا... فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا... وَعِنبًا وَقَضْبًا... وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا... وَحَدَائِقَ غُلْبًا... وَفَكْهَةً وَأَبًّا﴾	-24 31	46
<b>سورة التكويد</b>			
191	﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾	6	106

م	الآية	رقمها	الصفحة
سورة الإنفطار			
192	﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝﴾	3	106
193	﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ۝ يَفِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ۝﴾	8-6	97
194	﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾	19	193
سورة الانشقاق			
195	﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ۝﴾	1	106
196	﴿لَتَرَ كُفْرًا تَطْبَعَانِ ۝﴾	19	230
سورة البروج			
197	﴿وَالْيَوْمَ الْمَوْعُودِ ۝﴾	2	195
سورة الطارق			
198	﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الضَّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝﴾	7-5	46
سورة الغاشية			
199	﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝﴾	-17 20	42
سورة الضحى			
200	﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝﴾	11	193
سورة العلق			
201	﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝﴾	1	120
سورة الفيل			
202	﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ۝﴾	4	232

## فهرس الأحاديث

الصفحة	طرف الحديث	م
170	ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه	1
217	ألا وإن في الجسد مضغة	2
85	إن الله لو أغفل شيئاً لأغفل الذرة والخردلة والبعوضة	3
30	أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا عليه سورة فصلت	4
31	أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل	5
172	بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار	6
170	كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ	7
217	حتى يسير الراكب بين النطفتين لا يخشى جوراً	8
29	سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور	9
153	اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ومن دعاء لا يسمع ومن نفس لا تشبع ومن علم لا ينفع	10
169	اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل	11
102	سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنها ستكون فتنة» فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله	12
48	مَنْ يُرِدُ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ	13
171	نِعْمَ التَّرْجَمَانُ لِلْقُرْآنِ ابْنُ عَبَّاسٍ	14

## فهرس الألفاظ الغريبة

الصفحة	الكلمة	م
152	التراث	1
172	الزاملة	7
137	السديم	2
114	السنة الضوئية	3
182	لغة القرآن	4
151	اللوغاريتم	6
115	النطاسي	5

## فهرس الأعلام المترجم لهم

الصفحة	اسم العلم	م
12	إبراهيم بن سيار النظام	1
79	إبراهيم بن عمر البقاعي	2
118	إبراهيم بن موسى الشاطبي	3
95	أبو حامد الغزالي	4
12	أحمد بن حنبل	5
64	أحمد بن سليمان بن كمال باشا	6
176	أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية	7
30	أحمد بن علي بن حجر السقلاني	8
183	أحمد بن محمد النحاس	9
115	أحمد بن مصطفى المراغي	10
183	اسماعيل بن كثير	11
69	أمين الخولي	12
174	الحسن البصري	13
160	الحسن بن عبد الله بن سينا	14
54	الحسن بن محمد الأصفهاني	15
183	الحسين بن مسعود البغوي	16
65	حمد بن محمد بن الخطاب البستي	17
157	خلف بن عباس الزهراوي	18
169	زيد بن أسلم	19
174	سعيد بن المسيب	20
123	سيد بن قطب	21
181	شعبة بن الحجاج	22
174	الضحاك بن مزاحم	23
68	طنطاوي جوهري	24
80	عبد الباقي بن محمود الألوسي	25
183	عبد الحق بن غالب بن عطية	26

108	عبد الرحمن الكواكبي	27
102	عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي	28
15	عبد القاهر الجرجاني	29
183	عبد الكريم بن منصور أبو المظفر	30
62	عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي	31
62	عبد الله بن يوسف الجواني	32
174	عطاء بن أبي رباح	33
169	عكرمة البربري	34
157	علي بن أبي الحزم بن النفيس	35
63	علي بن أحمد بن حزم الظاهري	36
64	علي بن حسين الشريف المرتضى	37
13	علي بن عيسى الرماني	38
62	علي بن عيسى الرماني	39
56	علي بن محمد الجرجاني	40
62	علي بن محمد الماوردي	41
68	علي فكري	42
62	عمرو بن بحر الجاحظ	43
16	عياض بن موسى عياض	44
99	فخر الدين الرازي	45
174	قتادة بن دعامة	46
168	مجاهد بن جبر	47
154	مجمد بن يزيد المبرد	48
22	محمد الطاهر ابن عاشور	49
187	محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية	50
159	محمد بن أحمد البيروني	51
63	محمد بن أحمد الشربيني	52
56	محمد بن أحمد القرطبي	53
63	محمد بن أحمد بن جزي الكلبى	54
67	محمد بن أحمد بن رشد	55

155	محمد بن الحسن بن الهيثم	56
14	محمد بن الطيب الباقلائي	57
171	محمد بن جرير الطبري	58
13	محمد بن زيد الواسطي	59
101	محمد بن عبد الله الزركشي	60
85	محمد بن عبدالله المرسي	61
63	محمد بن عمر فخر الدين الرازي	62
64	محمد بن محمد النصير الطوسي	63
62	محمد بن محمد الغزالي	64
54	محمد بن مكرم بن منظور	65
113	محمد جمال الدين الفندي	66
128	محمد رشيد بن علي رضا	67
125	محمد عبد العظيم الزرقاني	68
16	محمد عبدالله دراز	69
106	محمد عبده بن حسن خير الله	70
63	محمود بن عبد الرحمن أبو القاسم الأصبهاني	71
121	محمود شلتوت	72
174	مسروق بن الأجدع	73
15	مصطفى الرافعي	74
61	واصل بن عطاء	75
110	وحيد الدين خان	76
61	يحيى بن زياد الفراء	77
77	يوسف بن أبي بكر السكاكي	78

## فهرس المصادر والمراجع

- 1- ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ)، تفسير القرآن العظيم، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط3، 1419هـ، المملكة العربية السعودية.
- 2- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط1 - 1422هـ.
- 3- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال، ط1 - 1410هـ بيروت.
- 4- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط، دار العروبة، ط2، 1407 - 1987، الكويت.
- 5- ابن النجار، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوح المعروف بابن النجار الحنبلي (المتوفى: 972هـ)، شرح الكوكب المنير، المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط: 2 1418هـ - 1997م.
- 6- ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ) الفتاوى الكبرى لابن تيمية، دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ - 1987م.
- 7- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، بيان تلبیس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية مؤسسة قرطبة.
- 8- ابن تيمية، تفسير سورة النور، نشر دار الوعي بحلب.
- 9- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، النبوات، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، ط1، 1420هـ/2000م، الرياض، السعودية.
- 10- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، الصفدية، المحقق: محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، ط2، 1406هـ، مصر.

- 11- ابن حجر، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الكتب العلمية، تحقيق، عبد الوارث محمد علي، ط1، 1418 هـ 1997، بيروت.
- 12- ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - 1379، بيروت.
- 13- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية، 1984هـ، تونس.
- 14- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ت عبد السلام هارون، دار الفكر.
- 15- ابن كثر، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت.
- 16- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2 1420 هـ - 1999م.
- 17- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ط/جديدة
- 18- أبو الفضل، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي، (المتوفى: 544هـ)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفيحاء، ط2- 1407هـ، عمان.
- 19- أبو حجر، أحمد عمر، التفسير العلمي للقرآن، دار قتيبة، ط1، 1411 هـ/ 1991، دمشق.
- 20- أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، الطبعة: 1420 هـ.
- 21- أبو زهرة، محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى للقرآن، دار الفكر العربي، 1998، مصر.
- 22- أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: 1376هـ)، القواعد الحسان لتفسير القرآن، مكتبة الرشد، ط1، 1420 هـ - 1999 م، الرياض.
- 23- أحمد بدر، مناهج البحث في علم المعلومات والمكتبات.. نقلاً عن: وكيبيديا <http://ar.wikipedia.org/wiki>
- 24- الأدنه وي، أحمد بن محمد الأدنه وي (المتوفى: ق 11هـ)، طبقات المفسرين، المحقق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم - ط1، 1417هـ - 1997م، السعودية.
- 25- الاصفهاني، الراغب الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، دار العلم، 2009، ط/4، دمشق.

- 26- الإعجاز البياني للقرآن
- 27- الإعجاز العلمي بين الحقيقة والوهم، المصدر: موقع شبكة مشكاة الإسلامية، <http://www.almeshkat.net>، تم استيراده من نسخة: الشاملة 11000.
- 28- الألوسي، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي (المتوفى: 1342هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- 29- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، ت محمد صقر، دار المعارف، ط1.
- 30- الباقلاني، إعجاز القرآن، ت -أحمد صقر، دار المعارف، مصر.
- 31- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط1، 1422هـ.
- 32- بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار، وأثره في الدراسات البلاغية.
- 33- التركي، إبراهيم بن منصور، القول بالصرف في القرآن الكريم، مجلة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، السعودية، العدد الثاني، رجب 1430هـ/2009.
- 34- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، الجامع الكبير - سنن الترمذي، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، 1998م، بيروت.
- 35- التفسير الكبير لابن تيمية
- 36- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، مطبوعة في ذيل كتاب (دلائل الإعجاز) طبع دار المدني، ط3، 1413هـ -1992.
- 37- الجاحظ، رسائل الجاحظ، ت عبد السلام هارون، فصل من كتابه في خلق القرآن، مكتبة الخانجي، ط1، 1979، مصر.
- 38- الجاحظ، كتاب الحيوان، ت-عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى الحلبي، ط2، 1966، مصر.
- 39- الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، مُذَكَّرَةُ أُصُولِ الْفِقْهِ، موقع الجامعة على الإنترنت.
- 40- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، (المتوفى: 471هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، ط3، 1413هـ -1992م، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة.

- 41- الجوهري، اسماعيل بن حماد، **الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)**، ت-أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط/1، 1956، القاهرة.
- 42- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: 1067هـ)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، مكتبة المثنى - بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية)، 1941م.
- 43- حاشية محيي الدين شيخ زاده
- 44- الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)، **المستدرک علی الصحیحین**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - ط1، 1411 - 1990، بيروت.
- 45- الحربي، حسين الحربي، **قواعد الترجيح عند المفسرين**.
- 46- حسن عبدالفتاح أحمد، **عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم** - نقلاً عن كتاب المحصل "وهو محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين" لأبي عبد الله محمد بن عمر بن حسين فخر الدين الرازي (544هـ - 606هـ).
- 47- حوار مع الدكتور عبد الرحمن المشد على موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية، عنوان الحوار (تفسير السلف مفهومه وأهميته وبعض القضايا المتعلقة به).
- 48- خان، وحيد الدين خان، **الإسلام يتحدى**، ترجمة، ظفر الإسلام خان، دار البحوث العلمية، ط:2، 1393 هـ/1973، القاهرة.
- 49- الخضير، محمد بن عبد الله بن علي الخضير، **تفسير التابعين عرض ودراسة ومقارنة**، نشر دار الوطن.
- 50- الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، **سنن الدارمي**، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، 1407 هـ، تحقيق، خالد العلي، بيروت.
- 51- الدمشقي، عبد الحي بن أحمد ابن العماد الحنبلي الدمشقي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، بيروت، دار الكتب العلمية د. ت.
- 52- دويدري، رجاء وحيد، **البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية**.
- 53- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، **العبر في خبر من غير**، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط:2، 1948.
- 54- الذهبي، محمد حسن، **التفسير والمفسرون**، دار الكتب الحديثة، ط1، 1381هـ، 1961، القاهرة.

- 55- الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، **مختار الصحاح**، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، ط5، 1420هـ / 1999م، بيروت - صيدا.
- 56- الرازي، محمد فخر الدين الرازي، **التفسير الكبير**، دار الفكر، 1993، بيروت.
- 57- الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر (المتوفى: 1356هـ)، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، دار الكتاب العربي، ط8، 1425 هـ - 2005 م، بيروت.
- 58- رسالة **(النكت في إعجاز القرآن) للرماني**، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن في سلسلة ذخائر العرب، طبع دار المعارف.
- 59- رسالة **(بيان إعجاز القرآن) للخطابي**، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن في سلسلة ذخائر العرب، طبع دار المعارف.
- 60- رضا، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ)، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
- 61- الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، **دراسات في علوم القرآن الكريم**، ط12، 1424هـ - 2003م.
- 62- الزرقاني محمد عبد العظيم (المتوفى: 1367هـ)، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3.
- 63- الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، دار المعرفة - بيروت، 1391، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
- 64- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، (المتوفى: 1396هـ)، **الأعلام**، دار العلم للملايين، ط15، أيار/ مايو 2002م.
- 65- زغلول راغب النجار، **مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية**، دارالمعرفة، 2009، ط1، لبنان.
- 66- السامرائي، فاضل صالح، **التعبير القرآني**، دار عامر، ط4، 2006، عمان.
- 67- السبت، خالد بن عثمان السبت نماذج من التفسير العلمي، من موقعه على الشبكة العنكبوتية، <https://khaledalsabt.com/lectures>
- 68- السبت، خالد بن عثمان السبت، **مختصر في قواعد التفسير**، دار ابن القيم - دار ابن عفان، ط1 1426هـ / 2005.

- 69- ستيفن هوكنج، موجز في تاريخ الزمان.
- 70- سلسلة عالم المعرفة 131، مقدمة التاريخ الفكري العلمي في الإسلام، ط الكويت، نقلاً عن : الإعجاز العلمي في القرآن الكريم تاريخه و ضوابطه، عبدالله المصلح.
- 71- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط25، 1417 هـ/ 1996م، القاهرة.
- 72- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ت الفضل ابراهيم، المملكة العربية السعودية
- 73- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (المتوفى: 911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394هـ/ 1974م.
- 74- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، الدر المنثور، دار الفكر - بيروت.
- 75- السيوطي، معترك الاقران في اعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، لبنان، 1988، ط1.
- 76- الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: مشهور آل سلمان، دار المعرفة، ط4، 1420 هـ/ 1999م، بيروت.
- 77- الشاطبي، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطبي، الاعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الازرق، دار المعارف ط/3، القاهرة.
- 78- الشريف الجرجاني- معجم التعريفات، ت-المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر.
- 79- شعبان، مروان وحيد، الإعجاز القرآني في ضوء الإكتشافات العلمي الحديث دار المعرفة، ط1.
- 80- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (المتوفى : 1393هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر: 1415 هـ - 1995م، بيروت - لبنان.
- 81- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، دار الكتاب العربي، الطبعة: الطبعة الأولى 1419هـ - 1999م، دمشق - كفر بطنا.
- 82- الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث - ط1، 1416هـ - 1995م، القاهرة.
- 83- الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، طبقات الفقهاء، بيروت، دار القلم، تحقيق، الشيخ خليل الميس د. ت.

- 84- الصابوني، محمد علي الصابوني، **البيان في علوم القرآن**، دار الشهاب.
- 85- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، **المعجم الكبير**، مكتبة العلوم والحكم - ط: 2، 1404 - 1983، الموصل.
- 86- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1420 هـ - 2000 م.
- 87- طنطاوي جوهرى، **الجواهر في تفسير القرآن الكريم**، دار إحياء التراث العربي، ط: 4، 1412هـ/1991، بيروت.
- 88- الطيّار، مُساعدُ بن سُلَيْمان بن ناصِرِ الطيّار، شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، دار ابن الجوزي، ط: 2، 1428 هـ.
- 89- الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، **فصول في أصول التفسير**، تقديم: د. محمد بن صالح الفوزان، دار ابن الجوزي، ط: 2، 1423 هـ.
- 90- الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر، **الإعجاز العلمي إلى أين؟ مقالات تقويمية للإعجاز العلمي**. دار ابن الجوزي، ط: 2، 1433 هـ.
- 91- عبد القادر حسين، **مع القرآن في إعجاز وبلاغته**.
- 92- عبد الله أبو السعود بدر، **تفسير الصحابة**، نشر دار ابن حزم.
- 93- عبد الله الدراز، **النبأ العظيم**، دار القلم، الكويت.
- 94- العمري، أحمد جمال الأستاذ المساعد بكلية الدعوة وأصول الدين، أبو بكر الباقلائي ومفهومه للإعجاز القرآني.
- 95- العمري، أكرم ضياء العمري، **السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية**، مكتبة العلوم والحكم، ط: 6، 1415 هـ - 1994 م، المدينة المنورة.
- 96- غانم قدوري الحمد، **محاضرات في علوم القرآن**، دار عمار، ط: 1، 2003، عمّان.
- 97- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن الغزالي الطوسي، **إحياء علوم الدين**، دار الفكر، 1995، بيروت.
- 98- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن الغزالي الطوسي، **جواهر القرآن**، دار إحياء علوم الدين، تحقيق، محمد رشيد رضا، ط: 2، 1406 هـ - 1996، بيروت.
- 99- الغزالي، محمد الغزالي، **نظرات في القرآن الكريم**، دار نهضة ط: 1، مصر.
- 100- غنيم، كارم السيد، أستاذ علم الحشرات، جامعة الأزهر، أمين عام جمعية الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، **الإعجاز العلمي للقرآن الكريم بين القبول والمعارضة**.

- 101- الفندي، محمد جمال الدين الفندي، الإسلام وقوانين الوجود، الهيئة المصرية العامة للكتب، ١٩٨٢، القاهرة.
- 102- فوزى عبد ربه، إعجاز القرآن ونظمه عند السكاكى
- 103- الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ)،  
القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسى، مؤسسة الرسالة، ط8، 1426 هـ - 2005 م، بيروت - لبنان.
- 104- القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل
- 105- القرضاوى، يوسف القرضاوى، كيف نتعامل مع القرآن العظيم، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ/١٩٩٩، القاهرة.
- 106- القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط2، 1384 هـ - 1964 م، القاهرة.
- 107- قطب عامر فرغلي، السيد محمد زيدان، من أوجه الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في عالم النبات، من إصدارات الهيئة، ط1، 1417 هـ.
- 108- كلام شيخ الإسلام حول الرجوع إلى تفسير السلف، مقال من موقع ملتقى أهل التفسير .
- 109- الكواكبي، عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٩٨٤، بيروت.
- 110- للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ت زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط/3.
- 111- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)، تفسير الماوردي = النكت والعيون، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.
- 112- مجلة (العلميون) عدد يونيو سنة 1997.
- 113- محمد السيد جبريل، عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
- 114- محمد عبده، تفسير جزء عمّ، دار الهلال، ١٩٨٥، بيروت.
- 115- محمود شلتوت، تفسير القرآن الكريم، دار الشروق، ط6، ١٣٩٤ هـ/١٩٧٤، القاهرة.
- 116- مدخل الى دراسة الاعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية.

- 117- المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط1، 1365 هـ - 1946م، مصر.
- 118- مسلم، مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، دار القلم- ط3، 1426 هـ - 2005 م، دمشق.
- 119- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية- تاريخ آداب العرب، دار الكتاب ط/2.
- 120- المصلح، عبدالله بن عبدالعزيز، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ط:2: 1427هـ - 2006م.
- 121- مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس عشر الهجري
- 122- مقال أ. عبد القادر جعيد، من موقع مركز البحث في العلوم الاسلامية والحضارة - الأغواط. الرابط <https://www.crsic.dz/index.php/dep>
- 123- مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير
- 124- مقدمة تفسير القرطبي، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب 1987.
- 125- مقدمة حول الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية
- 126- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، ط7، القاهرة.
- 127- مناهج جامعة المدينة العالمية، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، المرحلة: ماجستير، كود المادة: GUQR5313 و GAQD5133، جامعة المدينة العالمية.
- 128- موقع رابطة العالم الإسلامي وكالة الشؤون التنفيذية <http://www.eajaz.org/arabic/index.php?option=com>
- 129- موقع قصة الإسلام <https://islamstory.com> .
- 130- النابلسي، محمد راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، دار المكتبي - ط2، 1426 هـ - 2005م، سورية - دمشق - الحلبوني - جادة ابن سينا.
- 131- النجار، زغلول النجار، من آيات الإعجاز العلمي في القرآن، مجلة (القافلة): العدد 7، المجلد:43 رجب سنة 1415هـ-ديسمبر سنة1994.
- 132- نجيب زبيب، المحيط الكوني وأسراره، دار الأمير، ط1، 1415 هـ/ 1994، بيروت.
- 133- الندوي، عبدالباري الندوي، الدين والعلوم العقلية.
- 134- النعماني، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ)، اللباب في علوم الكتاب، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - ط1، 1419 هـ -1998م، بيروت/لبنان.

135- نعيم الحمصي، فكرة اعجاز القرآن من البعثة النبوية الى عصرنا الحاضر، مؤسسة الرسالة بيروت، 1980، ط/2.

136- يوسف الحاج أحمد، موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن والسنة، ويكيبيديا الموسوعة الحرة (تاريخ المنهج العلمي) مكتبة دار ابن حجر، 2003، ط/2، دمشق.

137 - [https://www.youtube.com/watch?v=RteOjTTA\\_bY](https://www.youtube.com/watch?v=RteOjTTA_bY)

## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	البسمة
ب	استهلال
ج	إهداء
د	شكر وعرهان
هـ	مستخلص
و	EXTRACT
1	المقدمة
2	مشكلة البحث:
2	حدود البحث:
2	مصطلحات البحث:
3	أهمية الموضوع وأسباب اختياره:
4	الدراسات السابقة:
6	أهداف البحث:
6	أسئلة البحث:
7	منهج البحث:
7	إجراءات البحث:
8	خطة البحث:
10	تمهيد:
10	أولاً: تعريف الإعجاز لغة واصطلاحاً.
12	ثانياً: ظهور مصطلح الإعجاز في القرآن الكريم.
14	ثالثاً: أنواع الإعجاز في القرآن الكريم.
45	رابعاً: القرآن والعلم.
46	العلم
51	القسم الأول: الدراسة النظرية للإعجاز العلمي في القرآن الكريم:
52	الفصل الأول: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وتاريخه :
53	المبحث الأول: تعريف الإعجاز العلمي من خلال القرآن الكريم.

71	المبحث الثاني: تاريخ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.
90	المبحث الثالث: المؤلفات في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.
<b>91</b>	<b>الفصل الثاني: الإعجاز العلمي بين القبول والرفض:</b>
92	المبحث الأول: الفرق بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي.
94	المبحث الثاني: المؤيدون للإعجاز العلمي.
95	المطلب الأول: أبرز المؤيدين من العلماء القدامى
105	المطلب الثاني: أبرز المؤيدين من العلماء المعاصرين
118	المبحث الثالث: الرافضون للإعجاز العلمي.
118	المطلب الأول: أبرز المعارضين من العلماء القدامى.
121	المطلب الثاني: المعارضون من العلماء المعاصرين.
130	المبحث الرابع: أدلة الفريقين والترجيح وأوجه الاتفاق والاختلاف.
130	أولاً . من أدلة المؤيدين للتفسير العلمي
132	ثانياً . من أدلة المعارضين للتفسير العلمي
133	ثالثاً: الترجيح
<b>147</b>	<b>الفصل الثالث: الإعجاز العلمي وعلاقته بالعلم التجريبي:</b>
148	المبحث الأول: نشأة العلم التجريبي.
164	المبحث الثاني: الفرق بين الحقيقة العلمية والنظرية.
<b>166</b>	<b>الفصل الرابع: القواعد التفسيرية في ضوابط الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:</b>
167	المبحث الأول: مكانة تفسير السلف.
188	المبحث الثاني: قواعد التفسير.
<b>197</b>	<b>القسم الثاني: دراسة تطبيقية لضوابط الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وطرق تأصيلها.</b>
<b>198</b>	<b>الفصل الأول: ضوابط الإعجاز العلمي في القرآن الكريم</b>
199	المبحث الأول: ضوابط الإعجاز العلمي في القرآن الكريم
203	المبحث الثاني: ضوابط الإعجاز العلمي في القرآن الكريم للدكتور مصطفى مسلم
<b>204</b>	<b>الفصل الثاني: نماذج من الآيات التي أنطبقت عليها الضوابط</b>
205	المبحث الأول: النموج الأول: البرزخ بين البحرين والحجر المحجور:

210	المبحث الثاني: النموذج الثاني: (كانتا رتقا ففتقناهما)
213	المبحث الثالث: النموذج الثالث: كروية الأرض:
217	المبحث الرابع: النموذج الرابع: مراحل خلق الإنسان
225	المبحث الخامس: النموذج الخامس (كأنما يصعد في السماء)
<b>230</b>	<b>الفصل الثالث: نماذج من الآيات التي لم تنطبق عليها الضوابط</b>
231	المبحث الأول: النموذج الأول: (السموات السبع هي المجموعة الشمسية التي تتكون من سبعة كواكب).
232	المبحث الثاني: النموذج الثاني: (الطير الأبابيل وحجارة السجيل)
238	المبحث الثالث: النموذج الثالث: (نظرية التطور)
241	المبحث الرابع: النموذج الرابع: ﴿لَتَرَكُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾
244	المبحث الخامس: النموذج الخامس: (بيت العنكبوت)
<b>248</b>	<b>الخاتمة</b>
248	النتائج
248	والتوصيات
<b>249</b>	<b>الفهارس العامة</b>
250	فهرس الآيات القرآنية
267	فهرس الأحاديث
268	فهرس الألفاظ الغريبة
269	فهرس الأعلام المترجم لهم
272	فهرس المصادر والمراجع
282	فهرس الموضوعات